أدب ونقد

مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية
أكتوبر ٢٠٠٢ - العدد ٢٠٦

- عامان على الانتفاضة:

سائق الجرافة.. نصوص من جنون

- شهود يوليو.. الأمس واليوم:

سقوط الأوهام

- الثأر ظاهرة ثقافية:

مذكرات قرية - المقدس بشاى يصرخ
كتاب وشهادات ورؤى

- أسئلة التجريب فى المسرح
- قصائد فى الغرام المسلّح





أدب ونقد

مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية

شهرية يصدرها حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي

تأسست عام ١٩٨٤ /السنة الثامنة عشر العدد ٢٠٦ / أكتوبر ٢٠٠٢

المراسلات: مجلة [أدب ونقد] ١ شارع كريم الدولة / ميدان طلعت حرب /الأهالي

القاهرة / هاتف ٢٩/ ٢٨/ ٥٧٩١٦٢٧ فاكس ٥٧٨٤٨٦٧

لوحة الغلاف الأمامى : من مشغولات أخميم

لوحة الغلاف الخلفى : كولاج يافا جويلى

الاشتراكات لمدة عام

باسم الأهالي / مجلة [أدب ونقد]: داخل مصر ٥٠ جنيها
البلاد العربية ٥٠ دولارا / أوروبا وأمريكا ٧٥ دولارا

الطباعة

شركة الأمل للطباعة والنشر

الأعمال الواردة إلى المجلة لا ترد لأصحابها سواء نشرت أو لم تنشر

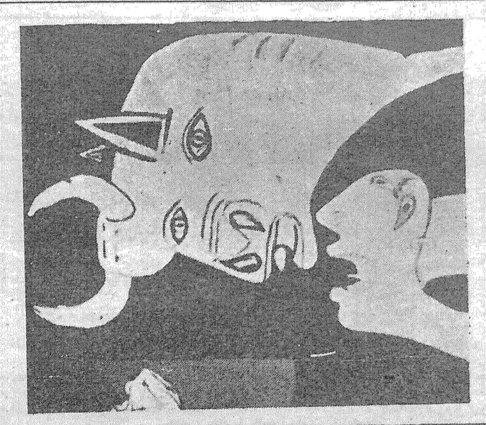
يمكن إرسال الأعمال على العنوان البريدي أو البريد الالكتروني:

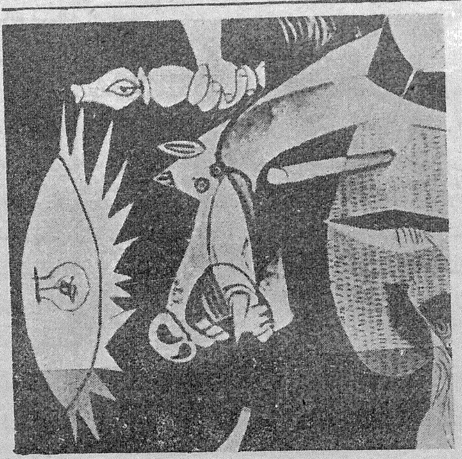
adabwanaqd@yahoo.com

موقع [أدب ونقد] على الانترنت: **adabwanaqd.4t.com**

ترجو المجلة من كتابها ألا يزيد عدد صفحات المادة المرسلة عن عشر صفحات أو ثلاثة آلاف كلمة

محتويات العدد





أول الكتابة

هذا عدد متخم ونأمل أن يكون فى ذات الوقت ممتعا وحميما إذ كانت الرسائل التى يتضمنها صادقة ومشاعر الحب التى نبثها فيه حقيقية. وهو سوف يكون كذلك لو أن مانقدمه فى كل الملفات والمحاور يتضمن مع الصدق والحب معرفة جديدة تضئ بعض جوانب الحقيقة ، وتصنع رقيا وجدانيا وعقليا يؤهلنا للوقوف فى وجه القبح والتوحش المتزايد فى العالم وفى حياتنا على نحو خاص ..

فهل ياترى نستطيع أن نفكر بهدوء ونستمتع بالفن والجمال والعلاقات الإنسانية الحميمة بينما طبول الحرب تدق من حولنا وحراب الأمريكيين والانجليز مشرعة على العراق ، وعمليات إهدار كرامة الفلسطينيين وحقوقهم تجرى على قدم وساق ، والفساد يستشرى فى حياتنا كأنه جزء عضوى فيها يبتسم فى وجوهنا ولايعبأ بألمنا وهو مسنود بقوة جبارة لانعرفها ، بل ربما نحن نعرفها ونخدع أنفسنا .

حين أبديت حماسة للتوقيع على بيان المثقفين المصريين الذى طالب النائب العام بمحاكمة المتهمين بجلب المبيدات الفاسدة وبيعها للفلاحين وأدت لإصابة عشرات الآلاف من المصريين بالسرطان والفشل الكبدى والكلوى بتهمة القتل الجماعى اعترض الزميل الكاتب الذى تتشرف أدب ونقد بضمه إلى مجلس تحريرها " على عوض الله كرار" – اعترض قائلاً إن الفساد ليس أفرادا بل هو المؤسسة وعلينا أن ننظر اليه على هذا النحو .. نريد حقا أن نذهب إلى أعماق المؤسسة نفكك بنيتها ونعرى أساسها الطبقى ونحن نسهم فى بناء مشروع جديد لحياتنا عنوانه العدل والمساواة .

وعلى هو الذى اختار لنا مواد الملف الذى ننشره بمناسبة مرور عامين على الانتفاضة ليصحبنا إلى مساحة لاعلاقة لها مباشرة بالقتال فى سياق بحثنا عن المناطق غير المألوفة لكنها مساحة تفيض بالجنون حيث " إن المقتولين وجوديا أى الطبقة العاملة من الإسرائيليين – خاصة العاطلين منهم هم القتلة " وذلك فى نص " سائق الجرافة" كما ستعرفون حكايته الهيستيرية.

وإلى الأعماق نذهب فى بحثنا عن ظاهرة الثأر كثقافة ونتساءل عن محدداتها ودوافعها بعد أن انفجرت فى وجوهنا الوقائع المذهلة لثأر جماعى لم يبق طفلا ولاشيخا فى قرية بيت علام بسوهاج .. ويكتب لنا فى هذا الملف الدكتور محمد بريرى عن " خالتى صفية والدير " لبهاء طاهر فنتابع " صفية" بعد أن تلبستها روح الثأر والانتقام إثر استيقاظ غريزة الملكية لدى زوجها القنصل حين أنجبت له ولدا .

لكن ثمة قرية وادعة معزولة يكتب مذكراتها " عصمت سيف الدولة " وعلينا أن نبحث أين تختفى روح الثأر فى هدوئها المريب .. هل هو الفقر المدقع .. غياب الحرية .. ثبات العالم وركوده .. الاستبداد السياسى .. لعله كل هذا وأكثر .. لعلها البقع العمياء على حد تعبير " حلمى سالم " فى قصيدته الجديدة الجميلة ..

كنا قد أعددنا لكم مادة بالغة التنوع اضطررنا فى اللحظة الأخيرة أن نؤجل جزءا كبيرا منها لضيق المساحة حتى أننى قلصت الافتتاحية ،نصوص ودراسات وحتى أبواب لكننا آثرنا أن نبقى هذه الإطلالة على قضايا التجريب فى المسرح .. على أن نعوض كل مافات فى الأعداد القادمة فلا تغضبوا.

فريدة النقاش



نصوص من جنون

إعداد وتقديم : على عوض الله كرار

* سائق الجرافة
* طلال ..الموت والإفلات منه
* القدس : برنار نويل
* حين: يافا جويلى.
* القلادة : بشرى أبو شرار
* السلم ..العدل .. المصالحة -رسالة.

تقديم

للمكعب ستة وجوه ، ونحن من زاوية ما ، لا نستطيع سوى النظر إلى ثلاثة وجوه دفعة واحدة ، وحتى فى هذه الحالة لن نستطيع رؤيتها كاملة ، بل جزءاً كبيراً أو صغيراً من كل وجه هو ما نراه ، بل -أيضا- أن هذه الأجزاء ستظل تتبادل فيما بينها صغرها وكبرها وفق اهتزازات العين الرائية، وهى أجزاء أشبعتها الفضائيات بكافة أنواع كاميرات التلفزيون .. وقد انتقل كل ملليمتر من هذه الأجزاء سطوراً سوداء تجرى فوقها عيون قراء الصحف والمجلات ، بمعدل سرعة يتناسب عكسيا مع حس القارئ تجاه الأحداث فى هذا الملف. سأقلب المكعب لمشاهدة مساحات من وجوهه الأخرى ، مساحات لا علاقة لها مباشرة بالقتال ، غير أنها أدل على جنونها ، جنون القتال ، هذا الجنون نبع -كما سنلحظ فى حكاية سائق الجرافة- من أن المقتولين وجوديا (الطبقة العاملة من الإسرائيليين ، خاصة : العاطلين منهم) هم القتلة.

أرسطو ومنطقة، نيوتن وقانونه (لكل فعل رد فعل) ، لا يصنعان -هنا- حدى المقص المندفع بسنيه نحو قتلة هؤلاء المقتولين (نحو الطبقة الرأسمالية التى صيرتهم فى المصانع -إن توفر لهم العمل -مجرد فحم عصرى ، وخارج المصانع إلى مجرد لحم وشحم (= متراس مبطن) يتلقى عنهم رصاص ومتفجرات شباب المقاومة الفلسطينية).

وهنا لابد من وجود الثقافة المفككة للوعى الزائف ، وإحلال الوعى(الشائف) لتكون الرؤية فصيحة .. بيد أن هذه الطبقة وخدامها من البرجوازيتين (الصغيرة والمتوسطة) ، وبكافة ظلالها ومستنسخاتها فى كثير من دول العالم ، وضعت هذه الثقافة تحت رقابة أكثر من جهاز واحد، ضمانا لعدم تسريب سياقاتها التى قد ينفلت بعضها معوجا أو منقوصا عن قصد يبدو غير مقصود لزوم التضليل المظلل بشئ من الحقيقة.

وربما لهذا ، وبحس فطرى موغل فى القدم ، ومتغلغل فى خلايا الإنسان ، اصطنعت الطبقات الشعبية ثقافاتها ولغاتها وأغانيها ..كذلك اصطنعت أساليبها الخاصة فى مراوغة السلطات وكيلة أعمال الرأسمالية .. وأحيانا ما تضطر السلطة إلى النزول للشارع مستعيرة منه أحد أمثاله الشعبية :(وإن جاءك الغضب اعمله جودة) ، عاملة على احتضان هذا الوعي الفطرى ومنتجاته (عبر السينما والتلفزيون وغيرهما) ، فى الوقت ذاته تعمل- أيضا -على أن يكون هذا الوعى الفطرى (بعد خلطه بوعى تصطنعه الميديا) رديفا لوعييها (الرسمى وغير الرسمى) ، وداخل هذا

المثلث المتغيرة أطوال أضلاعه يحشر أصحاب الوعى الفطرى من فقراء العالم ، ومنهم ذلك المهووس المغموس بالويسكى قبل أن تسوق سوقيته جرافته الإسرائيلية.

ولكن ما لأدب ونقد) وهذا الموضوع المتسربل بالسياسية؟ ..هنا ، فى هذا الملف كما اتفقنا -لن أتحدث عن القتال ، فالفضائيات اختنقت به إلى حد اضطرارها إلى استئجار شرطة مرور تنظم لها حركة سيرصور القتال ، وما يلى من تفجيرات ، عبر سماوات مفتوحة .. وأيضاً لن أتحدث بلغة السياسة ، فقد جذب حواسى -هنا -شئ مازلت أستغربه ، رغم العديد من الأمثلة التطبيقية الموجودة تحت أعيننا ، فمثلا : أن يخرج دواء عظيم الفائدة مثل(البنسلين) من عفن ، فهذا ما لم أكن أتوقعه على هذا النحو فى مجال الأدب ،خاصة :القصة القصيرة ..إن ماحكاه ذلك المهووس المضلل ، لهو قطعة أدبية رفيعة ، ذلك أنه ترك جسده يحكيها (وهنا تبصر عملية لفكرة الكتابة بالجسد) هذا القتيل المقتول القاتل حين أتمت الجرافة الإعلامية الإسرائيلية مسح مخه ، توطئة لتطييره بالويسكى ، ركب جسده فوق جرافته هو ، واندفع محموما يحاول مسح الهوية الفلسطينية.

جمال نصى خرج من جنون مطلق (خمر وعمل متواصلان مدة ٧٥ ساعة دون راحات كافية توصل المرء فعلاً إلى مطلق ما).. جمال خرج من عفن نشأ من ترك شئ (مثل الماء والخبز) فترة طويلة نسبياً ، فى بيئة مضادة ،حتى لو كانت مضاءة بتقدم تكنولوجى وعلمى هائلين ..أيضا هذا السائق الإسرائيلى ترك عاطلاً عن العمل مدة ثمانية عشر عاما حتى تعفنت روحه ، فكان لابد وأن تختلق- بشكل غريزى بحت- روح أخرى على هيئة نص جميل يعادل موضوعه الأثيم ، فتتحقق فيه تعادلية (توفيق الحكيم) فتصبح معادلته الجسمانية صفراً يخرجه عن السياق الإنسانى ، واجداً لإياه مكانا ضمن المتخيل الجرانيتى ، لكن على النقيض منه ، فغالبا ما تكون الرأس لإنسان والجسم لكائن سمكى أو حيوان نافع وشجاع (أبو الهول كمثال) ، أما هنا ، فالرأس صارت قنينة خمر ، لها خطم خنزير ، وأذن واحدة من جناح خفاش، وركبت القنينة من قعرها على رقبة ذئب له ذيل ثعلب ، وسيقان من ثعابين روسها هى مخالبه .

أفى الإمكان أن نخرج بنظرية مفادها : أنه حين يمتزج نقيضان عدائيان ببعضهما البعض بجسد ما تكون عجنة هذا الكائن فنية ، إن انعصرت من تلقاء ذاتها ، أو عصرناها نحن سالت نصاً مصفى ، ربما يكون دليلنا لرصد هؤلاء المسحوقين بتعليمات قادة كيانهم الصهيونى ، دليل

يقودنا إلى محاولات صبورة ومستمرة ومتصاعدة (بالصوت والصورة والرصاصة) قصدها فك هذين التناقضين عن بعضهما البعض ، فيرى هذا المسحوق ازدواجيته ،وهنا قد يدخل فى سكة السلامة ، وفيها سيرى عالمه الحقيقي : عالم اللاطبقات :عالم الشعوب المحبة للاستقرار ، والانكفاء على صنع مستقبل الحق والخير والجمال.

****

يبدو أن الآداب والفنون تتنفس سياسة ، لكن كلما كانت نصوصها صحيحة البنيان ، متمتعة بحيوية ونضارة ، خفت صوت هذه الأنفاس ، حتى أن صاحبها لا يحس بوجودها ..وعلى العكس تماما من ذلك . إذا سقم بدن النص اضطربت حركته سير الأنفاس الذاهبة الراجعة ، وكان لها صوت مسموع وحركة ملحوظة ..أيضا إذا بذل بدن النص نشاطا زائداً عن معدله الطبيعى(كتمرينات رياضية مثلا) بانت حركة وصوت تلك الأنفاس السياسية ، غير أن صاحبها بحيويته وصحة كيانه قادر على تضبيط تلك الأنفاس بما يلائم الاستفادة الأمثل من أكسجين الحياة.

***

وتطبيق أخير على ما سبق :

من متابعتنا لما يجرى على أرض فلسطين خلال هذا العام نلحظ تكرار العمليات (من جهتيها : الإسرائيلى والفلسطينى) وتشابهها ، هذا التكرار شبه اليومى انتقل إلى حكاية سائق الجرافة ، فمعظم الألفاظ بمترادفاتها وتنوعاتها تتكرر ،وكمثال سآخذ منها الأعمق فى دلالته

. عدد الألفاظ الدالة على التفجير = ٨ .

عدد الألفاظ الدالة على الهدم = ١٩.

عدد الألفاظ الدالة على التدمير =٨ .

عدد الألفاظ الدالة على التحطيم =١ .

عدد الألفاظ الدالة على المسح (والحلق) =٢.

عدد الألفاظ الدالة على المحو =١.

وهى جميعها (٦ صور) لفعل همجي واحد.المجموع ....= ٣٩ لفظة.

عدد الألفاظ الدالة على المنازل بمترادفاتها ومفرداتها وجزئياتها=٣٩ لفظة.

ويلاحظ التماثل التام (رغم عفوية الحكى) بين عدد ألفاظ المجموعتين المتناقضتين ، وهما معاً يساويان (٧٨) لفظة من حكاية مجموعها يقرب من (٧٥٠) لفظة ، وهذا غير ألفاظ أخرى مثل (المزيد) التى تكررت خمس مرات مرتبطة بألفاظ المجموعة الأولى ،كما تكررت عبارات أخرى بأشكال مختلفة ، بعضها جاء متناثرا داخل الحكاية مثل شكر الجنود الإسرائيليين لسائق الجرافة ، وأخرى أمسكت بتلابيب بعضها البعض مثل(كنت مستعداً لأن أفعل بجرافتى أى شئ يطلبونه .كنت أستجدى تكليفى بعمل ما : «دعونى أنهى بيتا آخر ، ، أفتح طريقا آخر».

***

هذا التكرار ينبئ من جهة عن مساحة نصية يحاول القليل من الألفاظ (= السكان) السيطرة عليها ، والتحكم فى مسيرتها الإبداعية .ومن جهة أخرى : أن عدم امتلاك ثروة لفظية هائلة لا يعنى عدم القدرة على النهوض الإبداعى بنص الأمة المصرية (تكنولوجيا وعلميا كذلك) .ومن جهة ثالثة ، ووفق ظروف بعينها يكون التكرار هو نوع من الشغف المصمغ الذى يربط امرءا ما ، بعمل ما ، إن حاول ثالث تخليصهما من بعضهما ، يصير هذا الثالث هو العدو .وفى هذه الحالة الاستثنائية ، ورغم كل ما يتمتع به الخيرون من حب للإنسان مهما كان فعله ، لابد من رصاصة الرحمة ، إما أن تطلق على هذا المسحوق ، وإما أن يطلقها هو داخل رأسه.

***

وقبل أن أترك القارئ مع بقية الحكايات يتأملها على مهل وبرود أعصاب يجعلانه قادراً على قراءة أولى لهذه الهمجية غير المبررة ، ففيض الإنتاج من (غذاء وكساد) فى عالم اليوم ، كفيل -من الناحية النظرية -بفض هذا التوحش والنزول به إلى المستوى غير القتالى ، ولكنهم .. أصحاب مصانع السلاح .. سوقهم الوحيد هو الحرب .. والحرب .. والحرب .. وهم فى ذلك يستثمرون نظرية (القصور الذاتى) ،فإذا كانت المبررات التقليدية للحروب قد إنتهت تقريبا ، إلا أن المفهوم القبلى للوطن والوطنية يسرى مسرى الدم فى عروق البلايين من البشر، ولأنه مفهوم ضارب فى عمق التاريخ ، فقد صار هو والغريزة الفطرية سواء .. وهنا يأتى دور الثقافة الجديدة الواعية لشروط وظروف الواقع العالمى الجديد ،

سائق الجرافه

فى اللحظة التى سقت فيها الجرافه إلى داخل المخيم(...) أصبت **بالجنون** واختفى فورا كل اليأس الناجم عن وضعى الشخصى ..كل ما تبقى كان الغضب على ما حدث لرفاقنا وأنا مقتنع حتى الآن ، وكذلك كل من كان معنا ، بأنه لو سمح لنا بدخول المخيم فى وقت أبكر ، بكل قوتنا ،لما قتل أربعة وعشرون جنديا فى هذا المخيم.

(...)

لم يكن فى استطاعتك التنبؤ بمكان العبوات الناسفة .لقد حفروا (المقاتلون الفلسطينيون) حفراً فى الأرض وزرعوا العبوات. ما أن تبدأ بسياقة الآلية حتى ترتطم بأنبوب سمكه ثلاث بوصات مسدود باللحام من طرفيه .وما إن تلمسه حتى **ينفجر** كان كل شئ مفخخاً . حتى **جدر المنازل** إلمسها فقط **فتنفجر**، أو يطلقون النار عليك لحظة دخولك .كان هناك عبوات ناسفة على الطرق ، وتحت الأرض .وبين **الجدر** عندما تفتح فتحة **ينفجر** شئ ما شاهدت قفص عصفور **ينفجر** فى محل لبيع الحيوانات الأليفة ، حيث كنا نشق طريقا قفص طائر . شعرت بالأسف تجاه العصافير . لقد زرعوا العبوات فى كل مكان.

بالنسبة إلى داخل جرافه ال«D - 9» ، لم يكن لذلك أى تأثير ، لم يهمنى شئ . تسمع صوت الانفجارات فقط لم تكن شحنة **متفجرات** زنتها «٨ كغ».

لتستطيع أن تفعل شيئا سوى هز سكة الجرافة. وزن الجرافة ثلاثة أطنان ونصف طن . إنها وحش.

الدبابة يمكن أن تصاب فى البطن .. بطنها حساس بالنسبة إلى الجرافة، يجب أن تنتبه فقط لقذائف الآر . بى. جى .أو لشحنة **متفجرات** زنتها ٥٠كغ توضع على السقف . لكنى حينها لم أفكر فى ذلك كل مكان يهمنى هو ألا يخاطر هؤلاء الجنود بحياتهم لمجرد أن يأكلوا أو يشربوا شيئا.

لقد أحببت هؤلاء الفتيان ، كنت مستعداً لأن أفعل بجرافتى أى شئ يطلبونه ، كنت أستجدى تكليفى القيام بعمل ما دعونى أنهى **بيتا** آخر، أفتح طريقا آخر.

وقد حمونى فى المقابل .كنت أغادر الجرافة من دون سلاح ، من دون شئ . أدخل ماشياً ،ببساطة قالوا لى إننى **مجنون** لكننى قلت: أتركونى وشأنى ،على كل حال . السترة الواقية لن تنقذنى » هكذا كنت أعمل حتى من

دون قميص ، نصف عار.

أتعرفون كيف صمدت ٧٥ ساعة ؟ لم أنزل من الجرافة . لم تكن عندى مشكلة تعب ، لأنى كنت أشـــرب الويسكى طوال الوقت .كنت أحتفظ دائما بزجاجة فى الجرافة ،كنت وضعت الزجاجات فى حقيبتى مسبقا ، الجميع أخذوا ثيابا معهم .أما أنا ، فقد كنت أعرف ما ينتظرنى هناك و لذا أخذت الويسكى وقليلا من الطعام.

ثياب ؟ لم يكن لى حاجة بها . كان يكفينى منشفة . على كل حال ، لم يكن فى استطاعتى مغادرة الجرافة ، تفتح الباب ، تصيبكِ رصاصة .مدة ٧٥ ساعة لم أفكر لا فى حياتى العائلية ، ولا فى المشكلات كافة ، اختفى كل شئ .أحيانا كانت تخطر ببالى صور من الهجمات الإرهابية فى القدس . لقد شهدت بعضها.

ما معنى «فتح طريق»؟ معناه مسح مبان علىَ الجانبين . لا يوجد خيار آخر ، لأن الجرافة كانت أعرض جدا من أزقة المخيم . لكننى لا أبحث عن أعذار ، أو عن شئ من هذا القبيل . .جب أن« تحلقها»لم **أكترث قط لهدم منازلهم** ،لأن ذلك أنقذ حياة جنودنا . عملت فى المكان الذى ذبح فيه جنودنا . لم يقولوا كل الحقيقة عما جرى .لقد حفروا فى **الجدر** حفراً للمدافع الرشاشة . وكل من نجا من العبوات أطلقت النار عليه من هذه الحفر.

لم أشعر بشفقة على أحد . كنت مستعداً لأن **أمحو** بالجرافة أي شخص من الوجود .وما كان يهمنى فقط هو ألا يعرض جنودنا أنفسهم للخطر ، هذا ما قلته لهم ، كنت خائفا على جنودنا . كان فى استطاعتك أن تشاهدهم نائمين معا، ٤٠ جنديا فى **منزل** محشورين ، تعاطفت معهم لهذا السبب لم **أكترث قط الهدم كل البيوت التى هدمتها** –وقد **هدمت** الكثير في النهاية ، أنشأت ملعب كرة قدم هناك.

هل هذا صعب ؟ كلا إطلاقا . لابد من أنك تمزح أردت **تدمير** كل شئ . رجوت **الضباط بواسطة اللاسلكى أن يسمحوا لى بهدم المخيم كله** ،من أوله إلى آخره . أن أسويه بالأرض ، لا تتخيلوا أننى كنت أريد القتل . **المنازل** فقط . لم نؤذ الذين أرادوا القتال.

لم يرفض أى شخص أمراً بهدم أى منزل لا يوجد شئ كهذا . عندما كان يطلب منى هدم منزل ما ، كنت أغتنم الفرصة لهدم بضعة منازل أخرى ، لا لأننى كنت أريد ذلك و إنما لأنه يطلب منك تدمير منزل ما ، تكون هناك عادة منازل أخرى قبله ، وبالتالى لا توجد طريقة أخرى .كنت مضطرا إلى فعل ذلك حتى

لو لم أشأ : لمجرد أنها كانت تقف فى طريقى عندما كان على أن أهدم منزلا كنت أفعل ذلك مهما جرى .وصدقونى إن قلت إننا لم ندمر إلا القليل .كان المخيم بأكمله مزروعا بالعبوات الناسفة ، وهذا ،فى الواقع ، أنقذ حياة الفلسطينيين أنفسهم ،لأنهم لو عادوا إلى منازلهم لانفجرت بهم .

أمضيت ثلاثة أيام وأنا أهدم وأهدم فقط .المنطقة كلها هدمت كل منزل أطلقت منه النار وكى أهدمه كنت أدمر بضعة منازل أخرى ، تم تحذيرهم عبر مكبر الصوت بأن يغادروا المنزل قبل مجيئى . لكننى لم أعط أحدا فرصة ، لم أنتظر . لم أكن أوجه إلى المنزل صدمة واحدة وأمهلهم ليخرجوا .كنت أصدمه بأقصى قوة كى أهدمه فى أسرع وقت ممكن . كنت أريد أن أصل إلى منازل أخرى . أن أصل إلى أكبر عدد ممكن ،ربما كان غيرى منضبطين أكثر ، أو هكذا يدعون .على من يضحكون ؟ أى شخص لو كان هناك ورأى جنودنا فى المنازل لفهم أنهم كانوا فى فخ مميت . كنت أفكر فى إنقاذهم . لم أكترث للفلسطينيين قط، لكنى لم أكن أهدم من دون سبب . كل ما فعلته كان بأوامر.

كثيرون من الناس كانوا داخل المنازل التى بدأنا تدميرها كانوا يخرجون من المنازل بينما نحن نعمل على تدميرها لم أر بعينى أناسا يموتون تحت سكة الجرافة ، ولم أر منزلا يسقط على أناس فى قيد الحياة . لكن لو كان هناك أحد لما اكترثت لذلك البتة .أنا على يقين من أن أناسا ماتوا داخل تلك المنازل ،لكن كان من الصعب أن نرى ، فقد كان هناك غبار كثيف فى كل مكان ، وعملنا كثيرا خلال الليل ، كل بيت كنت أهدمه كان يبعث السرور فى نفسى ، لأنى كنت أعلم أن الموت لا يهمهم ، لكن بيوتهم تهمهم ، عندما تدمر منزلا فمعنى ذلك أنك تدفن ٤٠ أو ٥٠ شخصا لأجيال ، وإذا كنت آسفا على شئ فأسفى هو على عدم هدم المخيم بأكمله .

لم أتوقف لحظة واحدة ،حتى عندما كان يحين موعد الاستراحة لساعتين كنت أصر على الاستمرار جهزت الجرافة بمكبس لتدمير مبنى مؤلف من أربع طبقات . وفى إحدى المرات جرفت الجرافة بحدة نحو اليمين وانهار حائط بأكمله ،فجأة ، سمعت صراخاً فى اللاسلكى :«كردى، إنتبه ! هؤلاء نحن! تبين أن رجالنا كانوا فى الداخل ، ونسوا إعلامى بذلك.

كنت فى غاية الرضى . استمتعت بذلك حقا . أذكر أننى هدمت جدار المبنى من أربع طبقات ، وانهار على جرافتى . صرخ زميلى

طالبــا منى العــودة إلى الوراء ، لكنى تركت الجــدار يســقط علينا .كنا نذهــب إلى أطراف المبانى ثم ندكها . وعندمـا كنا نواجه صـعوبة كنا نطلب قذيفة دبابة.

لم أســتطع التــوقف .كنت أريد أن أعــمل وأعمل.

كـان هناك ضـابط من لواء غـولانى يصـدر الأوامر إلينا باللاسلكى –لقد دفعته إلى الجنون كنت أطلب تكليفى المزيد والمزيد من المهمــات نهـار الأحد ، بعد انتهاء القتال ، تلقينا أوامر بسـحب الجرافة من المنطقة ووقف العمل على« ملعب كـرة القـدم» ، لأن الجـيش لم يشـأ أن ترانا عدسات التصوير والصحافة ونحن نعمل . انزعجت فـعلا لأنه كانت لدى خطط لتحطيم اللافــتـة الموضــوعـة عند مدخل جنين– ثلاثة أعمدة تحمل صورة عرفات . لكنهم سحبونا نهار الأحد قبل أن يتسنى لى القيام بذلك.

كنت أســتـفـزهـم كى يعطونى مـزيداً من العــمل .كنت اقــول لهـم باللاسلكى :« لماذا تتركونى أرتاح؟ أريد مزيدا من العمل »طوال الوقت كنت مـريضــا فـعــلاً . كـانت حـرارتى مرتفـعـة. عـدت من جنين تعـبا جداً ، كـأننى ممزق إلى أشلاء .وفى اليوم التالى رجعت ثانية .كان أحد الرجال مريضا فتطوعت للمساعدة. عدت إلى هناك .وعندمـا رآنى قـائد الكتـيبـة أصـيب بـالصدمـة .سـائقو الجرافـات الآخرون أصيبوا جميعا بالانهيار وكانوا بحاجة إلى الراحة .أنا أردت المزيد.

كنت فى غاية الرضى فى جنين ، استمتعت كثيراً كان الأمر بمثابة تعويض عن ١٨ عاما من البطالة بثلاثة أيام جاءنى الجنود وقـالوا :«شكراً جـزيلا لك يا كـردى ، شكراً جـزيلا » ،شعرت بالحزن(الجنود) الثلاثة عشر .لو كنا دخلنا المبنى الذى نصب لهم الكمين فيه لكنا دفنا كل أولئك الفلسطينيين أحياء.

كنت دائم التفكير فى جنودنا . لم أشـعـر بـالأسف على كل أولئك الفلسطينيين الذين تركـوا بلا مـأوى أسـفت فـقط على الأطفـال ، الذين لم يكن لهم ذنب . كان هناك طفل جريح أطلق العرب عليه النار . أتى رجل إسعاف من لواء غولانى وغير ضمادته ، حتى تم إجلاؤه .لقـد اعتنينا بهم، بالأطفـال . أعطاهـم الجنود حلوى ، لكنى لم أشعر بشفقة تجاه آباء هؤلاء الأطفال.

أذكـر الأم التى عـرضت صـورتـهـا على شاشة التلفزة وقالت أنها ستنجب أطفالا كى يفجروا أنفسهم فى تل أبيب ، سألت النساء الفلسطينيـات اللواتى شـاهدتهن هـنـاك : ألا تخجلن من أنفسكن؟».

بعدمـا أنجـزت العمل ،غـادرت الجرافـة .

كومت بعض الثياب وخلدت إلى النوم .اعتنوا بي ،كيلا تدهسني دبابة أو آلية ما تعب الـ٧٥ ساعة الماضية كله حلّ على دفعة واحدة .ما فعلته كان مثيرا جداً .وما يشهد على أنني قمت بعمل جيد في تشغيل الجرافة أن الجنود جاءوا لعندي بعدما انتهى كل شئ وقالوا : شكرا لك».

تعليق «غوش شالوم»

(كتلة السلام»)

هذه هي الرواية المذهلة التي رواها موشيه نسيم بنفسه ، وهو أحد المتحمسين لكرة القدم ومشاغب دائم ، استجدى قادته في قوات الاحتياط منحه فرصة المشاركة في« العمل المثير» (Action).

ما قصده بـ «العمل المثير» هو الدمار الواسع الذي قام به الجيش الإسرائيلي في الكثير من المواقع ، وخصوصا في مخيم جنين للاجئين.

أرسل إلى جنين راكبا جرافة هدم وزنها ٦٠ طناً ،ومشحونا بإحباط مكبوت عمره ١٦ عاما ، ومزوداً بالويسكي،بعد أن تلقى تدريبا لمدة ساعتين على استخدام تلك الآلية المدرعة.

«تدريب يكفي لسياقة الجرافة وتسوية الأرض» كما يشهد هو نفسه في المقابلة.

لربما تكون قصته مفرطة في التطرف ، وينبغي لهذا الرجل الإجابة عن الكثير من الأسئلة الخطرة . لكن موشيه نسيم لا يختلف كثيرا عن الآلاف من الشرسين والمحبطين، المتحمسين لكرة القدم ،والذين ينشرون الرعب في مدن أوروبية بعد كل مباراة .

لكن طبعا ، لا يمكن تخيل أن يرسل الجيش البريطاني سكيرا محبطا ، متحمسا لفريق مانشستر ، إلى بلفاست راكبا جرافة من طراز « D-9».

لذلك ، فإن الأسئلة المقلقة فعلا يجب أن توجه إلى النظام الذي أرسله إلى مخيم جنين في مهمة التدمير ، وهذا النظام هو الجيش الإسرائيلي.

أي جيش يضع جرافة هدم وزنها ٦٠ طناً ، ويبلغ ثمنها ملايين الدولارات ، في تصرف مثل هذا الشخص، الذي لم يسبق له أن عمل على جرافة كهذه؟.

كيف أمكن لهيجانه أن يستمر ، من دون أن يوقفه أي ضابط؟

كيف يمكن لجيش كهذا أن يصر على أنه« الجيش الأفضل خلقا في العالم؟.

هل تلقى هذه المقابلة المزيد من الضوء على رفض إسرائيل السماح بالتحقيق في الأعمال التي ارتكبتها في جنين ؟.

وماذا حدث فعلا في جنين؟.

(...).

على أنقاض البيت

الرجل متكئا على عكاز يقف فوق تل كبير من الأنقاض : خليط من الأسمنت محطم ومضغوط ، وقضبان حديد ملتوية ، ومزق فرشات، وأسلاك كهرباء مكشوفة ، وشظايا قرميد ، وقطع من أنابيب مياه ، ومفتاح كهربائي ، هي كل ما تبقى «هذا هو بيتي» -قال - و«في الداخل ابني» إنه أبو رشيد ، وابنه هو جمال، عمره ٣٥ عاما ، مقعد في كرسي عجلات . بدأت الجرافة تقضم البيت ، وأفراد العائلة لا يزالون داخله ، وأين يكونون إن لم يكن في البيت ، يبحثون كما كل أبناء مخيم جنين للاجئين عن الزاوية الأكثر أمانا التي يمكن الاحتماء بها من القذائف والصواريخ والرشاشات.وأفراد العائلة الآخرون في التوجه إلى باب الخروج ، وعبروه رافعين أيديهم ، وصرخوا في اتجاه الجرافة الضخمة ، التي لم يكن سائقها يرى أو يسمع ، بأن في البيت أشخاصا . إلا أن الجرافة لم تتوقف عن الهدير ، عن التراجع قليلا ثم معاودة الهجوم ، عن معاودة قضم الحائط الأسمنتي ، إلى أن أنهار الحائط على جمال قبل أن يتمكن أحدهم من إنقاذه .

كان حول أبو رشيد أشخاص آخرون اتخذوا أماكن لهم فوق تلال أخرى من الأنقاض ، أو نزلوا عنها ، وشقوا طريقهم بين أكوام باطون أخرى ، ولوالب حديد حادة وشظايا معدنية ، وجدر أسمنتية وسقوف سقطت ، وشظايا مغاسل ، لم يكونوا جميعا منغلقين كما أبو رشيد ،الذي كان يتحدث إلى نفسه أكثر مما يتحدث إلى من يتوقف لسماعه ، كان ثمة من طلبوا إنقاذ شئ ما بين الأنقاض : ثياب، حذاء ، كيس أرز ، وبالقرب من المكان ، فتاة صغيرة تكاد تتعثر على كومة من الحجارة الأسمنتية المهشمة ، تشير إلى السقف الذي تحت رجليها ، وتبكي وتبكي ، وبين نوبات النواح ، استطاعت أن تقول إن هذا هو بيت والديها ، وهي لا تعلم من المدفون تحته ، ومن نجح في الفرار . وما إذا كان هناك أحياء تحت الأنقاض ، ومن يخرجهم ،وكيف يخرجونهم ،ومتى (...).

(*) عميره هاس ، حرب على البيت ، «هاآرتس» (طبعة الإنترنت) ٢٠٠٢/٤/١٨ (مترجم عن العبرية).

حرب على الأجنة

لا تزال حكاية ميسون حايك(٢٣ عاما) التي فقدت زوجها برصاص جنود الاحتلال المرابطين عند الحاجز العسكري الذي أقاموه عند بلدة جوارة، قرب نابلس، بينما كانت في

طريقها لتضع مولودتها «فداء» ، ورغم ما كتبته وسائل الإعلام المختلفة عنها،تصعق كل من يقرأها أو يسمعها ..فمهما كان هذا الشخص «محايداً» ، سيكون من الصعب عليه أن يقر بانتماء هؤلاء «القتلة» إلى أية معان إنسانية ..إنهم لا يقتلون فحسب ، بل يتلذذون بذلك.

تقول حايك : حوالى الساعة الثانية والنصف من صباح الخامس والعشرين من شباط (فبراير)الماضى ، وبعد أن تجاوزنا حاجز حوارة العسكرى بما يقارب الـ«٦٠٠ متر» ، مذعنين لطلبات جنوده ، بما فيها الكشف عن بطنى للتأكد من الحمل ، سمعت إطلاق رصاص كثيفا وبعدها ازدادت كثافة النيران المصوبة تجاهنا مباشرة ..حذرت زوجى واحتميت بحقيبة الملابس التى كنت قد أعددتها للولادة ..استمر إطلاق الرصاص حوالى خمس دقائق ، وبعد أن توقف ذهبت إلى زوجى لأخبره بذلك فوجدت الدم يسيل بغزارة من فمه ..كان يلفظ أنفاسه الأخيرة ..رأسه انحنى باتجاه اليمين ويده كانت لا تزال على مقود السيارة ..لقد استشهد . وتتابع :كان زجاج السيارة الأمامى شبه مهشم ..كنت لا أزال أصرخ من آلام الولادة ،وعمى (والد زوجى) يصرخ من جرح ما ..هجم عدد كبير من جنود الاحتلال على سيارتنا ،موجهين بنادقهم صوبنا ..قلت لهم« بيبى.. بيبي» فى محاولة للإشارة إلى أننى فى حالة وضع ، إلا أنهم لم يأبهوا .وبعد أن تمتموا ببضع كلمات بالعبرية أشاروا لى بالنزول من السيارة.

همجية وعنصرية

وتواصل حايك سرد حكايتها : أشاروا لى بأن أكشف عن بطنى فكان ذلك ، إلا أن أحد الجنود لم يكتف بذلك ، بل وجه سلاحه صوبى وبدأ يصرخ طالبا أن نزول «الروب» الذى كنت أرتديه ففعلت .وبعدها طلبوا منى خلع« البلوزة والبنطلون» .. ولم تتوقف الأمور عند هذا الحد ، فقد أرغمونى على خلع الملابس الداخلية أيضاً .. تم إحضار حمالة من إحدى الآليات العسكرية القريبة ،، ووضعت عليها عارية تماما ومن ثم أحضروا عمى ، بعد أن نزعوا عنه كامل ملابسه أيضا.. سارت بنا إحدى الدبابات عاريين قرابة النصف ساعة ،كنت أخال أننا ذاهبون لأحد المستشفيات القريبة ، إلا أن شيئا من ذلك لم يحدث ،فقد تمت إعادتنا إلى حاجز حوارة غير البعيد ،حيث وضعونا فى البرد والعراء مدة ساعة كاملة ..كنت أشعر أننى أموت من شدة الألم والبرد ،ومن شدة القهر والذل أيضا ..بعد ساعة أحضروا لى الروب ،حيث حضرت

سيارة إسعاف عربية لنقلي إلى المستشفى ،وما إن وصلت السيارة حتى قام الجنود بقذفي من الحمالة إلى الأرض ، فما كان من طاقم الاسعاف الفلسطيني إلا أن تلقفني بسرعة وانطلق إلى مستشفى رفيديا حيث وضعت «فداء».

وتتابع ، وبعد أن أفقت من البنج علمت من الأطباء أنني كنت قد أصبت برصاصة في كتفي اليسرى ، وشظية في كتفي اليمنى ،كما أن عمي أصيب بعدة رصاصات ، بعضها خطيرة ، تلقى العلاج على إثرها في المستشفى ذاته.

(...)

بعدما علمت أن زوجتي فاطمة ، الحامل في شهرها السابع ، والتي كانت قد وضعت مولودة في شهرها السابع أيضا ، ستلد ، قمت بمحاولة نقلها من الولجة حيث نسكن إلى المستشفى في بيت لحم ، في سيارة صديقي التي كان يستخدمها لنقل الدواجن ..كانت القوات الإسرائيلية في ذلك الوقت تجتاح بيت لحم وبيت جالا وتقطع كل الطرق المؤدية لها ، بما فيها الطريق التي تربط بين الولجة وبيت لحم».

بهذه الكلمات بدأ ناصر عبد ربه يصف ما حدث تماما معه وزوجته عندما شعرت بآلام المخاض في الحادي والعشرين من تشرين الأول(أكتوبر) ٢٠٠١ .

ويتابع : عند وصولنا إلى الحاجز العسكري ،كان الجو ماطرا ، وكانت زوجتي ،تعاني من آلام شديدة.. لم يخرج الجنود من الغرفة المخصصة لهم، فنزلت من السيارة وتوجهت نحوهم ..على أربعة أمتار من غرفتهم أعد أحدهم سلاحه بغية إطلاق النار عليّ قائلا: لا تقترب ..قلت له: زوجتي ستلد وأريد الذهاب بها إلى المستشفى فأشار إلى بالرجوع رافضا طلبي ..بعدها خرج جندي آخر، وعندما شاهد أن عنواني في الهوية هو بيت جالا ، قذف الهوية في وجهي وقال صارخا: أنتم تطلقون النار علينا في الليل وتريدون العبور من هنا في النهار ..عد من حيث جئت.

ويواصل عبد ربه حديثه : أصررت على طلبي فغضب الجندي ودفعني فدفعته بصورة تلقائية مما تسبب في سقوطه أرضا .. قام وضربني بكعب بندقيته على رأسي ، ثم هجم على حوالي ستة جنود وأخذوا يضربونني وحينما نزلت والدتي من السيارة بغية نجدتي قاموا بدفعها واستمروا في ضربي .وبعد نصف ساعة من الضرب أمروني بالانصراف «وإلاّ» عدنا إلى الولجة لنعاود الكرة لاحقا مع

سائق آخر ، إلا أن الجنود رفضوا مجدداً ، بل إنهم باتوا يراقبون زوجتي وهي تتألم ، بعد أن احتجزوا بطاقة هويتي ،وكانوا يسخرون منها ويضحكون على آلامها .وبينما كانوا يدفعونني ويسخرون مني أخبرني السائق بأن زوجتي أنجبت في السيارة ..أخبرتهم بأنها أنجبت فأمطروني بشتائم بذيئة للغاية ،وعندما شاهدوا الدماء «وماء الخلاص» وشاهدوا الطفل يصرخ بشدة أطلقوا سراحنا وسمحوا لنا بالعودة .. قمت بلف المولود الذكر بمعطفي ،لأنقله بعدها إلى المستشفى الفرنسي ..عندما أشار الطبيب إلى أننا تأخرنا كثيراً في إحضار الطفل، لاسيما أنه« سباعي» .. تم وضعه في حاضنة ، و«في مساء اليوم التالي توفي إثر إصابته بإلتهاب رئوي والتهاب في مكان الحبل السري ، علاوة على إصابة الأم بتسمم في الرحم».

أرقام وإحصاءات

وتشير إحصائيات أعدتها مؤسسة «القانون» إلى أنه وحتى الثاني من آذار(مارس) الجاري كان هناك ٢٣ حالة ولادة على الحواجز العسكرية الإسرائيلية في الضفة الغربية والقطاع ، منها ست حالات إجهاض ، تسببت قنابل الغاز في ثلاث منها، في حين تسببت الإعاقة على الحواجز في الحالات الأخرى.

(...)

في مسح أجراه الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني على عينة عشوائية طبقية ممثلة للمجتمع ، خلال الفترة من ١١ نيسان (أبريل) إلى ١٥ آيار(مايو) العام ٢٠٠١ ، أشارت النتائج إلى تضاعف نسبة النساء الحوامل اللواتي لم يتلقين رعاية أثناء الحمل بواقع ٤٫٥ أضعاف منذ بداية الاجراءات الإسرائيلية بتضييق الخناق على الشعب الفلسطيني ، من خلال الحواجز العسكرية .ويفيد التقرير أن ١٩٫٦ ٪ من النساء الحوامل في الأراضي الفلسطينية لم يتلقين رعاية أثناء الحمل ، منهن ٥٫٢ ٪ لم يتلقين الرعاية بسبب صعوبة الوصول إلى مكان تلقي الخدمة ، و١٫٦٪ لعدم مقدرة الكادر الطبي على الوصول إلى مكان تلقي الخدمة.

قائد كتيبة

روى أحد الضباط الذين خدموا في الاحتياط في قطاع (بيت لحم) : وصلت إلى إحدى سرايا الكتيبة معلومات عن بيت يخبئ فيه صاحبه سلاحا لـ«التنظيم» تلقت السرية معلومات أن في البيت سلاحا ، وربما يكون رشاشا ثقيلا أيضا، وكذلك وصفا لصاحب البيت ، توجهت القوة بسرعة إلى المكان، غير

أن صاحب البيت لم يكن موجوداً . ولم يجد الجنود أى سلاح فى أثناء التفتيش الذى أجروه .وكان فى البيت حينها عدد من النساء وعدد من الفتية ، بينهم ابن المطلوب .وبناء على التعليمات التى أعطيت للقوة ،كان عليها أن تغادر البيت إذا لم تجد المطلوب والسلاح.

«فى هذه المرحلة ، وصل قائد الكتيبة إلى البيت ، ألصق السلاح برأس الابن وهدده بإطلاق النار عليه إن لم يقل أين أبوه .فقال الابن إنه فور دخول الجيش الإسرائيلى إلى المدينة حمل أسلحته على جيب فى تصرفه وذهب إلى كنيسة المهد . واصل قائد الكتيبة تهديده . طلب منه أن يصلى لأنه سيطلق النار عليه فوراً. وبعد ذلك ، طلب منه أن يخلع ثيابه ، وأشعل ورقة تواليت وقربها من الخصيتين . وطلب إحضار زجاجة وأمر الابن بأن يجلس عليها بحيث تدخل فى الشرج. صرخ الصبى الفلسطينى قائلا أنه غير مستعد لذلك ، وإذا كان الضابط قد قرر قتله ، فليطلق النار فورا ، ويتوقف عن التنكيل به»).

وواصل جنود الحديث قائلين إن قائد الكتيبة انتقل بعد ذلك إلى غرفة تتجمع فيها نساء ، وصرخ عليهن» وصاح فى وجه واحدة منهن أغضبته (شرموطة) ، وطلب من عدد من الجنود أن يسجنوها فى المرحاض . وظلت هناك ثلاثين دقيقة إلى أن خرج قائد الكتيبة من البيت».

(...)

وبحسب شهادات الجنود، لم تكن هذه أول مرة يرتكب فيها قائد الكتيبة تجاوزات شديدة . وروى أحد الضباط :«عندما كان يرى مستوعباً فى الشارع ، كان يلصق به عبوة ناسفة فورا ويفجره وجرى حادث آخر فى حى الدوحة : كنا فى منزل عائلة غنية وخرجنا منه بعد إقامة قصيرة وانتقلنا إلى منزل آخر . وأعلن قائد الكتيبة فى اليوم التالى أنه تلقى توجيهات بشأن البيت نفسه ، وذهب مع قوة عسكرية وطرق الباب . فتحت لهم الباب خادمة سنغالية ، وقالت أنها وحدها فى البيت .فأمسك بعنقها ، وألصق الفوهة برأسها وصعد درج البيت .ومن دون أى سبب ، فتح النار نحو أعلى الدرج.

ودخل بعد ذلك إحدى الغرف وأطلق النار فى إتجاه النافذة(...) .وبعد ذلك حطم بضعة أشياء وخرج وفى الساحة أطلق النار أيضا على عجلات سيارة متوقفة فأصاب اثنتين منها».

(*)فيليكس فريش ، «الشبهة: قائد كتيبة فى الاحتياط ينكل بقسوة بصبى ..» يديعوت أحرونوت «طبعة الإنترنت») ١/٥/ ٢٠٠٢

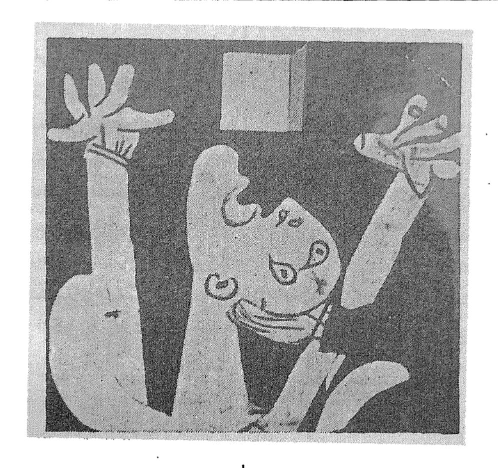
.(مترجم عن العبرية).

لصوص في إسرائيل من نوع آخر

«لصوص العمليات» هذا هو الاسم الذى أطلق على اللصوص المجهولين الذين يصلون إلى موقع العمليات الاستشهادية التى تنفذها التنظيمات الفلسطينية داخل إسرائيل ،لإنقاذ المصابين ، وبيد خفيفة ، يسرقون المجوهرات والحقائب والنقود وكل ما يملك المصابون والقتلى . وكشف عن الموضوع عندما تقدم بعض أهالى القتلى بشكوى ضد «المسعفين» إلى الشرطة بعد أن سرقت مجوهرات ونقود.. وحسب الشكاوى التى قدمت فإن إحدى النساء القتلى ،وحسب ما قال زوجها ، كانت فى طريقها إلى البنك حين قتلت ، وكان بحوزتها مبلغ ٢٠ ألف دولار وبعض الشيكات . واستطاع أن يحصل على شريط فيديو صور أحد الهواة ، يتضح منه أن حقيبة زوجته القتيلة كانت تحت رأسها ،وكان بجانبها شرطيان اثنان واثنان من المسعفين . وحين طالب بالنقود لم تعطه الشرطة سوى الشيكات، وادعى ضابط الشرطة بداية أنه لم تكن هناك أموال ثم غير أقواله وقال أن الأموال كانت مخضبة بالدماء وأن الهيئات الدينية أمرت بدفن الأموال حفاظا على دم القتيلة !! إلا أنه تبين للزوج ان لا أساس دينيا للقضية، خصوصا وأن الهيئة الدينية نفت الأمر ،وما زال الزوج ينتظر إنتهاء التحقيق فى القضية.

ومن القصص الأخرى أن أحد القتلى فى قاعة الافراح فى مدينة الخضيرة ، التى جرت قبل عدة أشهر ،كان يلبس حليا ذهبية بكمية كبيرة ، وقد أكدت هذا الأمر الصور التى ظهر فيها القتيل قبل وقوع عملية إطلاق النار من قبل مقاتل فلسطينى فى وسط القاعة . كما أكد ذلك موظفو معهد التشريح الجنائى ، الذين أكدوا للعائلة أن القتيل وصل إلى المعهد وعليه حلى ومجوهرات كثيرة وفجأة اختفت من على جسمه.

ومجالات الغش كبيرة فى هذه القضية. فمن المتبع أن تعوض «دائرة ضريبة الأملاك» أصحاب المحلات التجارية التى تضررت من الانفجار ،وقد تمت عمليات ضبط لتجار يحطمون محلاتهم بأيديهم ، وخصوصا المعدات الكهربائية الثمينة، ثم يقدمون تقارير مضخمة حول كميات البضائع التى كانت مخزنة فى محلاتهم ، ويدعون وجود أثاث لم يكن موجودا أصلا وفى أحد المحلات فى تل أبيب تبين أن صاحبه طالب بتعويضات تفوق الحجم الحقيقى لخسائره بحوالى الضعف . وهناك تاجر خضروات فى القدس كانت لديه



بسطة صغيرة ، وإذا به يطالب بتعويضات عن خسائر بضائع من الصعب أن يستوعبها متجر كبير جدا.

وتصل عمليات الغش لمستغلى هذه العمليات إلى المستشفيات أيضا ، فالمستشفى الإسرائيلى يحصل من الحكومة الإسرائيلية على مبلغ مئة دولار عن كل شخص يدخل المستشفى أثر عملية لاجراء فحص ،حتى وأن استمرت مدة الفحص خمس دقائق فقط، وبعد أن تجرى إدارة المستشفى جولة للصحفيين ليشاهدوا المصابين يبدأ المصابون فورا بمغادرة المستشفى.

وهناك من يصل إلى المستشفى ويدعى أنه كان فى موقع العملية وأصيب بحالة خوف وصدمة نفسية ، للحصول على تعويض ، وبعد التحقيق يظهر أنه لم يكن فى الموقع بتاتا وقد وصل إلى المستشفى بعد أن سمع عن الحادث فى الأخبار ، وإذا ما أقترب منه صحفى ليسأله عن العملية وما شاهده ، يسرد من أفكاره ما يحلو له من دون أن يكون لحديثه أى صلة.

* جريدة الحياة اللندنية ٥ أغسطس ٢٠٠٢م-العدد (١٤٣٨٢) ملحق يوم الاثنين.

طلال .. الموت والإفـــلات منه

لم أكن أتصور ، وأنا أسجل حوارى مع هذا الرجل ، أنه يقف خلف حصن منيع من الموت المتربص له فى كل مكان فقد عايش*تجارب أغرب من الخيال . واجهت معه خلالها ٤٨ ساعة من أغرب الساعات التى مرت علىّ فى حياتى حيث امتزج فيها الإحساس بالفرح والحزن والدموع والضحكات وحفرت هذه الساعات فى الذاكرة والوجدان دون ان أنساها أبداً .

بدأت القصة عندما حضر طلال أبو رحمة المصور الفلسطينى الذى سجل بعدسته استشهاد الطفل محمد الدرة إلى مصر قادما من غزة وأتصل بى فور وصوله يخبرنى بأنه هنا فى القاهرة بعد حصار استمر ٦ أشهر، وسيتوجه إلى تونس ثم الجزائر لحضور أحد المؤتمرات.

وكانت فرحتى كبيرة بقدومه لأنى لم أسمع عنه أى شئ منذ زمن طويل.

فى البداية لم أكن أتصور إلا أننى سأقابل صديقا عزيزا جاء من فلسطين أرض الأبطال ، وربما أجريت معه حديثا صحفيا عما يتعرض له الشعب الفلسطينى من وحشية على يد قوات الاحتلال .. ولكن ما حدث بعد ذلك قلب الموازين.

لذلك رأيت أن أروى لكم ما حدث قبل الدخول فى موضوع الحديث.

قال لى طلال إنه لن يستطيع أن يمكث فى القاهرة سوى يوم واحد وأنه الآن فى أحد فنادق مصر الجديدة ، وسألنى عما إذا كان يمكننى أن أصحبه ليرى بعض الأصدقاء ويقضى معهم سهرة فى القاهر، وبالفعل التقيت به وقابلنا الأصدقاء وكانوا سعداء بلقائه واتسمت الجلسة بالحميمية والترحيب الشديدين ثم بدأ الحديث عن الحصار فى فلسطين حصاره هو شخصيا (أشهرلم يستطع خلالها مغادرة غزة).

كما تحدث عن محاولات الإسرائيليين إبعاد الصحفيين عن أماكن الأحداث حتى لا يفضحوا ما ترتكبه إسرائيل فى حق الشعب الفلسطينى حتى إنه كاد يقتل أكثر من مرة ونجا بأعجوبة .وعرضت على طلال أن يأتى إلى منزلى ليتعرف على أسرتى قبيل سفره .

ويقضى معنا شم النسيم الذى تحدثنا عنه طويلا وشرحت له أنه عيد مصرى يحتفل المصريون جميعهم به ويخرجون للحدائق والمنتزهات لقضاء أوقات سعيدة خلاله.

وقد أعتذر طلال بلطف مؤكد أضيق الوقت ، وكيف أن معظم الصحفيين الذين يعملون مع جهات أجنبية- مثله -لديهم قلق غير عادى ويعرفون جيدا قيمة الوقت وبالفعل حضر فى الصباح ليقضى بضع ساعات تخللها إجراء الحديث معه .كانت أسرتى سعيدة بلقائه .. وتركنا بعد الظهر ليذهب إلى مطار القاهرة لتقله الطائرة فى الساعة الثامنة مساء إلى تونس.

ولكن بعد ساعتين فوجئت به يتصل بى ليبلغنى بأنه لم يسافر لأسباب تتعلق ببطاقة سفره وعاد من المطار على أن يسافر اليوم التالى« الثلاثاء» ..على أثر ذلك حجزت له فى أحد فنادق وسط البلد.

ومن ثم قضى ليلة أخرى فى القاهرة وودعته وتمنيت له السلامة والتوفيق فى مهمته.

وتوجهت إلى عملى صباح« الثلاثاء» لتغطية مراسم تشييع جثمان الكابتن صالح سليم رحمه الله .

المشهد كان حزينا جدا فى السرادق الموجود فى ميدان «مصطفى محمود» وكان الجو حارا جدا والجميع يبكون : فنانون وكتاب ومسئولون ونجوم كرة والحزن يخيم على المكان الذى أكتظ بجمع غفير من المشيعين ، وشريط طويل وكأنه فيلم سينمائى يدور فى ذهنى حول رموز مصر الذين يتركون عالمنا وما يحدث فى فلسطين ،والقصة الدراماتيكية لاستشهاد الدرة ومحاولة أبيه أن يحميه من رصاص الأعداد ،والحكايات الغريبة والبطولات التى استمعت إليها من طلال فى فلسطين وفجأة وسط هذه الصورة القاتمة هاتفنى صديق ليخبرنى أن الطائرة المتجهة إلى تونس سقطت.

لم أتمالك نفسى من الانهيار وتساءلت:

هل هذا هو مصير الرجل الذى نجا من رصاص الأعداء؟ وكيف ينجو طلال أبو رحمة أكثر من مرة من الأيدى الهمجية ويموت بهذه الطريقة العبثية ؟ كما أننى آخر شخص التقى به فى القاهرة أسجل معه آخر الكلمات .بكيت كثيرا ولم أصدق ما حدث.

اتصلت بى والدتى تؤكد لى أن بالطائرة ناجين وطلبت منى أن أدعو أن يكون طلال من الذين نجوا وأنها تشعر بأنه على قيد الحياة.

وانتابنى شعور باليأس حتى رن صوت هاتفى المحمول فى الحادية عشرة مساء وفوجئت باتصال خارجى وصوت أعرفه يقول

لى« جـــيـــداء» من ؟ أنا طـلال»؟ قلت لا ليس صـحيحـا أين أنت ، هل أنت بالقاهرة لا لا أنا طلال أبو رحمة أنا عايش يا جيداء لاتخافى . بكيت وصرخت وقلت له لا مش معقول قالها لى أكـثـر من مـرة أنا عـايش لا تخـافى اهـدئى أنا أعيش . قلت فقط الحمد لله على سلامتك بكيت كثيرا وامتزجت مشاعر الفرح بالحزن فى يوم واحـد ، مـثل الطقس فى أوروبا : البـرد والحـر كل يحدث فى يوم واحد.

بدأت أهـدأ وأسـتـوعب مـا حـدث وتذكـرت الحـديث الذى أجـريتـه مـعـه والذى حكى من خلاله قصة استشهاد محمد الدرة.

* كـيـف كـانت بداية «طلال أبو رحـمـة» فى عالم الصحافة؟.

-بدأت مع الانـتـفـاضـة الأولى عندما كـانت فى ذروتـهـا ،وكـان مـراسلى التلفـزيون من الأجانب حيث لم تكن هناك «أطقم» عربية ، لذا كـانوا يـحـتـاجـون لمن يقـوم بـعـملية التـرجـمـة وبالمصـــادفــة وجـدتـهم ينـادون علىّ وأنا فى الشـارع لأترجم لطـاقم الBBCفـفـعلت وطلب منى المراسل بعدها أن أصطحب فريق العمل ،وهكذا بدأ مشوارى حيث تقابلت بعد ذلك مع طاقم الCnnوبدأت العـمـل مـعـهـم ثم مع التلفزيون الفلسطينى.

-أنا خريج مدرسة الواقع والتجربة وجمعت خبرة العمل بين المدرسة الأمريكية من خلال عملى في الCNN والمدرسة الفرنسية من خلال عملى مع« الفرانس دول» ،وكان نتاج ذلك هو الصحافة الفلسطينية الجديدة.

* ومـا الذى يميـز الصـحـافـة الفلسطينيـة الجديدة..

-الجــرأة فى تغطيــة الحـــدث من أهـم المميزات ، ثم يـأتى الحيـاد والموضـوعيـة وهـى من أهم مميزات الصحفى الفلسطينى.

* كيف تتعاملون كصحفيين فلسطينيين مع الجنود الإسرائيليين؟.

-الصحافة ليس لها وطن ولا لغة ولا دين . وحتى تكون صحفيا ١٠٠٪ لابد أن تؤمن بذلك .. ونحن كـصـحـفـيين فلسطينيين نتـعـامل على هذا الأساس أما الجنود الإسرائيليون فهم لا يعتـرفـون بذلك بل إنهـم لا يعتـرفـون بنا ، لذلك جردونا من بطاقاتنا الصحفية ليقيدوا حركتنا متهمين إيانا بالإرهاب .. ولم يعد لنا أى حقوق أمام رصاص الجنود الإسرائيليين ..

* وهل هذا هـو ما يـفعلونه مع الصـحـافـة والصحفيين الأجانب؟.

-الصهاينة يعتبرون الصحافة بوجه عام عدوا لهم ما لم تكن منحازة إليهم لأنها تنقل للعالم واقع الأحداث مما يعـتـبـر دليـلا على وحشية الإسرائيليين ؟ لذلك فـهم يحـرصـون

على ابعاد الصحفيين عن المناطق التى يرتكبون فيها مذابحهم البشعة.

* وما هى الصعوبات التى تواجهها فى عملك الصحفى؟.

-الصعوبات كلمة بسيطة جدا أمام ما نتعرض له ، فنحن نعمل تحت طلقات الرصاص وقصف الصواريخ والطائرات سواء ال«إف ١٦» أو «الأباتشى».

* كيف تم تصوير مقتل محمد الدرة ؟ نريد أن نسمع منك ذلك بالتفصيل؟.

-حدث أن كان هناك تجمع من الشباب الفلسطينى ،وبعدها بدأ إطلاق النار بكثافة من الجنود الإسرائيليين .. ونظرت حولى وكان أمامى قراران إما الفرار جهة اليمين من الشارع فأصبح فى سلام وإما أن أتجه يساراً فأصبح فى قلب الحدث ، وبالفعل اتجهت يساراً بحثا عن الحدث والخبر وتراجعت للخلف بعيداً عن طلقات الرصاص ومن حسن حظي أننى وجدت سيارة ميكروباص فقررت الاختباء خلفها ومتابعة الأحداث وبدأ إطلاق النار يزداد كثافة وسط ذعر وخوف عشرات الشباب الفلسطينى ، إحتمى بعضهم بالأرض ورقد أكثر من عشرين شاباً جرحى على الأرض .. ورأيت منهم من يصرخ عاليا «لقد قتلوا سائق الإسعاف»!.

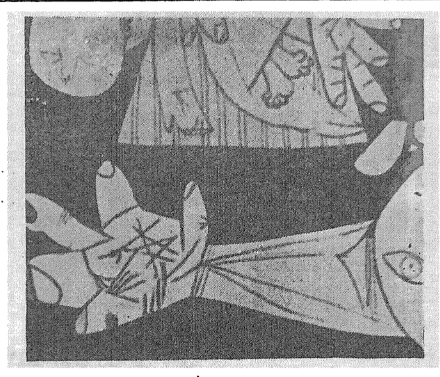
ونظرت فوجدت السائق مصابا بطلق فى رأسه ومنكفئاً على عجلة القيادة وكل من يحاول الاقتراب منه يتم إطلاق النار عليه.

ويستكمل طلال أبو رحمة حديثه قائلا:

ونظرت أمامى مباشرة فوجدت ولدا صغيرا ومعه رجل كبير ..هذا الرجل كان يناشد الجندى الذى أمامه أن يوقف إطلاق النار .. لكن إطلاق النار لم يتوقف بل استمر أكثر من ٤٥ دقيقة حوله ونحوه ووجدت الطفل الصغير ينزف .. وشاهدت الأب وهو يحاول حماية ولده باحتضانه لكن الرصاصات كانت تأتى له فى يده وكتفه وفى تلك اللحظة ، انطلق صاروخ أصاب حافة الرصيف ليخلف وراءه دخانا كثيفا إنقشع الدخان وجدت محمد الدرة ملقى على حجر والده وهو ينزف من بطنه وحضرت الإسعاف بعد ١٨ دقيقة لتنقل الأب والابن بينما بقيت أنا مختبئا حتى تمكنت من وضع خطة للهروب من المكان بعد مرور ٥٠ دقيقة.

* كيف تعاملت مع الشريط الذى قمت بتصويره بعد ذلك؟.

-قمت بتصوير نحو ٧٠ دقيقة من الأحداث منها ١٠ دقائق تخص محمد الدرة ، وقمت بالإتصال بالتلفزيون لأبلغهم بأننى سوف أبث ١٠ دقائق ،وعندما بدأ البث كان كل من فى



الاستوديو يبكون لبشاعة المشهد .وبعد ٤ ساعات من البث بدأت تظهر صورة الدرة كحدث هز مشاعر جميع من شاهدها وأدركت قيمة هذا العمل عربيا وعالمياً.

* هل تم تكريمك على هذا السبق الصحفى؟.

–نعم ووصل عدد الجوائز إلى ١٧ جائزة دولية وعربية.

* كيف يرى طلال أبو رحمة نفسه بعد أن حقق هذه الشهرة؟.

– أرى أنه لابد أن أحافظ على هذا المستوى الجيد بالعمل والأخلاق ودون غرور.

* هل انعكس واقع الأحداث على الطفل الفلسطينى؟.

–بالتأكيد لأنه يعيش فى جو من الرعب والفزع والموت الذى يترصده فى كل خطوة فلا شك أن كل ذلك يؤثر عليه نفسيا.

بالاضافة إلى أن الظروف الحالية لا تتيح الاستمرار فى الدراسة بسبب التعطيل المستمر لها ..

* كيف ترى مستقبل هؤلاء الأطفال؟.

–لابد أن يعاد تأهيلهم نفسيا أولا ، وأن تتاح لهم فرصة الحياة بسلام فى وطن حر يشعرون فيه بالأمن والأمان.

يمكثل حاليا طلال أبو رحمة فى مستشفى فى باريس للعلاج من حادث الطائرة فقد أصيب بشرخ فى العمود الفقرى .

كل أمنياتنا له بالشفاء العاجل.

أجرت الحديث جيداء بلبع.

القــدس

شعر : برنار نويل

ترجمة : جاك الأسود

شمس ثخينة تضع دماً على الأفق
المدينة فى الأسفل ملطخة بالكلس
أحياء جديدة زائدة تسحق الربي
غايتها طرد التاريخ من الحاضر
ولكن جلد الأرض قاس وقلبها
يزداد خفقه بقدر مايراد سحقه
فى المدينة القديمة يسير المرء على زمن ينفث
في الوجه نفسا طبيعية
بضعة أعلام زرقاء تلوح بشتيمتها
فى هواء الحى المراد إذلاله
لا تكف الحياة مع ذلك عن الغليان
على البلاطات حيث مر الرجل ذو الصليب
كيف يستعمر المرء ماالكينونة
فيما لا مراد له سوى الحيازة .

قصة

القلادة

بشرى محمد أبو شرار

أقف الآن خلف الحاجز الزجاجي..

تجلس خلفه تحدجنى بنظرة تكاد تنتزعنى من مكانى.

جواز سفرى أقبض عليه بيدى مرة.. ومرة أدفسه بين حنايا الجيوب ثم ما ألبث أن أسترده ثانية .. فطابور الانتظار خلفى ما زال طويلا طويلا.

مدت يدها فى الفراغ فألقيت به من خط يكاد يفصل ما بين اللوح الزجاجي والقاطع الخشبى..

دققت النظر فى ثم عاودت تحدجنى مرة أخرى وأنا أثبت ناظرى فى عينيها .. ثم أتحول عنها إلى يدها الممسكة بهويتى.

تركت مقعدها وصفقت الباب وراءها وأنا ما زلت أقف .. أنتظر وألف بجسدى الواقف لألقى بنظرة على حشد يزداد.

مقاعد خشبية تنوء بالجالسين المتهالكين من وقوف ساعات طويلة.

فجميعنا عائدين قاطعين الحدود.. مع أول خيوط فجر تسللنا معه إلى هنا..

انتبهت لصوتها مشيرة لى بيدها لأتبعها نحو غرف التفتيش الدقيق:

خلعت حذائى أقف بدونه وأبدأ فى خلع ملابسى : حركات بطيئة وسريعة الجميع يسحبون فى قالب زجاجي واحد ،تحاذينى سيدة عبرت أخاديد الزمن (عبر قسمات وجهها الفلسطينية) ثوبها المطرز بخيوط حمراء.

وغطاء رأسها المنساب على كتفيها متدلياً ليطول خصرها متلحفة به تغدو أمامى جيئة وذهاباً.

وتلاحقها هذه المجندة تستوقفها ..تذعن لها .. ثم تعلن عن رفض عنيد..

تنفلت منها لتلاحقها مرة أخرى.

رداؤها يشبه ما ترتديه عمتى حتى أخالها تقاربها فى العمر.

الغضب يجتاح العجوز وصوتها يزداد علوا .. اتجهت أنظار الواقفين إليها..

وهى تقف متحدية «لن اخلع ملابسى أبدا» والأخرى تقابلها تحاصرها : لن تمرى وكلمات العجوز المستعرة : لن أخلعها حتى لو خلعت من مكانى هنا أموت هنا ولن أخلع ردائى أبداً أبداً.

ثم أتكأت على القاطع الخشبى متشبثة به ليزيدها عنادا وإصراراً.

النساء حاولن الاقتراب من العجوز لتهدئتها فصرخت المجندة بالابتعاد عنها .. وأحكم الحصار حولها من مجندات آتين لاقتيادها فمضت معهن تجرجر أطراف ثوبها وسط صمت تسلسلنا به.

وما لبثت اللحظة أن مرت ثم ظهرت المجندة مرة أخرى تشير بيدها لأتبعها..

قاطع خشبى آخر وفتحة دلفنا من خلالها .. رجل بالداخل .تقف أمامه .. ينظر لى ويحكم التدقيق فى هيئتى.

ثم باغتنى!.

اخلعى القلادة

مددت يدى إلى قلادتى المدلاة على صدرى أتحسسها ..

ولم أخلعها ..

ستصادرها منك..

ظلت يدى معلقة على القلادة .أناملى متشبثة بها ..

إنها الخريطة الذهبية لفلسطين.

ألبسها منذ سنوات طفولتى .. والدى أول من علمنى ماذا تعنى الخريطة.

يوم فاجأنى بالهدية.

قال لى :

هذه هى الخريطة كلما عرفتيها جيدا تتعلمين أين تقفين..

مدت المجندة يدها نحوى تعاونها زميلتها وهو ينظرنا..

وبدوت كمن سيق إلى سجن كبير وقبل أن يدخله يخلع ما لديه

انتزعت قلادتى وهويت بدونها على مقعد خشبى.

أدور بعيناى أبحث عن أمى التى كانت تقف فى حشد آخر .

هذا هو يوم العودة .. يوم يحشر فيه الجميع .. آلام مخاض والجنين يعانى فى رحلة النزول.

وجوه حولى مكدودة .. العرق ينفر يتفصد من العروق بغزارة أطفال مترامين على المقاعد وأمهات يحملن زجاجات المياه يبللن جباههن بضمادات قد تزيح هذا الحر اللعين عنهن.

لمحت أمى تخرج من إحدى الغرف الصغيرة الضيقة وجندية تشير إليها بالجلوس .. اندفعت نحوها لأجدها غارقة فى أنفاس لاهثة وبصوت خافت أومأت لى :

هابنيتى .. ناولينى كوب ماء..

حمت بنظرتى حول المكان وانتشلت زجاجة بلاستيكية خلف المقعد ناولتها إياها : ما الخبر يا أمى؟.

مفكرتى الصغيرة عثروا عليها وبها بعض الرموز والأرقام .. سألونى عنها فأنكرت معرفتى للقراءة والكتابة .. وأن هذه الرسومات أرسمها لتذكرنى بما قد أنساه وهو يقول لى :

هذه يا سيدتى معادلات كيميائية . دوائر وأرقام وأسماء لأحماض.

وما العمل يا أمى ؟.

سأصمم على ما قلته لهم وانكر كل شئ.

أمسكت كتفيها الساقطين تنوءان بحمل ساعديها لأشد من أزرها أمام ضابط التحقيق.

أتت المجندات لتصطحب كل واحدة منا فى اتجاه فافتعلت حواراً بينها وبينى ، وسألتنى وهى تعبث بأوراق تحملها :

ما الأشياء التى تحب أمك قراءتها؟.

أمى !! من أين لها أن تقرأ وهى لم تدخل مدرسة فى حياتها ..

أجابتى كانت تسبح فى ذاكرتى مع أمى ورفوف الكتب فى دارنا وكتب ملقاة بجوار سريرها لا يمر يوم إلا وأجدها تقرأ نوما بنهم وكلما قرأت قصت علينا ما تقرأه وما تفهمه ..

كانت كذبتى ثقيلة تجرجر أذيالها ما بين شفتى.

مضت الساعات الطويلة وأنا أجلس أنتظر أمى والهوية وكل ما حولى سفن حطت فى ميناء العذاب والهوان .. قواطع خشبية .. ملابس ملقاة .. حقائب أفرغت مما فيها صناديق تحمل حاجياتنا يلقى بها فى كردون كبير لتعدم وتحرق فى مكانها، أحذية أفرغت أمام الأجهزة الالكترونية.

بدأت الجموع تتسرب من حولى وأنا مازلت أجلس انتظر .. جثم الغروب على الغور، باتت الحركة زاحفة ببطء تعلن عن نهاية يوم عصيب .

أغلق المنفذ ولم يبق أحد سواى وعيناى تحومان تبحثان..

وكلما مرت المجندات بى أنظر وراءهن قد تكون أمى تقتفى أثر واحدة منهن .

نودى على أسمى اعتدلت وقفت متجهة نحو الصوت ومن خلف القاطع الزجاجى لمحت أمى تجلس فى غرفة التحقيق أشار إلى الضابط بالدخول : الآن قفل المعبر ولا يوجد أى وسيلة تنقلكم إلى الداخل سأحضر لكم عربة عسكرية لتقلكم..

قاطعته أمى بلهجة حادة .. لن نصعد إلى عربتك العسكرية.

صمت قليلا .

أمسك بسماعة التليفون

طلب منا الخروج عبر الحاجز.

دلفت أنا وأمى .. صفير رياح تعوى تصفع وجوهنا رياح الغور الساخن.

أخذت بيدها لننتظر على المقعد الخشبى تجلس هناك سيدة اقتربت منها .. إنها ذات المرأة العجوز كانت جالسة تقبض على غطاء رأسها الأبيض المتدلى من على كتفيها براحتيها المتعانقتين متشبثة به ،كما شهدتها ورأسها متدلية على صدرها تغوص فى نومها فى ردائها فى غدفتها التى تطوق جسدها..

وأمى جلست بجوارها وبيدها مفكرتها التى أنكرتها .. وأنا جلست أتحسس رقبتى وصدر خال من قلادة تحمل خريطتى.

*** من غزة بفلسطين شقيقة المناضل الشهيد ماجد أبو شرار كاتب القصة القصيرة تخرجت فى كلية الحقوق جامعة الاسكندرية- تعمل حاليا بالمحاماة.**

متزوجة من محام سكندرى ، ومقيمة بالاسكندرية أصدرت مجموعة قصصية هذا العام بعنوان «أنين المأسورين» على نفقتها الخاصة.

*** الغدفة: زى فلسطينى ،وهو عبارة عن غطاء رأس مطرز ، ويترك حتى أسفل الركبة.**

حيـــن

يافا جويلى

- حين تنصب خيمتك . . ثم ترحل مع شقشقات البزوغ أعلم أن الوتد قد ترك فىَّ علامة أتذكرها كل فجر

··············*

حين تبتسم ملء عيونك
حين تشتهى محبوبتك على تخت الحلم بارتياح
وتتزين روحك بجمال كونك حي
حين لايخشى خيالك ضباط الوهم
حين يسعك الوطن حضن
تتنفس كل مسامك ، تنام لنهاية نوم
حين يزول من الريق طعم مر الحلق وتروى الأعين بالدمع
وتختال الصبايا بالأرض
حين ترى عيون حنظلة المنسية بفلسطين
وتصفو آذانك من رنين طلقات صراخ
وتخلو روحك من صدى هزات وجع
حين تكف عن استقبال ضيوفك بصوت الأنين
ويبطل اعتصار غربتنا لنا فى منافى الوطن
فتشجع . . اخط . . انظر أمامك
احضر مرآتك . . .
وتذكر
حاول أن تتذكر أنك يوما ما كنت على علاقة حميمة بالتبسم

رسالة

السلم .. العدل .. المصالحة
رسالة مفتوحة إلى يوسى بيلين

د. عباس عروة*
ترجمة: د. رشيد زيانى شريف

سعادة الوزير،

السلام على من اتبع الهدى .

بمثل هذه الكلمات أمر الله نبيه موسى وأخاه هارون بمخاطبة فرعون . كان خطابهما موجها إلى فرعون للسماح لبنى إسرائيل بالمغادرة بصحبتهما وللكف عن اضطهادهم . خاطب الله موسى وهارون بقوله تعالى: " اذهبا إلى فرعون إنه طغى " مضيفا" فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى "(طه ، الآيات ٤٣-٤٧) . صحيح أن فرعون لم يتجاوب مع ندائهما ، لكن مما لاشك فيه أن اللين فى المخاطبة ، إذا صاحبته الإرادة الصادقة للإصغاء إلى الآخر والاستعداد المسبق لمراجعة النفس ، لابد أن يهيأ المناخ الملائم للتبادل بين البشر مهما كانت طبيعة الخلاف بينهم.

لقد استمتعت ايما استمتاع بحضور اللقاء الذى جمعكم يومى ٢٩و٣٠ أكتوبر ٢٠٠١ بجنيف مع البروفيسور إدوارد سعيد ، إلى جانب عدد من المختصين اللامعين فى القانون والعلاقات الدولية كالبروفيسور ديفيد ليتل والبروفيسور ستانلى هوفمان من جامعة هارفارد والبروفيسور آدم روبرتس من جامعة اكسفورد . إن النقاش الذى أداره البروفيسور بيار آلان من جامعة جنيف حول موضوع : " ماهو السلم العادل ؟" تميز بمستوى جيد راق شكلا ومضمونا ، وقد استفدت الكثير منه.

بصفتى عضواً الحركة من أجل الحقيقة والعدل والسلم فى الجزائر أجد نفسى مهتما بصفة خاصة باشكالية الترابط بين العدل والسلم . إن شعبى الذى أدمته عشر سنوات من الحرب يتوق هو الآخر إلى سلم مبنى على الحقيقة والعدل.

سعادة الوزير

أكتب إليكم هذه الرسالة لمشاركتكم بعض الأفكار الشخصية التى راودتنى من جراء مداخلتكم ، وماشجعنى على هذه المراسلة هو الانطباع الذى أعطيتموه من خلال تدخلكم عن انشغالكم العميق بالبحث عن سلم دائم فى

* باحث جزائرى .. مدير معهد «المقار» بجنيف

الشرق الأوسط، سلم قابل للاستمرار من شأنه الحفاظ على الأرواح البشرية وهذا انشغال محمود يحسب لكم.

لقد أعلنتم فى تدخلكم أن دولة إسرائيل أنشأها المجتمع الدولى ، وتباعا ، نحن جميعا - كما ركزتم عليه - وجاء إنشاء هذه الدولة طبقا للقانون الدولى كما ذكرتم مستندين على القرار ١٨١ للأمم المتحدة الذى نص فى ١٩٤٧ على مخطط تقسيم فلسطين كما اصطلح على تسميته . عند سماعى طرحكم هذا تذكرت سؤالا كانت طرحته على جارة لنا متقدمة فى السن كنا نناديها الحاجة فاطمة ، والتى توفيت منذ سنوات عدة . سؤالها كان حول فلسطين وبقى دون جواب بالنسبة إلى طيلة ربع قرن ، وكم وددت طرحه عليكم خلال تلك الأمسية ، لكن لم تتح لى الفرصة حينها ، ولهذا سأدبجه إليكم كتابيا.

إحدى أهم الأفكار التى حاولتم إثراءها خلال مداخلتكم هى " نسبية العدالة " لامناص من وضع أنفسنا مكان الآخر لفهم رؤيته للأشياء والأحداث ، كما ركزتم فى توصيتكم ، وهو الأمر الذى دأبتم على القيام به مع السيد نبيل شعث الذى احتككتم به سنين طوال . وفى عرضى عليكم أسفله سؤال الحاجة فاطمة لا أطلب منكم وضع نفسكم مكان مفاوض فلسطينى كالسيد نبيل شعث ، ولامكان أستاذ أدب مقارن لامع كالسيد إدوارد سعيد . أطلب منكم وضع نفسكم مكان امرأة عادية نصيبها من التعليم متواضع ، امرأة تكاد تحفظ بعض آيات من القرآن من أجل أداء الصلاة ، امرأة كنتم لامحالة ستقدرونها لو كتبت لكم معرفتها ، لأن مفهومها السخاء والتقاسم لم يترك أيا ممن عرفوها إلا وأثر فيه.

فى منتصف السبعينيات لم أكن أتجاوز سن الثالثة أو الرابعة عشرة ، وفى ختام السنة الدراسية أهديت إلى مجموعة من الكتب كجائزة للعطلة الصيفية . كان أحد هذه الكتب تحت عنوان :" باسم جميع أهلى" لكاتبه مارتن جراى (MARTIN GRAY) اليهودى والبولندى الأصل . يصف جراى فى كتابه هذا تجربته القاسية فى غيتو فارسوفيا ومعتقل تريبلينكا وتسلسل الأحداث المأساوية التى مرت به وبذويه . كان سرد حياة مارتن جراى عميق الأثر على أكثر مما أحدثته فى نفسى لاحقا " صناعة الهلوكست" الضخمة ، قصة حياة الكاتب كانت عنيفة المشاعر إلى درجة جعلتنى أرويها على أصدقائى فى تلك المرحلة لمدة أسابيع عديدة . وخلال أحد النقاشات مع الحاجة فاطمة حيث تطرقنا إلى موضوع فلسطين ، سارعت لأشرح لها - مستعينا بمعلوماتى المتواضعة آنذاك - لماذا اليهود هم بحاجة إلى دولة ، ناقلا لها بحماسة ماكنت إطلعت عليه للتو وأغرقتها بمعلوماتى عن النازية وحملات الاضطهاد ضد يهود أوروبا ومعاناتهم والهولوكست إلى آخره.

كانت الحاجة فاطمة تصغى إلى بكل اهتمام وتهز برأسها فى إشارة على أنها تتابع أقوالى ، وعندما ختمت كلامى وبنظرة توحى بالتساؤل أجابتنى بسؤال لن أنساه ماحييت ، أحاول طرحه عليكم بكل ماأمكن فى أمانة ، قالت الحاجة فاطمة :" لكن يابنى ، لماذا يفعلون هذا بنا؟ إنهم أبناء عمومتنا ، كنا

نحبهم . كنا نعيش سويا ، كنا نتقاسم الحلو والمر . كنا نتقاسم البؤس تحت الاحتلال الفرنسى ، كنا نغنى معا ، كنا نشارك أفراح وزقراح بعضنا البعض ، لسنا نحن من اضطهدهم ، إنهم القور(جمع قاورى ، كلمة كانت تعنى المستعمر الأوروبى فى عهد احتلال(الجزائر) ، وإن رأى هؤلاء القور ضرورة تعويض أبناء عمومتنا عما ألحقوه بهم من أذى فلماذا لم يمنحوهم قطعة من ألمانيا لبناء دولة لهم ؟ لماذا بدل هذا بعثوهم إلى فلسطين لتذبيح إخواننا هناك ؟ إنه لظلم مابعده ظلم".

لم يكن فى وسع الحاجة فاطمة أن تتعمق كثيراً فى الاعتبارات الفكرية المعقدة أو أن تتطرق إلى صلاحيات الأمم المتحدة من عدمها ضمن ميثاق المنظمة حول إنشاء دولة. لم تكن مطلعة بما فيه الكفاية لملاحظة كيف يمارس الإسرائيليون سياسة استعمال «قرار أممى واحد ، ومرة واحدة» بتصفيقهم على القرار ١٨١ وتجاهل القرارات التى تلته ، خاصة القرار ٢٤٢ الذى يأمرهم بالجلاء من الأراضى الفلسطينية المحتلة سنة ١٩٦٧ . فى الواقع كان عالم الحاجة فاطمة جد بسيط ، يتشكل من «نحن» «إخواننا»، و«أبناء عمومتنا» والقور. لم تكن تميز بين المستعمر الفرنسى والنازى الألمانى ،كلهم فى نظرها قور، أى مضطهدين للشعوب، لم تكن تميز بين الإسرائيليين والصهاينة ، ولا بين السيفارديم والأشكينازيم ،كلهم يهود بالنسبة إليها ، أى «أبناء عمومتنا» ، أبناء العم الذين كانوا يعيشون معنا فى نفس المدن، يتكلمون لغتنا ، لغة قريبة جداً من لغتهم لأنها مشتقة من نفس الأصل ، تقارب فى المحادثة بحيث «شنا توفا» تجاور «سنة طيبة» للتمنيات بسنة سعيدة و«السلام عليكم» تصاحب «شلوم عليخم» لتمنى السلام، أبناء العم الذين كنا نتغنى معهم بنفس النغم الأندلسى المشحون بالشوق إلى قرطبة ابن رشد وابن ميمون، حيث التلاحم بين حكماء المسلمين وحاخامات اليهود وراشدى المسيحيين ، الكل يثرون تجارب بعضهم البعض ، كانت الحاجة فاطمة تعتبر من الظلم أن يتحول أبناء عمومتها المضطهدين وضحايا القور إلى جلادين فى حق إخواننا الفلسطينيين.

ومن حق الجميع أن يتساءل كيف يمكن لأمة عانت من ويلات الاضطهاد ابتداء من جنود فرعون إلى نازية هتلر مرورا بمحاكم التفتيش ،كيف لمثل هذه الأمة التى كانت ضحية الاضطهاد فى الماضى أن تلجأ إلى اضطهاد أمة أخرى ،كيف لأمة عرفت الهولوكوست أن تسمح باقتراف مجازر فى حق المدنيين ، بمن فيهم النساء والأطفال فى دير ياسين وفى العديد من الأماكن الأخرى فى حيفا وتيران والقدس ويافا والرمله وغيرها على أيدى منظمات عسكرية وشبه عسكرية كالهاغانا وايرغون وشتيرن تلك المنظمات التى مارست سياسة الرعب وسيلة لبعث الهلع وسط السكان المحليين لارغامهم على المغادرة وإفراغ الأراضى من أجل استقبال مهاجرين يهود جدد من أوروبا وأمريكا ؟ كيف لمن عاش تحت حكم السيطرة والإذلال أن يواصل بدوره إلى يومنا هذا السيطرة وإذلال الغير؟.

أطلب منكم سعادة الوزير ،كما أطلب من كل يهودى يهتم بانشغالات الآخر ، أن تضعوا نفسكم ولو لفترة قصيرة مكان الحاجة فاطمة لاستيعاب تساؤلها ومحاولة إعطائها- وإن كانت فارقت الحياة منذ زمن بعيد- عناصر تجيب عن سؤالها.

سعادة الوزير،

لقد جعلتم محور تدخلكم يدور حول فكرة أساسية وهى: عدم صواب التحدث عن سلم عادل ، لأن مفهوم السلم- فى نظركم- كاف بذاته كونه يتضمن مفهوم العدل ، ومن ثم فإن إضافة العدل له لا يشكل من وجهة نظركم تكراراً فحسب بل معرقلا لمسار السلم إن أتخذ «ذريعة» أو «حجة» من قبل أعداء السلم.

إن أى فلسطينى -حسب ظنى-يمكنه وضع نفسه مكانكم لمحاولة تفهم حرصكم على انتهاج الواقعية فى المسار نحو السلم وإدراك قناعتكم أن سلما ولو اعتبر فى البداية «سيئا» سينتهى لا محالة مع مرور الزمن إلى سلم «مقبول» وهو فى كل الحالات أفضل من استمرار الحرب مع نصيبها اليومى من الضحايا والمآسى.

ولكن بدوركم أيضا وضع نفسكم مكان الفلسطينى الذى يعيش منذ أمد طويل ، منذ النكبة إلى الانتفاضة الثانية ، تحت احتلال لا يرحم ، أو بداخل مخيم للاجئين فى ظروف رهيبة ، والذى من حقه الشرعى أن يرى فى تجريد السلم من الإشارة الصريحة إلى العدل يؤشر إلى إرادة لتدجين السلم وتحويله إلى عملية «تطويع» (Pacification) كتلك التى عانينا منها نحن فى الجزائر إبان الاحتلال الفرنسى.

أى معنى يجب إذا إعطاؤه للسلم؟

فى مايخصنى ، أجد نفسى أقرب من نظرة باروخ سبينوزا الذى يرى أن" السلم ليس معناه غياب الحرب" . كان هذا الفيلسوف الهولندى المنحدر من عائلة ناجية من الاضطهاد فى الأندلس والذى تم طرده من كنيس امستردام عقابا على آراءه المزعجة للمذهب السائد دون أن يستطيع ذلك تجريده من يهوديته ، كان سبينوزا يعرف السلم كونه " فضيلة حالة نفسية ، وإرادة الخير والثقة والعدل".

تقولون إن السلم يحتل بالضرورة فى طياته محتوى العدل وأنا لاأشك فى تشبثكم بحتمية العدل ، فلماذا إذن تريدون إدراج العدل فى النطاق الضمنى؟

لاشك أن العدل يلعب دورا مركزيا فى التقاليد اليهودية الأصيلة . ألم يأت فى ذكر التلمود أن " العالم يرتكز على ستة وثلاثين رجل عادل "؟ كما يمكن ذكر العديد من الرجال والنساء المنصفين من أتباع العقيدة اليهودية ، من علماء وشعراء وموسيقيين وصحفيين ومواطنين عاديين ، ضمن هؤلاء المنصفين أذكر اثنين تركا أثرا بالغا لدى.

أولهما البرفيسور يشاياهو لايبوفيتش (yeshayahu Leibovitz) الذى كان يمثل من وجهة نظرى ضميراً حياً للشعب اليهودى ،كان لايبوفيتش غالبا ما يستعمل الأسلوب العنيف لإدانة الظلم الذى يتعرض له الشعب الفلسطينى فى الأراضى المحتلة وبفعل ذلك من أجل إحداث ما يمكن اعتباره صاعقا

كهربائيا داخل الرأى العام الإسرائيلى . لم يكن يتردد فى نعت الجنود الذين يطلقون الرصاص الحى على الأطفال الفلسطينيين بالإرهابيين ، بل وتجرأ على إعلانه أن المجزرة التى اقترفها باروخ غولدشتاين داخل المسجد الإبراهيمى فى الخليل ذات جمعة فى عز شهر رمضان من سنة ١٩٩٤ ، أن ذلك العمل الشنيع ما هو إلا نتيجة لما أسماه بـ« اليهودية -النازية» .كان لايبوفيتش يجسد بحق النموذج اليهودى المشبع بالقيم الأصيلة للعقيدة اليهودية كالعدل، والقيام بدور الشاهد والتصدى فى وجه الاضطهاد وإذلال الآخر، تلك القيم التى كان يستمد منها قوة عزيمته وشدة قوله.

أما الثانى فهو البروفيسور نعوم شومسكى (Noam Chomski) الذى أختار أن يكون «عاملا أخلاقيا» بدل أن يكون «خادما للسلطة» إننى أقر بالعرفان الخالص إلى البروفيسور شومسكى بصفة خاصة لأنه كان أحد المفكرين القلائل فى العالم- وحتى العالم العربى والإسلامى- الذين انشغلوا بمصير مئات الآلاف من الجزائريات والجزائريين ضحايا إرهاب الدولة. فى تقديمه لكتابنا «تحقيق حول المجازر فى الجزائر» (Inquiry into Algerian Massacres) كتب شومسكى يقول : «مهما كانت أولويات القوى ، ليس هناك من عذر لأن يسمح الآخرون أن يكتب التاريخ الماضى والحاضر من قبل المنتصرين ، وأن يقبلوا بالصمت- أو بالمشاركة فى حالات أنكى- الصمت الذى يسلم الشعوب الضحية إلى مصير قاتل ومرعب».

هذا يؤدى بنا إلى اعتبار آخر : مدى أهمية استعادة الحقيقة والذاكرة فى الطريق نحو السلم . إنها ليست شروطا أخلاقية فحسب بل هى متطلبات ضرورية تسيق كل مسار لإرساء السلم.

إن الحقيقة لا تشكل فقط «بديلا مؤقتا للعدل» فى عالم فقد فيه هذا الأخير ، فالعدل والحقيقة مترابطان غير قابلين للانفصال . وبفضل الحقيقة يمكننا ممارسة العدل .كما أن السلم ليس شيئا «سلبيا ، ساكناً وجامداً» كحالة انعدام الحرب، بل هو على عكس ذلك شئ «فاعل» يشكل «مرحلة فى ديناميكية النزاع» كما يعرفه البروفيسور رودولف رومل (Rudolph Rummel)، فإن العدل ليس ساكناً بل هو حركى .«إنه الحقيقة فى حالة الحركة» كما كان يقول الفيلسوف الفرنسى جوزاف جوبار (Joseph Joubert).

هناك قول مأثور مفاده أن العدل ميزة تتحقق عندما يتخذ من الحقيقة مرشدا وإنه من واجب الجميع البحث ومعرفة وقول الحقيقة. إن هذا الأمر منصوص عليه فى العرف اليهودى الأصيل ،فكتابنا العزيز يخبرنا: «ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون» (الاعراف) الآية ١٥٩) هذه الأمة مشكلة من التسادكيم جمع(تسادك) بالعبرية أى المنصفين وليس من باب المصادفة أن يكون المقابل العربى لمصطلح تسادك هو صادق ،كلمة تطلق على مجموعة من المناقب .فقاموس اللغة العربية يعرف الصادق بأنه كل من كان سليم المزاج ،غير متكلف ،مستقيما ،

صريحا ، وفيا مخلصا ، طاهرا حقانيا ، إلخ كل هذه الصفات تدور حول معنى الحقيقة . إن التسادكيم هم الذين ينيرون طريق الأمم ويوجهونها ويرشدونها .«يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين» يأمرنا القرآن الكريم (التوبة ، الآية ١١٩).

إن الدور المحورى الذى تحتله إقامة العدل فى أى مسار تصالحى أو سلم يمكن إبرازه من خلال نموذجين من الحاضر ففى جنوب أفريقيا تمت هناك خطوات معتبرة فى طريق السلم رغم بعض العقبات المتبقية والتى لابد من تجاوزها ويرجع هذا التقدم إلى درجة كبيرة للعمل الجبار الذى أنجز فى سبيل استعادة الحقيقة .العمل الذى اضطلعت به لجنة الحقيقة والمصالحة(Truth and Reconciliation Comission) .ففى أحد تقارير هذه اللجنة أكد القس ديسموند توتو أنه:« مهما كانت التجربة أليمة ، يجب أن لا تترك جراح الماضى للتسمم دون علاج .يجب فتحها وتنظيفها ، ثم سكب بلسم عليها كى تشفى» .

لاشك أن أحد أوجه حتمية الحقيقة هو الحاجة الماسة إلى استعادة الذاكرة ، وأنا لست من يعطى دروسا إلى يهودى من مواليد ١٩٤٨ أى تاريخ بداية الأزمة الإسرائيلية -الفلسطينية .حول الدور الأساسى للذاكرة فى حياة الأمم .ليس فى نيتى تقديم دروس إلى من يتابع عن قرب تطور مسيرة شعبه ، وصاحب عدد من الكتب من ضمنها «مختصر تاريخ إسرائيل السياسى» و«الأبناء فى ظل آباءهم» و«حامى أخيه» . إن ماريك هالتر (Marek Halter) فى كتابه «اليهودية كما أقصها إلى متبنيى» يؤكد أنه بالنسبة لليهود «أصبحت الذاكرة قوة فى حد ذاتها ، أصبحت طاقة أخلاقية تمكن اليهود من مواجهة الحاضر والمستقبل . إنها فى آخر المطاف هى التى تنقذهم من الاندثار المطلق » ودائما حسب هذا اليهودى ابن العائلة التى تمكنت من الفرار من غيتوفرسوفيا : «هذا أمر يخص الشعوب كما الأفراد .ٰ بدون ذاكرة .فهم عبارة عن صدفة خاوية .تراكم رجال ونساء يجرهم تيار الكون ويبتلعهم».

إحدى أقوى تجليات الذاكرة تجسدها العلاقة بالأرض التى هى رابط مغذى فى قوة الحبل السرى الذى يربط شخصا أو أمة مع مكان تحمله بين جنبيها ، إنه رابط كونى تحتفظ به سواء كنا عربا ، يهودا أو غير ذلك . دورا تيتلبورم (Dora Teitelboim) التى غادرت وطن مولدها وهى بنت السابعة عشرة فى بريست ليتوفسك فرارا من الاضطهاد المعادى للسامية كتبت مستخدمة لغة البيديش: «البشر ليسوا مسامير ، البشر ليسوا براغيا، لا يمكن اقتلاعهم بالكلاليب .هذه الأرض سنحملها لا مناص كما نحمل أسماءنا» . ثلاثون سنة بعد ذلك ،أى سنة ١٩٧٠ ،كان فوزى الأسمر محتجزا فى أحد سجون إسرائيل ، وعرضت عليه السلطات هناك أن يغادر أرض مولده مقابل الإفراج عنه فأجابهم : «أنا مجرد إنسان ، لا تطلبوا منى أن أتخلى عن عيونى ولا عن حبى ولا عن ذكريات طفولتى».

سعادة الوزير،

لا يمكن تصور المصالحة والسلم بدون عدل ، تماما كما لايمكن تصور العدل بدون حقيقة ،وكما تقول جنيفياف جاك من مجلس المجمع الكنائسى فى كتاب «ما بعد الإفلات من العقوبة» : بدون عدالة معترف بها من قبل الأشخاص والمجتمعات التى جرحت وأهينت ، عدالة تكون مقبولة لديهم ، تبقى المصالحة أمنية خاوية».

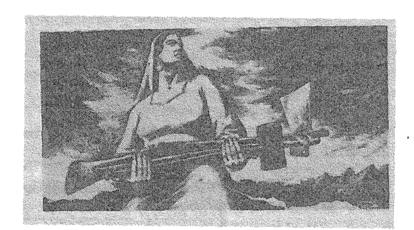
فمن أجل إخراج شعبكم من المأزق السياسى والأخلاقى الذى أوقع نفسه فيه بممارسة الاضطهاد البشع والإهانة اليومية فى حق شعب بأكمله ، أول شئ يجب على التسادكيم من أمتكم فعله هو تأهيل الرأى العام وتعليمه مراجعة الذات وتحمل مسئولية ماضية وتلقينه قيمة الاعتراف بأفعاله الظالمة.

تحدثتم عن حرب ١٩٦٧ وقلتم إنها حتى ولو ظهرت وكأنها نصر ، فهى كانت فى الحقيقة هزيمة لدولة إسرائيل . هذا يؤكد لى أن الاحتلال ينقلب لا محالة إلى فخ يضع المحتل نفسه فيه ، وإلى سجن يقيد المحتل نفسه بداخله .لقد ذكر محمود درويش فى قصيدته الشعرية «الأرض» فى سنة ١٩٧٧ ذلك الفلسطينى الذى يغنى ليلا: ويستجوبونه : لماذا تغنى؟ يرد عليهم : لأنى أغنى وقد فتشوا صدره ، فلم يجدوا غير قلبه ،وقد فتشوا قلبه ، فلم يجدوا غير شعبه ،وقد فتشوا صوته ، فلم يجدوا غير حزنه ،وقد فتشوا حزنه ، فلم يجدوا غير سجنه ، وقد فتشوا سجنه ، فلم يجدوا غيرهم فى القيود» .متى إذن ستكسرون القيود؟.

سعادة الوزير،

لا يمكن بناء المستقبل بتجاهل الماضى والحاضر ،كما لا يمكن تحقيق السلم لشعب بإبادة شعب آخر وذلك بسلبه تاريخه وذاكرته بعد مصادرة أرضه .لقد أعرب لكم عن ذلك البروفيسور سعيد بوضوح مع نبرة من المرارة تلاحقه منذ سن الثانية عشرة وطيلة أكثر من نصف قرن من الزمان وهو يعيش يوميا آلام شعبه المذل: «فلتكن لكم دولتكم ! إننا لا نسألكم حتى الاعتذار ،ما نطلبه منكم ليس أكثر من الإقرار بأن تاريخ هذه الدولة لا يمكن فصله عن تاريخ شعب آخر صودرت أراضيه ، ولا أقل من الاعتراف بما تكبد هذا الشعب من مآسى وآلام».

رجاؤنا أن تستطيعوا تجنيد أكبر عدد من التسادكيم من حولكم للإسهام الفعال فى إرساء السلم والمصالحة المبنيين على العدل والحقيقة ، وأتمنى لكم سعادة الوزير حظا سعيدا .ما زال توفا!.



قصائد فى الغرام المسلح

حلمى سالم

الشريان

أحفاد الغالين يروحون ويغدون ،
وهم مغسولون بماء الرفعة ،
يشغلهم أن يكتشفوا البقع العمياء
بقلب القحطانيين الجدد،
وكيف تصير اللغة
سلاح الفارين من الحرب.
هنا يستشرق رهبان أو علافون وشهداء،
هنا يستغرب جمالون وحياكو أحذية
وفدائيون،
لكى يقع الحافر فوق الحافر ،
أو يقتنص الصياد الطائر ،
لكن الشريان الواصل بين الغالين
وهم يغدون أمامك ويروحون،
وبين القحطانيين وهم خلفك يندثرون ،
ستفضحه عينا طفل
علقتا بلسان كُريم
إذ يتدلى من مشنقة.

الرابعة صباحا

يرقد فى المدخل ،
تحت الأزرار الشفرية للشقق العليا ،
محميا برياح التكنولوجيا،
ومصانا بالحريات المكفولة للفرد ،
ليختار المضجع :
هل فوق سرير بالمنزل ؟

أم فوق رصيف الأبنية القوطية ؟
كيف غدا الشحاذون بلا عدد،
مع أن هنا لاتوجد دار الإفتاء،
وليس هنا مشروع قومى للصرف الصحى ،
ولافيلم عن حسم القوات الجوية للحرب ؟

فيكتور هيجو

لم يك يعلم وهو يخط « البؤساء »
بأن المصريين سيرتبكون بولع ملتبس
بين الدانة والمطبعة،
وسيفتنهم أن يلقى هذا الكهل
النظم المتنمق لكلاب النثر السوداء،
وأن الفنانين الشبان الساطين على الدنيا ،
سيدورون أمام رسومات أصابعه الجعدة،
معتقدين بأن الرعشة فى الشعر
نتاج أياديهم لا أيدى بودلير،
فياهيجو : من تقصد بالبؤساء؟

عكازات

يجلس مبتسماً
يرقب عكازات المارين ،
يحاول وضع الأطوار البشرية فى نسق ،
أضنته الفلسفة فمال على جانبه الأيمن
ليرى الثورات العربية من منظور أفقى :
كانت أقوام تذهب وتجئ،
وأبنية تهوى ،
وصحيحون يعانون الفالج،
ورحى تطحن صبيانا فيذريهم ربهم على الأمكنة
فيغدون ضمائر جمع
فيما يجلس مبتسما ،
والآتون مع القدر
يعرون مؤخرة الآتين مع القدر،
فينسى وضع الأطوار البشرية فى نسق ،
يحصى عدد العكازات المصفوفة،
ويضاهيها بشجيرات من عنب جَمَّعه
المصريون،
ويرشف كأساً :
أنبيذ،
أم دم شاب من كفر الزيات ؟

آرل

حقل القمح هنا
يشبه حقل القمح بغيطان الراهب ،
الصفرة نفس الصفرة،
وتمايله فى النسمة ذات تمايله فى النسمة ،
والسنبلة هى السنبلة
(حمولتها من عدد الحبة مئة)
لكن الفرق الفاصل بينهما
أن القمح هنا
مروى بدم الأذن اليسرى
للسيد فان جوخ،
وقمح بلادى
مروى بدم فلاحى كمشيش،
فهل أنت الحائر بين القمحين ؟

طه حسين

يدعك عينيه لينزل منها الزيت الوسخ،
هنا فكر أن التعليم هواء الصدر وماء الأفئدة،

وحين تراءت مونبلييه على مرمى الشعراء
ارتعش
القلب
فرنت ضحكته وتعثرت الخطوة فوق رصيف
الحرم ،
هنا مر صبى مغاغة :
يتأبط شراً،
يتأبط ديكارت ومخطوطات معرة نعمان
وبلاغات على
سيعاين حوض المتوسط فيشير:
الحوض هو المستقبل.
لم يك يعرف وهو يضم السيدة الباريسية
أن الطلبة سيعودون به فوق الأكتاف،
وأن الفنانين سينتحلون طريقته فى وضع
الكف على الكف.
معد كى يتلو الآيات على الأموات ،
ولكن صبى مغاغة
درس على دوركايم فن المعرفة بتمرير
الأصبع.
فتأبط شراً،
وتأبط بن خلدون وديدرو،
ليجس نحاس اللافتة الباردة : السوربون،
يجيب سؤال محققه :
الشك هو الخالق والبارئ
يستدعى فى التحقيق شهوداً من رهط
مريديه :
فيشهد مندور ودكروب وعصفور
ويشهد سعدى يوسف والأهوانى وتيزينى
والعالم.
تلخيص شهادتهم :
إن المكفوف هو المبصر.
ولذلك أرجحه الليبراليون وأرجحه الضباط،
ليفهم أن الكروان يساوى الكارثة ،
وأن الحب الضائع مسعى المكسورين.
فيا طه :
يانصف السلفيين ونصف التنويريين،
أدعك عينيك بعنف كى ينزل منها الزيت
الوسخ،
وأقرضنا العاهة كى نركنها فوق الرف،
ونسخر من جمعية تأهيل معاقى أسيوط ،
ألم تسمع صيحة أستاذك من جوف معرته :
مرٌ هنا النساجون الشرقيون ،
ومرت مجموعة بهجت وأباطرة الفيديو
مر الكنتاكيون وصناع غرام الأسياد .
الراحل فى يوم الهول ،
يرف على شرفة ديكارت كطير ،
أما صبيان مغاغة فاصطفوا خلف النعش
يصيحون:
« اعتكر هواء الصدر ،
تلوث ماء الأفئدة ».
أطل أكاديميون وسابلة وصحافيون ،
أطل حقوقيون وعمال تراحيل
وسريحة أمشاط،
وأطل المحتجزون بأقسام الشرطة وأطباء
الأسنان ،
رموا فوق الجثمان النظرة قدام الحرم ،
وقائلهم يهمس : سلم يانور العين.



شهود يوليو .. الأمس واليوم

سقوط الأوهام

شهادات لـ : رضوى عاشور / أمل دنقل / عبد الحكيم قاسم / محمد إبراهيم أبو سنه / صبرى حافظ / زهير الشايب / سامى السلامونى .

عزمى عبد الوهاب / خالد إسماعيل / منتصر القفاش / محمود خير الله / السيد رشاد / حسن عبد الموجود / محمد بركه

الانتصار والانكسار

تناقضات

يوليو

تقديم



في شهادة لها بأحد مؤتمرات أدباء مصر في الأقاليم مع نهاية الثمانينيات من القرن الماضي– وكنا في دمياط مسقط رأسها قالت الكاتبة الراحلة د. لطيفة الزيات في أمسية حميمة أنها تنتمي لجيل كان حلمه في الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين أن«**يطلق الثورة ويحرر مصر من الاستعمار والرجعية ويبني الاشتراكية**».

ثم صمتت قليلا وأضافت بأسى وسخرية« وأصبحت أحلم الآن بأن أعبر الشارع بأمان» تذكرت هذه المناقشة الطويلة عن أدوار الأجيال المتعاقبة من المثقفين المصريين قبل يوليو وبعدها وأنا أقرأ الشهادات التي تقدمها لكم« أدب ونقد» عن ثورة يوليو لجيلين تفصل بينهما ثلاثة وثلاثون عاما ، مملوءة بالأحداث والتحولات الكبرى بالهزائم والانتصارات بالانفراجات المؤقتة والتوترا المزمنة. وسوف نلاحظ أنه سواءً الذين شهدوا في عام ١٩٦٩ أي بعد عامين من هزيمة يونيه ١٩٦٧ وكانوا مبدعين في بداية حياتهم مع الانكسار الأول الكبير أم الذين يشهدون الآن مع الانكسار الأخير والأخيرونُ وهم جميعا أبناء مجانية التعليم يشعرون كلهم بالأسى والحزن والحاجة إلى الحرية ، ويحلمون بعالم جديد وعلاقات حميمة وكأنما كانت ثورة يوليو تمشي إلى حتفها بعد انتصاراتها الكبيرة عقب تأميم قناة السويس والنجاح في تمويل السد العالي عن طريق نسج علاقات حميمة مع المعسكر الاشتراكي آنذاك، وتحقيق أهداف الخطة الخمسية الأولى سعيا نحو مضاعفة الدخل القومي وتذويب الفوارق بين الطبقات..

لكن «جنت الفتاة وانتحر الفتى»هكذا حلت نهاية واحدة من القصص التي كتبها عبد الحكيم قاسم في أول حياته ناقلا صورة عن المناخ المعتم الخانق الذي عاش فيه هذا الجيل ،أما محمد إبراهيم أبو سنة فيؤكد «أننا جيل محاصر ، ولم يحتج جيلنا لقيمه مثل حاجته إلى الحرية» ويقول «صبري حافظ» إنها نادرة تلك اللحظات التي يشعر فيها بالرضى عن نفسه والاطمئنان لمستقبله ..في مناخ ثقافي مليئ بالشلل وأكلة لحوم البشر ولحومهم أيضا ، والكثير من مناهجنا الدراسية تسهم في خلق حائط سميك بينه وبين الفن الصحيح.

وهكذا تتوالى الشهادات معبرة عن سقوط الوهم ، وعن تآكل خطير لفكرة العمل الجماعي والتكاتف «من غير الممكن أن يبزغ اسم جديد في مجال جديد إلاّ بمعركة شخصية يخوضها بمفرده هكذا يقول الناقد السينمائي الراحل سامي السلاموني..

تناقضات يوليو

أما زهير الشايب القاص الذى ترجم كتاب علماء الحملة الفرنسية «وصف مصر» إلى العربية فيقول بألم «فى جيلنا الأنانية والتخريب والشكلية ، ولعل لظروف النشر غير الصحية أثرها».

وتقف الروائية رضوى عاشور «عند حقيقة انتمائها «لبيئة برجوازية بمتناقضاتها الحادة وزيفها الصارخ».

وسوف نلاحظ أن عددا من كتاب جيل الستينيات قد تأثر بالفلسفتين الوجودية والماركسية معا وأن بعضهم تحدث عن التحول الاشتراكى رغم أن هزيمة ١٩٦٧ شكلت تراجعا عن شعارات بناء الاشتراكية التى لم تكن قد حققت الكثير على أرض الواقع ويقول محمد إبراهيم أبو سنة«لقد روعتنى تعاسة الريف».

وكان صوت الوحدة الوطنية قد علا على الصراع الطبقى بعد الهزيمة، وأطلت برأسها القوى القديمة التى كانت ثورة يوليو قد همشتها وانتشرت النكات التى تسخر من القطاع العام وكان من أشهرها إنه لو كان القطاع الخاص هو الذى تولى مسئولية الحرب عام ١٩٦٧ لانتصر فيها ..كان ذلك هو قول اليمين السياسى أما اليسار فكان يتطلع إلى الانتصارات الباهرة التى يحققها الشعب الفيتنامى والتى تقول إن هناك طريقا آخر غير طريق البرجوازية .

وظل هناك ذلك الحلم البعيد والسند الخارجى القوى وهو المعسكر الاشتراكى «فالانتصار الدائم للمعسكر الاشتراكى يمثل لى الأمل فى سبيل سعادة البشرية» كما يقول أبو سنة مرة أخرى.

أما عبد الحكيم قاسم فرأى الأمل فى تضامن الشعوب وفى الحركة المناهضة للرأسمالية فى الغرب .. هذه الحركة التى تواصلت منذ انتفاضة الشباب فى فرنسا عام ١٩٦٨ .وأمريكا ٦٩ .وقد نضجت الآن واتسع نطاقها وتبلورت فى مؤتمر الأمم المتحدة لمناهضة العنصرية فى «دربان» عام ٢٠٠١ وفى كل من سياتل ووجنوا قبل ذلك ثم فى بورتواليجرى حيث نشأ المنتدى الاجتماعى العالمى فى مواجهة الاحتكارات وردا على منتدى الأغنياء فى دافوس.

كان «عبد الحكيم قاسم» الذى رحل عن عالمنا قبل أن يشهد نضج هذه الحركة التى استشرفها الثاقب قد مد بصره كمبدع أصيل نحو المستقبل رغم إقراره بأن التغيير المنشود لم يحدث فى بلادنا وأخذ يستمع إلى دبيب الحركة فى صراعات الحاضر ليرى« أن الشباب فى أوروبا وأمريكا بدأ يفيق على حقيقة آبائه العظام الشامخين -كمشعلى حروب ومصاصى دماء وناهبى ثروات الشعوب ، بدأ يعرف ماهو شرف مبادئهم وقيمة حضارتهم الشامخة المبنية على الجماجم..»

ثم يضيف «هؤلاء الشبان هم أصدقاء قضيتنا كيف نرفضهم أو نسخر منهم، علينا أن نحبهم وأن نقرأ لهم ندعوهم عندنا ، نشرح لهم أنفسنا .. تخلفنا من صنع آبائهم ، نجمة إسرائيل هى ذات الجمجمة والعظمتين على صوارى سفن القراصنة ..أجدادهم».

كأنما كان عبد الحكيم قاسم يتنبأ بهذا المشهد اليومى لبعض شباب أوروبا وأمريكا الذين يتظاهرون الآن ضد قصف العراق ، أو يذهبون إلى فلسطين ليتضامنوا مع شعبها ورئيسها المحاصر ويحملوا إليهم الماء والغذاء والأدوية.

أما شهود القرن الواحد والعشرين الذين خرجوا من عباءة مجانية التعليم فإنهم ليسوا أقل حزنا ويدورهم لا يحملون أى أوهام وربما يحلمون أيضا بعبور الشارع بأمان.

رغم أن ثورة يوليو لم تتح لنا أن نتعلم فحسب، بل أتاحت لنا أن يكون منا الشعراء والكتاب ، قرأنا وتعلمنا فى مصادفة لا تحدث مرتين، وكأن من حظنا أن قطار الخصخصة تأخر كثيرا عن موعده» كما يقول الشاعر« عزمى عبد الوهاب» ويتساءل «هل نجونا إذن»؟ لا. فلنا أطفال نخشى عليهم من أن يتحولوا إلى ماسحى أحذية فى المقاهى» . وذلك طبعا فى زمن الخصخصة والسوق الحرة وهيمنة البنك الدولى وصندوق النقد الدولى .أما السيد رشاد فيؤكد حقيقة لا تقبل القسمة على اثنين هى أننى- فى معظمنا على الأقل- توحدت لحظتى الشعرية بتلك اللحظة التاريخية الفارقة ٢٣ يوليو رغم الفارق الزمانى والمكانى ، ولولا هذا التوحد بين اللحظتين ما استطعت تحقيق شاعريتى.

لكن لمنتصر القفاش تجربة أخرى تكشفت له فيها مثالب النظام التعليمى كله ولم يكن لموهبته علاقة بالمدارس التى تعلم فيها دون أن يكون التعليم مجانيا تماما فيها وكأنه يؤكد مقولة «صبرى حافظ» قبل ثلاثة وثلاثين عاما إن مناهج التعليم حلقت حائطا سميكا بينه وبين الفن .

إن سؤالا لابد أن يلح علينا بعد قراءة هذه الشهادات ومقارنتها ما مدى مشروعية القول بأن ما حدث فى يوليو كان حقا ثورة؟ وإن كان التغيير الذى أحدثته فعلا جذريا فى بعض المواقع فمن المستفيد؟ وإن كانت مجانية التعليم قد استنفذت قطاعا من أبناء الفلاحين والكادحين عامة من براثن الجهل والمرض والفقر المدقع فكيف حدث أن بقيت نسبة الأمية فى البلاد حتى هذه اللحظة تتجاوز نصف السكان .حقا كيف؟.

ف . ن

من الملاحظ على الحركة الأدبية والفنية خلال السنوات القليلة الأخيرة أنها استقبلت وجوها شابة جديدة تلمست طريقها إلى الانتاج الفعلى من بداية الستينيات على وجه التقريب ،وتعد فى غالبيتها ممن تنفسوا الحياة مع الحرب العالمية الثانية وفى أعقابها.

ولاشك أن صراع الأجيال فى مختلف مجالات الحياة والوجود الإنسانى ظاهرة طبيعية، مهما شاب هذا الصراع من تطرف هنا أو هناك .وفى ميدان الوجدان البشرى لا سبيل إلى إثراء فكر أو فن إلا إذا اغتنى التراث الأدبى على مدى التاريخ بتجارب ورؤى جديدة.

تناقضات

يوليو

شهادات

لذلك ترى «الطليعة» أنه من حق الجيل المصرى الجديد فى الأدب والفن أن تفتح له صفحاتها منبرا ، فيقول كلمته فيما يعن له من آراء وأفكار توجز تجربته الخاصة فى الفكر والحياة .وهكذا توجهت إلى مجموعة كبيرة من شباب هذا الجيل حتى تجئ كلمتهم فى أكثر حالاتها تنوعا وتفصيلا ، غير أنه لم يتيسر لنا عند« النشر» إلا هذا القدر من الاجابات عن الأسئلة التى قدمتها «الطليعة» إليهم.

ومن واقع هذه الإجابات التى أمكن الحصول عليها وأمكن نشرها ، نلاحظ أن أعمار هذا الجيل قد تفاوتت بين ١٨ سنة كحد أدنى و٣٥ سنة كحد أقصى : وكان متوسط العمر لإحدى وثلاثين إجابة هو ٢٩ عاما : ١٤ منهم فوق الثلاثين و١٢ من الخامسة والعشرين إلى الثلاثين ، و٥ من الثامنة عشرة إلى الرابعة والعشرين . يكتب القصة منهم ١٨ والشعر ٩ والنقد ٧ والمسرح ٤ .مع ملاحظة أن بعضهم يزدوج اهتمامه بأكثر من فن كالشعر والمسرح معا ، أو الفن التشكيلى والقصة ، أو النقد والقصة أو القصة والشعر.



وقد توجهت «الطليعة» إلى مجموعة من النقاد والمشتغلين بقضايا الأدب الذين ينتمون إلى اتجاهات فكرية مختلفة وأجيال متنوعة ليقولوا أيضا كلمتهم فى هذه الظاهرة الثقافية الجديدة، ومن بينهم من ينتمى إلى نفس الجيل موضع هذه الدراسة ،وهو الأستاذ سامى خشبه الذى يبلغ من العمر ٣٠ عاما.

وتدرك« الطليعة» أن ظاهرة الجيل المصرى الجديد فى الأدب والفن ليست بمعزل عن ظاهرة الأجيال المعاصرة له فى بقية أرجاء الوطن العربى . لذلك فهى ترجو أن تخصص أحد أعدادها القادمة لاستكمال ما بدأته فى هذا العدد . بل إن هذا العدد ليس أكثر من فاتحة لمناقشة الموضوع من كافة جوانبه ، من مختلف الاتجاهات والأجيال . و«الطليعة» بذلك تدعو كل صاحب رأى فى هذه القضية أن يشارك به على صفحاتها.

وكانت الأسئلة التى طرحتها «الطليعة» على أبناء هذا الجيل (بعد ذكر الاسم والسن والجهة التى يعمل بها ودخله الشهرى وانتاجه الفنى المنشور وغير المنشور).

س١ متى قامت العلاقة بينك وبين الفن الذى تمارسه الآن ، ومتى بدأت الانتاج فيه ؟.

س٢ : ما هو المناخ الذى يسيطر على ممارستك لفنك من حيث:

رضوى عاشور

السن ٢٣ سنة

الجهة التى يعمل بها : معيدة بكلية الآداب جامعة عين شمس

دخله الشهرى ٢١ جنيها

انتاجه الفنى :

-المنشور : مقالات متفرقة بالمجلات

-غير المنشور : مجموعة من القصص القصيرة- رواية لم تكتمل بعنوان «التماثيل المحطمة».

السؤال الأول : قامت العلاقة بينى وبين القصة والرواية فى مرحلة الطفولة ، فى شكل اهتمام شديد بمتابعة معظم التمثيليات الاذاعية ، ثم فى شكل قراءات عديدة ومتنوعة للقصص والروايات العربية والأجنبية بلا أى تفريق بين الغث والسمين : من روايات أرسين لوبين وإجاثا كريستى إلى كلاسيكيات القرن التاسع عشر. فى فترة متأخرة نسبيا -الخامسة عشرة أو السادسة عشرة -بدأت هذه القراءات تخضع لشكل من التنظيم والانتقاء.

بدأت الإنتاج فى الثامنة عشرة، وكنت فى السنة الثانية بكلية الآداب.

السؤال الثانى:

عموما لا تربطنى علاقات وطيدة مع عدد كبير من الفنانين . ولكن العلاقة بينى وبين من أعرفه منهم سواء من جيلى أو الجيل السابق علاقة طيبة ، يدور بيننا فى أحيان كثيرة نقاش خلاق يؤدى إلى نوع من وضوح الرؤية وبلورة للأفكار بصرف النظر عن اتفاقنا أو اختلافنا فى الموضوع المثار ومع هذا فإننى أعتقد أن هذه العلاقة بين بعضنا البعض وبين الجيل السابق والجيل الأسبق يجب أن تنظم فى شكل ندوات ومناقشات تكون حوارا مفتوحا تمكننا من تبادل وجهات النظر والاستفادة من خبرة الأجيال السابقة.

أعتقد أن مناقشة العلاقة بينى وبين المجال الذى أعمل فيه ، وهو الجامعة ، يمكن تناولها من زاويتين : الأولى هى اتصالى بهذا المكان وتفاعلى معه ،كجزء من اتصالى وتفاعلى مع المجتمع عموما ، أتحسس مجموعة من الشخصيات والنفسيات والمواقف التى تزيد من خبرتى بالعالم المحيط وتمدنى بجزء من المادة الإنسانية التى أتناولها فى فنى .

أما الزاوية الأخرى فهى الوجود فى الجامعة بإمكاناتها اللامحدودة فى الفكر الطليعى والنقاش والأخذ والعطاء . وهذا ما يجب أن يكون ، والواقع مغاير . كانت القصائد التى ألقيت فى مهرجان الشعر بجامعة عين شمس فى العام الماضى كلها بلا استثناء قصائد تقليدية.

ويبدو أن اللجنة المشرفة على المهرجان رفضت ماعداها ومع هذا فلم يكن هناك ولا

«مشروع جوهرى» واحد! نوع آخر من الندوات والمناقشات مطلوب ..عناصره بدون شك متوفرة.

فى ميدان الأدب عموما اعتقد أننا جيل تعلم وما زال على يدى نجيب محفوظ والحكيم ويوسف ادريس ويعد وهبه ونعمان عاشور والسياب والبياتى وصلاح عبد الصبور (ولعل كلامى ينطبق أكثر على أبناء المدينة) . أعتقد أننا نكاد نجهل طه حسين والعقاد ورفاقهم ممن تتلمذ عليهم الجيل السابق .قد نقرأ لهم كجزء من التراث ، ولكننا لم ننشأ فى حظيرتهم.

أعتقد أن الثورة على الأجيال السابقة لا تأتى من أجل ذاتها .والتجريب -وهو غالبا أساس الاختلاف -ما هو فى نهاية الأمر وسوى محاولة لفهم أعمق للعالم المحيط .وتعبير أفضل عن رؤانا .الجيل السابق لم يتجمد وهو ما يزال يعبر عن نفسه بطرق جديدة. ومع هذا اعتقد أننا نكتب وسوف نكتب بطرق جديدة ،لأننى أعتقد أنه ليس للتجريب حد أو نهاية . أن المادة الإنسانية التى بين أيدينا والزوايا التى نتناول منها هذه المادة هى التى تفرض وسوف تفرض أشكالا أخرى جديدة. وفى معرض حديثى عن الأجيال الفنية السابقة لا أشير إلى موقفنا من صالح جودت والعوضى الوكيل ويوسف السباعى وإحسان عبد القدوس لان هناك من جيلهم من رفضهم وتجاوزهم.

السؤال الثالث يمكن تلخيص المؤثرات المختلفة التى تؤثر فى انتاجى الفنى فى النقاط التالية:

بيئة بورجوازية : بمتناقضاتها الحادة وزيفها الصارخ .وتعصبها التشنجى . استكشاف الإنسان سيد الصورة. إمكانات الخير والشر الكامن . إمكانات تحقق ..إمكانات تكتب ، مواجهة» تخطى «صراع» .قضايا عديدة بطرحها الإنسان اتلمسها من داخل الإنسان وليس من كتب الفلسفة «روائع الأدب» .علم النفس الفرويدى . التاريخ تخفئ بعض جوانب الطريق . الإنسان فى المكان (الإنسان فى المجتمع كجزء من الطبقة) الإنسان فى الزمان .الفكر الماركسى .والفكر الوجودى يساعدان على نوع من شمولية النظرة.

المؤثرات الفنية: الأدب الحديث عموما . السينما كفن من فنون العصر وإمكانية الاستفادة من التكنيك السينمائى -الأفلام التجريبية- فى التعبير عن رؤية الروائى بشكل أكثر فعالية . الفنون التشكيلية.

المادة الإنسانية التى بين أيدينا خصبة وهى تسمح فى الوقت ذاته بتناولها من زوايا عدة. ولعل الشكل الروائي يسمح بذلك أكثر من أى شكل آخر . عندما يكون التركيز على النفس الإنسانية المتوترة النابضة فإن تيار الشعور وكتابات فرجينيا وولف وجويس والرموز الفرويدية تلعب دورا فى كتاباتى. وعندما ابتعد قليلا لأرى الإنسان والخلفية-وليس الخلفية

من داخل الإنسان كما في الحالة الأولى- أعتقد أنني وجيلي نتأثر بعدد من الروايات المصرية أرخت لتاريخنا الحديث . عودة الروح للحكيم ، وثلاثية نجيب محفوظ ،والباب المفتوح للطيفة الزيات ، تشكل العمود الفقرى لهذا العدد الكبير من الروايات المصرية توفيق الحكيم :١٩١٩-نجيب محفوظ :١٩-١٩٤٦ -لطيفة الزيات:٤٦-١٩٥٦ . أعتقد أن على جيلنا أن يكمل هذا الخط.

اننا كجيل مسئولون ،وأعتقد أننا وأعون بهذه المسئولية وكمشروع أدبى أعتقد أن للفن رسالة . وأن الفنان ملتزم بقضايا عصره ،وهذا الالتزام قد يكون التزاما مباشرا كالتزام جوركى فى الأم». وقد يكون التزاما بالإنسان وليس بقضية بعينها . رسالة الفن فى نظرى أكبر من مجرد تعليم الناس شيئا أو دفعهم إلى الثورة بشكل مباشر . أن الفن له وظائف عديدة ، من أولها فهم الإنسان لذاته ، والعالم المحيط ،وتفجير امكاناته الكامنة.

القضية التى تقلقنى ، وأعتقد أنها أيضا تطرح بالنسبة لعدد من أبناء جيلى هى: كيف يمكن أن نصل بانتاجنا على ما فيه من تعقيد إلى الجماهير العريضة؟.

كيف يمكن أن نساهم بكتابتنا -وهى التى تتخذ موقفا ثوريا من قضايا العصر عموما -وقضية التحول الاشتراكى والعدوان الإسرائيلى بوجه خاص -فى التقدم والثورة إذا كانت كتاباتنا لا تصل إلى الجماهير العريضة.



أمل دنقل

السن ٢٩ سنة

الجهة التى يعمل بها : منحة تفرغ من وزارة الثقافة

دخله الشهرى:

انتاجه الفنى:

-المنشور : ديوان «البكاء بين يدى زرقاء اليمامة» نشرته دار الاداب اللبنانية.

-غير المنشور: ملحمة شعرية عن حفر قناة السويس.

السؤال الأول: فى عامى الثالث عشر بدأت قراءة منتظمة للقصص والروايات التى كنت استعيرها من أصدقائى أو من مكتبة المدرسة ، وكنت أنتوى أصير قصاصا -وفى عامى السادس عشر عبرت تجربة عاطفية حين أردت التعبير عنها لم تكن هناك حوادث مهمة تصلح مادة لقصة ،وهكذا اضطررت إلى التعبير عن انفعالاتى بالشعر ،ومنذ عام ١٩٥٦ الذى كتبت فيه أولى قصائدى المكتملة نسبيا لم أتوقف عن كتابة الشعر إلا عام ١٩٦٢ أثر أزمة حادة نشأت بينى وبين نفسى عن جدوى الكلمة فى مجتمع بدا لى وقتها أنه لم يعد يصغى إلا لهدير الاذاعة ومبالغات الصحف. ثم عدت للكتابة عام ١٩٦٦ بعد أن وصلت إلى مفهوم «قلها وامض» ،وهو المفهوم الذى يسيطر على حتى الآن.

السؤال الثانى : العلاقة بينى وبين الشعراء تخضع لقوانين المجاملة نظرا لحساسيتهم المفرطة تجاه بعضهم، وتكاد علاقتى تصبح ذات أثر على وعلى من حولى حين تتصل بالقصاصين ، فهناك حركة طليعية ومناقشات جادة بين كتاب القصة الجدد . أما علاقتى بالأجهزة والمؤسسات الثقافية فلا تتحكم فى حياتى إطلاقا ولا تؤثر فى إنتاجى ، ربما لأن هواية النشر (التى تتيحها لى هذه المؤسسات)تأتى فى المرتبة الثانية بعد هواية الشعر بالنسبة لى.

* لا أعمل فى أى مجال

علاقتى بالأجيال الفنية السابقة علاقة ودية ، ربما لأنى أقدر تاريخهم ، فمن كانوا روادا ومجددين يوما ما لا ذنب لهم فى عدم استمرار شبابهم الفنى بحكم قوانين التطور ، والذين لم يكونوا مبدعين فى الماضى وفى الحاضر لن يستطيع غضب كل الشباب عليهم أن يخصب مواهبهم.. أننى لا أقتبس من الماضى إلا ما هو مشع ومضئ فيه ، ولا أطلب العطاء إلا من المستقبل.

السؤال الثالث: المؤثرات الاجتماعية والفكرية والفنية التى تشارك فى إبداعى الفنى هى نفس المؤثرات التى تشارك فى إبداع جيلى ، فغالبية هذا الجيل من أبناء الطبقة الوسطى التى تلقت تعليما عاديا وتفتحت على الآداب التى شاء جيل التحرر السابق أن تنفتح عليها ابتداء من جوركى وديستويفسكى إلى تنيسى وليامز وجيمس جويس فى القصة والرواية ومن ماياكوفسكى إلى اليوت فى الشعر ومن شكسبير إلى بريخت فى المسرح ومن الماركسية إلى الوجودية فى الفلسفة. ولا أستطيع أن أحدد.



عبد الحكيم قاسم

السن ٣٤ سنة

الجهة التى يعمل بها : الهيئة العامة للتأمين والمعاشات «متفرغ الآن»

دخله الشهرى١٨ جنيها

انتاجه الفنى:

-المنشور : أيام الإنسان السبعة «رواية».

-غير المنشور: محاولة للخروج «رواية»- الأشواق والاسى «مجموعة قصص» -حكايات حول حادث صغير «مجموعة قصص».

السؤال الأول: لعلها تلك الأمسيات الطيبة المضاءة بالفانوس فى ردهة دوارنا، كان الرجال يجتمعون حول الأحاديث الطلية، يطرقون ساكنين والكلام يترى محملا بالشجن ، شئ مختلف عن الواقع اليومى المترب الساخن من لهب الشمس.

كنت أحلم أن أتربع على الأريكة ذات مساء وحولى الرجال مفتوحى القلوب والاذان ،

وأنا أحكى الحكايات الحزينة.

وحدث أننى –وكنت تلميذاً فى المدرسة الابتدائية فى ميت غمر– جمعت التلاميذ من حولى أمليهم (موضوعا إنشائيا) عن رحلة فى النيل وكان العيال فرحين بكلماتى الغريبة عن حقول القمح التى كالذهب .. كان هذا رائعا ، لكننى حين تسلمت كراستى من المدرس كانت الصفحات مزركشة بالعلامات الحمراء ، إنكسرت جسارتى وانكمشت على نفسى.

لم تكن حياتى فى بيت جدى فى ميت غمر سعيدة أبدا، وكم حلمت أن أكون واحدا من هؤلاء الصغار الاتين من القرى مثلى يتكدسون فى الغرف القديمة ويحيون حياة مرحة حرة بلا رقيب ، حولت حلمى إلى صفحات كثيرة تحكى عن شاب يعيش وحده فى غرفة على السطوح ويقع فى حب جارته ..كان حلما رائعا .وكأننى لم أصدقه فانهيته نهاية فاجعة ،انتحرت الفتاة وجن الفتى.

تناقضات

يوليو

شهادات



وانتقلت إلى المدرسة الثانوية فى طنطا ، أسافر لها كل يوم من قريتى البندره ، كان العيال يتشممونى ويقولون أن رائحتى دخان ، كنت أعلق بذلتى فى مسمار فى حائط الغرفة ذات الفرن الذى يوقد بالليل لتدفئتنا، كنت زريا شاحبا بين الأولاد المتوردين اللامعين ، كنت أجلس على آخر درجة من السلم الصاعد لعربة القطار ،وفى صخب القطار والريح أرفع عقيرتى بأبيات من الشعر صنعتها لنفسى.

وفى الجامعة ، فى الاسكندرية بقيت أكتب إبياتا من الشعر كل آن ، وأكاتب أصحابى ، رسائل طويلة ملؤها القهر والخوف ، لكنها مذيلة بالوعود ..أشياء عظيمة سوف أنجزها ، لكننى لم أكن أدرى بالتحديد ما هى هذه الأشياء.

ثم كتبت مرة قصة أسمها «العصا الصغيرة» عن طفل صنع لنفسه عصا صغيرة واحبها ، تقدمت بهذه القصة فى مسابقة نادى القصة عام ١٩٥٧ ولكنها لم تلفت نظر أحد.

بعد ذلك بقليل دخلت حياتى مرحلة إضطراب عظيم، لكننى خرجت بحقيقة صغيرة واضحة، أنا لا أجيد شيئا غير الكتابة ، الكتابة أو لاشئ ، الفراغ إلى العدم.

السؤال الثانى: إلى وقت قريب جدا لم أكن أعرف أحدا من زملائى الكتاب الشبان ، ولم أكن أقرأ لهم، ثم بدأت موخرا اعرفهم واتردد على نفس الأماكن التى يترددون عليها ، وأنا أحبهم ، هؤلاء الذين لا يملكون إلا أقلامهم ولا يقدمون إلى الصفحات السودة وهى دائما شئ مشكوك فى قيمته –أنهم عصبيون ومتحاسدون ويضربون فى كل اتجاه–وفى الاتجاه الخطأ فى أحيان كثيرة– لكنهم نبلاء يعيشون مأساتهم بصدق وجرأة.

ولم تقم بينى وبين (مؤسسة ما) أى صلة ما عدا دار الكاتب العربى حال طبع روايتى« أيام الإنسان السبعة» والان اتردد على إدارة التفرغ ، ومن حظى أن الأستاذ يحيى حقى متحمس لمنحى التفرغ ، ولى أمل كبير فى الحصول على هذه المنحة.



وأنا أعمل فى الهيئة العامة للتأمين والمعاشات فى أدنى درجة من درجات السلم من حيث السلطة، وذلك يعنى أننى فى المقدمة من حيث المسئولية ، نحن الموظفون خائفون دائما ..من الخطأ ..من العقاب .. من غضب الرؤساء ..من نفاد النقود قبل آخر الشهر، وعلى ذلك فنحن حذرون مداهنون مرتعدون إلى النخاع . وهذا يعنى الغاء كل العواطف النبيلة والمواقف الإنسانية ، وإذا امتدت بين بضعة افراد وشائج من التبادل الصادق الودود ، دارت قرون الاستشعار حول نفسها باحثة ، وحملقت العيون المرعوبة دهشة ، واهتزت الاسلاك بالوشاية ، وانقض الأمر الادارى يفرق ما اجتمع وينشر الذعر ويعيد الموظفين إلى القواقع التى يحملونها فوق ظهورهم جاهزة للهرب.

لعل الأمر بدأ يتحول إلى ما يشبه مباريات الكرة، وانقسام المتحمسين إلى أهلى وزمالك .. لقد قرأت هذه العناوين على رأس حديث أجراه الشاعر« أحمد حجازى» مع الدكتور لويس عوض» فى مجلة «صباح الخير»:

* أدب الشبان ليس خطيراً وليس عميقا.
* ليس صراع أجيال بل محاولة لهدم الكبار.
* لن أكتب عنهم فلدى أعمال أهم.
* لا أتنبأ بأن تخرج منهم مدرسة أدبية جديدة.
* الجيل السابق يمر بأزمة نفسية وسوف يقول أكثر مما قال .
* لماذا يصرخون وأسماؤهم تتردد فى الصحف والاذاعة والتلفزيون.

وحينما قرأت بنفسى صلب الحديث وجدت أن الدكتور يرى فى الشبان :

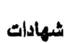
* هم فنانون فى طريقهم إلى النضج.
* كل ما اراه فيهم مواهب شابة تجتهد لإخصاب حياتنا الأدبية والفنية ولكنها لا تزال فى أول الطريق وهى بحاجة إلى رعاية وحماية.
* إن رعاية الأساتذة لابنائهم لا تتمثل فى الكتابة عنهم بقدر ما تتمثل فى حمايتهم واعانتهم على رعاية مواهبهم.
* ليس منهم من طرق بابى وتأكدت من أن لديه موهبة إلا وعاونته فى حدود استطاعتى.

وأذكر أننى قابلت «يوسف ادريس» للمرة الأولى فى مكتبه بجريدة الجمهورية وقدمت له ثلاثا من قصصى القصيرة قرأها جميعا أمامى ، ويومها وجدت أن رغبتى فى أن أكلمه أكبر من رغبتى فى سماع رأيه فى قصصى ، كلمته كثيرا باندفاع ولهفة عن آخر قصة قرأتها له« لغة الآى آى» .كان السرطان فى جسد الريفى المريض هو ألمى أنا ، والآى آى هى حرفتى أنا، ويومها كلمنى «يوسف ادريس» عن نفسه ، عن أزمته ، عن تناقضه المرير مع واقعه اليومى ، وخرجت من عنده مشحونا بطاقة هائلة ، ثمة إنسان آخر يتعذب.

أننى أوافق «الدكتور لويس عوض» على أننا لا ننتمى إلى مدرسة جديدة فى الأدب ، لكننى أضيف أن ذلك ليس عيبا ، أن المدارس الجديدة فى الفن والأدب(لا تنشأ) بقرارات ، إنما توجد نتيجة لتغيرات اجتماعية أساسية- ونحن -الأدباء الشبان -ننتمى إلى نفس الهموم والأحزان والمخاوف التى شكلت وجدان الجيل المستقر(كما يسميه الدكتور لويس).

وحينما يحدث التغيير الكامل فى أساليب حياتنا وفى بنية مجتمعنا وفى شكل وجداننا وحين تعجز الاقلام المعاصرة عن استيعاب هذا التغيير فانها لن تجد من يلتفت لها وسوف تكتسحها أقلام أخرى فتية.







السؤال الثالث: قبل يوليو ١٩٥٢ كان المجتمع المصرى مجتمعا زراعيا فقيرا متخلفا فكريا وحياتيا، وكان الناس يحلمون بالتغيير ، بمجتمع آخر متقدم يسود افراده العدالة والحرية واحترام القيم الإنسانية.

وبقيام الثورة سقطت الطبقات صاحبة المصلحة فى الوقوف فى وجه التغيير ، وأصبحت الظروف مواتية للبدء فى عمليات طويلة ومعقدة هدفها خلق مجتمع جديد من أنقاض هذا المجتمع القديم.

لكن الناس سقطوا فرائس وهم فى غاية الغرابة ، حينما جاءهم صوت المذيا ع يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ معلنا الثورة صاحوا فرحين (لقد تغير المجتمع) والمجتمع يومئذ لم يكن قد تغير ، وهو إلى الآن-رغم الانجازات العظيمة -لم يتغير تغيرا أساسيا.

وربما يعزى هذا الوهم إلى خلو حياتنا السياسية قبل الثورة من تنظيم جماهيرى فعال يؤمن بالثورة إيمانا علميا ، ويبشر بها تبشيرا واقعيا ويحطها فى ذهن الجماهير كمسئولية هائلة شرارة تندلع فى كيان المجتمع فتحوله إلى شعلة من عمل لا يهدأ لتحقيق أحلامه ، لم يعرف الشعب (الثورة) إلا من كتابات المثقفين الحالمين ، ولم يعرفها إلا كنتائج باهرة جاهزة.

ربما كان هذا هو السبب ، لكن المؤكد أن النتيجة كانت هذا الوهم وكما يوجد بين أى تجمع من خمسين شخصا بائع سجائر ، وجد بين الناس عشرات من الناس يأكلون عيشهم من ترديد الدعاوى العالية الصوت عن مجتمعنا الصناعى وعن التكنولوجيا فى حياتنا ، وصدرت صفحات مزينة بريفيين يبتسمون سعادة ، وعمال يقضون عطلة آخر الأسبوع فى الحدائق الغناء.

لكن الصاق النتيجة بالوجه الآخر لعملية البداية، والغاء المراحل الطويلة من العمل الثورى البانى تكون نتيجته الوقوع فى ورطة لا يكون ثمة سبيل للخروج منها إلا الاغراق فى الوهم حتى تصديقه ، وشجب وضرب أى حديث واقعى مخلص يرى ما حوله رؤية صادقة.

أيا ما كان الأمر ، فمن حيث إن المجتمع قد تغير تماما- فى زعمهم -فلابد أن يلد هذا

الجديد فى المجتمع جديدا فى الأدب ، جيلا جديدا من الأدباء الشبان يحتقر القديم ويبصق عليه ويقول ما لم يقله أحد!.

عن نفسى لا أعتقد أننى شئ مغاير لجوهر طه حسين أو توفيق الحكيم أو نجيب محفوظ أو يوسف ادريس أو يحيى حقى ، أننى امتدادا لهؤلاء مصنوع منهم ، أحملهم فى دمى ، اختلف عنهم طبعا لكننى لست جوهرا مغايراً.

يجب أن نفهم ثورتنا فهما سليما وإلا نلقى بمسئولية تقدمنا على عاتق فرد أو أفراد ، بل نتقدم لتغيير أنفسنا ، وأن نضع الاتحاد الاشتراكى كتنظيم سياسى قائد بحيث يخرج من صفوف الناس خروجا طبيعيا صحيحاً.

أننا مازلنا نعيش مجتمعا هو-فى الأساس- مجتمع زراعى فقير، إلى جوار مجتمعات صناعية هائلة تمد اذرعا فولاذية تطول بها القمر ، وتمد ذراعا استعمارية تغرس كفها على أرضنا ، وتدفع أصابعها لتدخل من أعتابنا وتأخذ برقابنا ، أن التخلف بالنسبة لنا يعنى الموت ، الموت بكل معنى الكلمة خلوا من المبالغة أو التهويش.

تناقضات

يوليو

شهادات



إسرائيل بالنسبة لنا ليست تحديا عسكريا فقط ، لقد كان بالوسع تجنب ما حدث فى الخامس من يونيو ٦٧ . وبوسعنا أن نهزم إسرائيل وسوف نحرر أرضنا من الوجود الإسرائيلى ، لكن ليس هذا هو التحدى الوحيد ، لقد وضع النظام الاستعمارى العالمى فى منطقتنا دولة صنعها على عينه ووضع تحت تصرفها كل امكاناته ، دولة أكثر تقدما منا معادية لنا متربصة بنا على عتبة دارنا ، القضية هى أن نطور أنفسنا أو نموت.

ليس عيبا أننا متخلفون ، الجريمة هى أن تنكر تخلفنا ونجهجع بالترهات . تلك جريمة يمكن أن يكون عقابنا عليها الموت.

لنواجه انفسنا بواقعنا صراحة وبلا هروب ، ولنواجه العالم الرأسمالى بمسئوليته عن تخلفنا ، لقد نزحوا ثرواتنا لعشرات من السنين وكدسوها فى قصور دورهم ، عليهم الان أن يساعدونا ، علينا أن نطالبهم بهذا ، وأن نحول مطالبتنا إلى قضية يتبناها المنصفون من قادة جماهيرهم ، وشعارات يحملها شبابهم الثائر الزاخر بالسخط عليهم.

الشباب فى أوروبا وأمريكا بدأ يفيق على حقيقة آبائه- العظام الشامخين -كمشعلى حروب ومصاصى دماء وناهبى ثروات الشعوب . بدأ يعرف ما هو شرف مبادئهم وقيمة حضارتهم الشامخة المبنية من الجماجم .. رفضها ورفضهم جميعا . وبدأ يكتب لنفسه أدبا لم يكتبه احد. يرتدى ثيابا على غير طراز ، يطلق شعره على غير نمط، شبان فرسان يقفون فى وجه الآباء يشهرون الرفض التام ، يبصقون فى وجه زيفهم ، يصرخون فيهم ذات الصرخات التى يطلقها المحاربون فى جنوب آسيا وفى أفريقيا السوداء وأمريكا اللاتينية.

هؤلاء الشبان هم أصدقاء قضيتنا ، كيف نرفضهم أو نسخر منهم، علينا أن نحبهم وأن نقرأ لهم، ندعوهم عندنا نشرح لهم أنفسنا .

تخلفنا من صنع آبائهم ، نجمة إسرائيل هى ذات الجمجمة والعظمتين على صوارى سفن القراصنة أجدادهم ، فليأتوا الينا ، يرونا ويكتبوا عنا يساعدونا باقلامهم وسواعدهم.

نحن ابناء الاباء الفقراء المرضى بالبلهارسيا الذين ماتوا خلف المتاريس فى شوارع القاهرة وخلف التحصينات فى كفر الدوار، نحن لا نرفض آباءنا ، نحبهم ، نحملهم فى قلوبنا ونحن ننطلق من الدور والمخيمات لنقتل عدونا ونبنىَ دارنا .

نحن استمرار لملحمة خالدة هى كراهية القهر والخوف والفقر والتخلف.

محمد إبراهيم أبو سنة

السن ٣٢ سنة

الجهة التى يعمل بها : الهيئة العامة للاستعلامات

دخله الشهرى : ٢٢ جنيها

انتاجه الفنى

- المنشور : قلبى وغازلة الثوب الأزرق -حديقة الشتاء- فلسفة المثل الشعبى.

-غير المنشور : مسرحية «عمر مكرم» -مسرحية «حمزة العرب»

-ديوان شعر« هشيم الأشجار الحمقاء.



السؤال الأول: بدأت العلاقة بينى وبين الشعر وهو الفن الذى أزاوله ، فى سن مبكرة جدا فى سن التاسعة تقريبا عندما هجانى أحد أساتذتى فى المرحلة الابتدائية على سبيل المزاح ، فقد كنت مشاكسا إلى حد ما . ولفت نظرى لأول مرة أن الشعر يختلف عن الكلام العادى وتأكد هذا الاكتشاف خلال المظاهرات التى قامت قبل الثورة مباشرة ، وكانت الشعارات المطالبة بسقوط معاهدة ٣٦ تصاغ صياغة موسيقية تسهل حفظها . ولكن بداية انتاجى الشعرى وهو إنتاج لا صلة له بأصول الشعر الحقيقية فى ذلك الوقت فقد كانت بدايته عام ١٩٥٤ وكانت البداية لا تبشر بالخير كثيرا وخاصة بعد أن أطلعت على إنتاج هذه الفترة منذ وقت قصير . فلو أتيح لشاعر ناضج أن يرى هذه البداية لنصحنى بتوفير وقتى وجهدى والاتجاه إلى مجال آخر.

السؤال الثانى: لقد كان فهمى لدور الشعر ورسالته ، كسراج يضئ الطريق إلى الحقيقة وينشد الجمال ويتغذى بالحرية .، وهو أولا وأخيرا ، ككل نشاط إنسانى هدفه تدعيم التواصل بين البشر . هذا الفهم هو الذى حكم علاقتى بعد ذلك بزملائى الفنانين . فرغم أننى كنت طموحا جدا وأوثر أن أحدق طويلا فى أعلى الدرجات فقد كنت مستعدا للاستفادة من أصغر زملائى وقد رأيت لفترة طوية أن لكل جيل مشاعر مشتركة وقضايا تكاد تلح بصورة مختلفة على مزاج كل منهم. ورغم اختلاف البيئات فإن الفن فى النهاية يشبه البحر الذى يجذب إليه كل الأنهار . والحقيقة أننى شعرت لبعض الوقت بالوحدة

الفنية نتيجة لقلة الأصوات التى كانت تعبر معى مرحلة الوهج الأولى . ولقد قامت علاقتى بالشعراء على أساس من الاعجاب والحب ومحاولة الاستفادة بقدر الإمكان ، مع الاحتفاظ لنفسى بحق الطموح الفنى.

أما الأجهزة- فقد أتيح لى أن أتجه إلى أشرف العناصر الموجودة بها . وهى عادة عناصر تتمتع بالأخلاق الطيبة والنزاهة والرغبة فى التعاون مع الناس وكم المنى أن الشعر لم يكن الفن الذى تطلبه هذه الأجهزة المختلفة بل كانت تنظر إليه فى أغلب الأحيان بمنطق السلعة البائرة . ولو أننى كنت مدفوعا بمثل هذه الحوافز التى يطلق عليها البعض بالحياة العملية لكنت قد توقفت من البداية. ولكن العناصر الشريفة التى لجأت إليها لمعاونتى فى طريقى قد بذلت جهدا كبيرا لجعل سمعة الشعر مقبولة ، وأن تصوره على أنه فن مطلوب . ولكننى أؤكد أن هذه العناصر المثقفة الواعية توشك أن تكون قلة وسط كثرة غامرة من اللامبالين والساخرين من كل ما هو جاد . هذا من حيث علاقتى بزملائى والمؤسسات المتصلة بالفن.

من حيث علاقتى بالمجال الذى أعمل فيه فاننى أضع فى اعتبارى أن جهد الإنسان ينبغى أن يصرف فى عمل مفيد ، ومن الغباء أن يبدد الإنسان طاقته فى صراع هامشى يعطل نشاط الإنسان ويحد من حريته ويضعف من حيويته.



فأنا أحب عملى وأتعاون مع زملائى ، ولكننى أرى مستقبلى حيث يكون قدرى الشعرى.

الأجيال الفنية السابقة على جيلى كانت أسعد حظا لوضوح الرؤية وانسجامها مع التيار الثورى العام . أما جيلى فقد حاصرته الآمال الضائعة والرغبات المحبطة . وإن كان التفتح الثورى قد أضاء بعض الطريق ، إلا أن العواصف لم تكف لحظة واحدة عن إثارة المتاعب أمام جيلنا حتى اضطربت الأشياء . وأنا شخصيا معجب بعدد من كتاب الجيل السابق على جيلى . ولكننى أرى أن قلة منهم فقط قادرة على تذوق المعنى الجديد للحياة والفن عند جيلنا .إننا جيل محاصر ، ولكن الجيل السابق علينا كان جيلا يملك القدرة على الانطلاق . ولم يحتج جيلنا لقيمه مثل حاجته إلى الحرية التى ناضل الجيل السابق من أجلها ويبدو أنه خسر المعركة ، وأنا أنتمى نفسيا إلى بعض أجواء الجيل السابق ولكننى فنيا أنتمى إلى نفسى فقط . وأدين لهذا الجهد الذى بذلته للحصول على زاد من القراءات الأجنبية . أننى أحترم الجيل السابق على جيلى ولكننى أعترف أنه أعطانى القليل.

السؤال الثالث: لم أنس للحظة واحدة أننى قادم من الريف ورغم أننى حضرت فى سن التاسعة من عمرى إلى المدينة ، فاننى كنت دائم العودة إلى القرية أثناء الاجازات الطويلة . ولعل ذخيرتى من المشاعر الإنسانية تعود فى معظمها إلى الريف المصرى، لقد روعتنى تعاسة هذا الريف وأذهلنى تعاونه وتضامنه . وكانت الروح الجماعية فيه هى ملاذ روحى عندما تكاد هذه الروح أن تتفطر شفقة على هؤلاء الناس.



أن الريف فى نظرى يعنى التعاسة والبراءة والتعاون وروح الجماعة ووجدان الجماعة. ولكن على المستوى الفردى كانت هناك تعاستى الخاصة التى نشأت نتيجة لظروف خاصة، وفى المسافة الشاسعة بين بؤس القرية وأنانية المدينة ، بين البراءة المنعزلة والحشد الضائع ، أقمت منظارى الشعرى.

لقد تأثرت أبلغ التأثر بمشاكل مجتمعى سواء كان المدينة أو القرية، وتأثرت فكريا نتيجة لذلك بالفكر الوجودى والماركسى وتأثرت فنيا بكل الاتجاهات الناضجة فى الشرق والغرب.' ولكن الإنسانيين هم الذين تركوا آثارهم واضحة خاصة تولستوى وتشيخوف . ودخل الاتجاه الرومانسى فى الشعر والرواية كعنصر أساسى فى تكوينى الفنى، وهذا ما جعل شخصيتى الفنية تتكون من عنصر الفكر الاشتراكى والرومانسية الثورية والإحساس بالوحدة الوجودية فى حالات كثيرة.

وأيضا قادنى هذا بالطبع إلى الترحيب بالتحول الاشتراكى فى بلادنا كوسيلة للخلاص بالنسبة للطبقات المقهورة . وعندما وقع العدوان الإسرائيلى كانت الصدمة فوق طاقة الاحتمال.

ولكننى رأيت أن الوقت غير ملائم لتوجيه اللوم والتقريع وتعنيف النفس العربية ،بل إننى رأيت الوقت مناسبا لشحذ الهمة وتوكيد العزم على النضال .أما بالنسبة لقضايا العالم المعاصر فإن الانتصار الدائم للمعسكر الاشتراكى يمثل لى الأمل فى سبيل سعادة البشرية.

وأن الغضب ليجتاحنى حين أبصر هذه الفروق الهائلة بين دول العالم الثالث ودول العالم المتقدم . إن هذه الهوة تعكس وضعا خلقيا محزنا بالنسبة للجنس البشرى ، وأرى أننى مع العالم الثالث فى تقدمه البطئ والإنسانى معا .. هذا العالم الذى يضم أغلبية البشر.

صبرى حافظ

السن ٢٨ سنة

الجهة التى يعمل بها : المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب

دخله الشهرى٢٥-٣٠ جنيها أو أقل قليلا

انتاجه الفنى

-المنشور : وهى أكثر من ١٠٠ دراسة نقدية تتناول إما بعض القضايا الأساسية فى الأعمال الفنية وتتبعها لدى عدد كبير من الكتاب أو مناقشة بعض الأعمال الفنية سواء كانت شعر أم رواية أم أقصوصة .. وقد نشرت هذه الدراسات فى عدة مجلات وصحف عربية مختلفة منها (المجلة والكاتب) و(المساء) فى مصر و(الآداب) و(العلوم) و(دراسات

عربية) و (الحرية) و(الأديب) فى بيروت (والمعرفة) و(الثورة) فى دمشق (والرائد العربى) فى الكويت ..وغيرها.

-غير المنشور: مسرح تشيكوف «مدرج ضمن خطة دار الكاتب العربى عام ٦٩/ ١٩٧٠ » مأساة فلسطين فى أدبنا الحديث «سيصدر بعد شهور عن دار الآدب ببيروت» -الشعر السوفيتى الحديث «دراسة لهذا الشعر طوال الخمسين عاما الماضية ومنذ الكسندر بلوك حتى اليوم. مع نماذج مترجمة لأكثر من عشرين شاعراً وتبلغ أكثر من ٨٠ قصيدة» -حاضر الأقصوصة المصرية» و«هى دراسة منجزة خلال عام من التفرغ الذى منحته من وزارة الثقافة ونفذته عام ١٩٦٥ .وهى دراسة نقدية طويلة تتبع مختلف اتجاهات الأقصوصة المصرية وتياراتها منذ عام ١٩٢٥ حتى عام ١٩٦٥ ..مع دراسة لمستقبلها من خلال أعمال أغلب الناضجين من الشباب»-الاتجاه الروائى الجديد عند نجيب محفوظ« دراسة نقدية للمرحلة الروائية الأخيرة من إنتاج هذا الفنان الكبير منذ (اللص والكلاب) حتى(ميرامار) -شاعران عراقيان «دراسة نقدية من أعمال البياتى والسياب الشعرية» -تنويعات على لحن واحد (مجموعة قصص قديمة).



السؤال الأول: بدأت علاقتى بالأدب قارئا نهما منذ عام ١٩٥٢ ،وكاتبا منذ عام ١٩٥٩ حيث كتبت القصة القصيرة ثم بدأت فى كتابة النقد والمقالات الأدبية. وقد نشرت قصصى القصيرة ودراساتى النقدية للمرة الأولى عام ١٩٦٢ فى كل من جريدة(المساء) و(الآداب) البيروتية . ومنذ عام ١٩٦٢ حتى الآن وأنا أواصل كتابة الدراسات النقدية ونشرها فى مختلف المجلات الأدبية الكبيرة فى العالم العربى ومصر .وقد حصلت على منحة التفرغ لمدة عام لاعداد دراستى النقدية عن (حاضر الاقصوصة المصرية) عام ١٩٦٤ وقمت بهذه المنحة عام ١٩٦٥-١٩٦٦ ،نظرا لأن ظروف عملى أخرت تنفيذى لها لمدة عام كامل.

السؤال الثانى: أعتقد أننى أعيش فى ظروف سيئة إلى حد ما خاصة من الناحية الاقتصادية فكل الكتب التى أريد قراءتها واقتناءها لا أستطيع الحصول عليها ، والظروف التى يعيشها الأديب الشاب فى ظل تسلط الوظيفة الجهنمى بدفاتر حضورها وانصرافها.

والاحساس الحاد بضرورة أن يثقف نفسه بشكل كامل ، وأن يعكف لفترات طويلة على أصول المعرفة البشرية الأساسية اللازمة لتكوين عقل حديث جدير بمعايشة مشاكل عالمنا وقضاياه، قادر على التفكير فى تلك القضايا والاحاطة بكل جوانبها ،الإحساس بضرورة هذا والعجز عن تحقيقه بشكل كامل هو الذى يوقع الكاتب الشاب فى براثن أزمة رهيبة ..فنادرة تلك اللحظات التى يشعر فيها بالرضى عن نفسه والاطمئنان لمستقبله .فالظروف التى يعيشها تدفعه فى اليوم ألف مرة لأن يكفر بالثقافة.. ولأن يهتف مع ابن سليمان فى سفر(الجامعة) الكل باطل وقبض الريح.. لأن يكفر كل لحظة بالثقافة ثم يلوح له شئ يدفعه إلى معاودة الايمان من جديد.. ولكنه ما يلبث أن يصطدم بجمود جديد وبعراقيل جديدة ،

وبتشوهات جديدة ويستمر «كسيزيف» يدفع الصخرة ولا يصل بها إلى قمة الجبل أبدا . لأنه يصطدم كل لحظة بمفاهيم الأجهزة الثقافية المتخلفة. وباكتظاظ الحقل الثقافى بالمدعين وعديمى الموهبة. وبعشرات الناس الذين يتسللون إلى واجهات الحياة الثقافية كوباء . بل بكثير من الأدباء الشبان– من أبناء جيله– الذين لا يعرفون ماذا يريدون ، ولا يقرأون أو حتى يعيشون ..أنه يصطدم بضحالة خبرتهم وبعقم ثقافتهم وبنضوب موهبتهم وبانبهارهم ببعض الحيل والالاعيب التكنيكية الفارغة.

تناقضات

يوليو

شهادات

لكن أهم الأشياء التى يعانى منها الكاتب الجديد –فى اعتقادى –هى افتقاده الشديد للنموذج الذى يمكن أن يجتذبه فكريا وثقافيا وأخلاقيا أيضا.ففى مجال النقد الأدبى الذى أكتب فيه لا أستطيع أن أعثر على ناقد أدبى كبير– فى أى بلد من بلدان العالم العربى قاطبة بما فى ذلك مصر بالطبع –يمكننى أن أقول مرتاحا هذا هو الكاتب الذى أريد أن أكونه بعد عشر سنوات أو عشرين ..أو حتى الذى أريد أن أتجاوزه . فليس ثمة تقاليد متينة فى أى مجال من مجالات الأدب.

وأنا أعرف أن فقدان الثقة ذلك بالأجيال القديمة فكريا وثقافيا وأخلاقيا لا يقتصر على مجال النقد الأدبى وحده بل يتعداه إلى كل المجالات الأخرى . لكنه أكثر وضوحا فى ميدان النقد عنه فى بقية الميادين ..فقل لى بالله عليك ..أين هو الناقد الذى يمكننى أن أقول– بفم ممتلئ –هذا هو أستاذى الذى أريد أن أكون مثله أو حتى أتجاوزه ؟.



فأغلب كتابنا يقدمون أفضل ما عندهم فى سنواتهم الأولى –ثم يفتقدون بعد ذلك من ينصحهم بالكف عن الكتابة والاعتزال وهم فى أعظم مراحلهم حتى لا يواصلون الانحدار . لأنهم غالبا ما يستنيمون –بعد فترات متفاوتة –إلى دعة الرخاء المادى والكسل العقلى معا. ويعجزون تماما عن تجاوز بداياتهم ، المتواضعة بطبيعة الحال ، أو حتى العودة إلى مستواها ، وقد يظهر لهذه القاعدة استثناء أو استثناءان ، ولكنه الاستثناء الذى يؤكد القاعدة وليس الذى يهدمها.

فى ظل هذا المناخ الثقافى الملئ بالشلل وأكلة لحوم البشر ولحومهم أيضا ،والذى يحتل أغلب الواجهات الثقافية فيه أناس يعيشون بمفاهيم القرن التاسع عشر ، يعيش الكاتب الجديد ، وعليه أن يتجاوز كل هذا وأن يحقق مستوى فنياً يواكب به أعمال كتاب بلدان العالم الأخر ..فهو يعرف أن هناك العديد من الدول الأصغر منا حجما والأقل عراقة والتى تقترب فى مستواها الحضارى من مستوانا ، حقق كتابها العديد من الانتصارات الكبيرة وحصل عدد منهم على جائزة نوبل . وهو يعرف أيضا أن عليه أن يكون معاصرا لكل ما يدور فى عالمه ذاك– سياسيا وحضاريا –وأن يحتفظ مع هذا بحسه القومى وبالاصالة التي يستمدها من التغلغل فى وجدان الارض التراثية التى يقف فوقها . ويعرف أيضا أن عليه أن يلتصق بنبض واقعه الوطنى ، وأن يكون قادرا فى الوقت نفسه على استشراف مستقبل

ويتشوهات جديدة ويستمر «كسيزيف» يدفع الصخرة ولا يصل بها إلى قمة الجبل أبدا . لأنه يصطدم كل لحظة بمفاهيم الأجهزة الثقافية المتخلفة. وباكتظاظ الحقل الثقافى بالمدعين وعديمى الموهبة. وبعشرات الناس الذين يتسللون إلى واجهات الحياة الثقافية كوباء . بل بكثير من الأدباء الشبان- من أبناء جيله- الذين لا يعرفون ماذا يريدون ، ولا يقرأون أو حتى يعيشون ..أنه يصطدم بضحالة خبرتهم وبعقم ثقافتهم وبنضوب موهبتهم وبانبهارهم ببعض الحيل والالاعيب التكنيكية الفارغة.

لكن أهم الأشياء التى يعانى منها الكاتب الجديد -فى اعتقادى -هى افتقاده الشديد للنموذج الذى يمكن أن يجتذبه فكريا وثقافيا وأخلاقيا أيضا .ففى مجال النقد الأدبى الذى أكتب فيه لا أستطيع أن أعثر على ناقد أدبى كبير- فى أى بلد من بلدان العالم العربى قاطبة بما فى ذلك مصر بالطبع -يمكننى أن أقول مرتاحا هذا هو الكاتب الذى أريد أن أكونه بعد عشر سنوات أو عشرين ..أو حتى الذى أريد أن أتجاوزه . فليس ثمة تقاليد متينة فى أى مجال من مجالات الأدب.

وأنا أعرف أن فقدان الثقة ذلك بالأجيال القديمة فكريا وثقافيا وأخلاقيا لا يقتصر على مجال النقد الأدبى وحده بل يتعداه إلى كل المجالات الأخرى . لكنه أكثر وضوحا فى ميدان النقد عنه فى بقية الميادين ..فقل لى بالله عليك ..أين هو الناقد الذى يمكننى أن أقول- بفم ممتلئ -هذا هو أستاذى الذى أريد أن أكون مثله أو حتى أتجاوزه ؟.

فأغلب كتابنا يقدمون أفضل ما عندهم فى سنواتهم الأولى -ثم يفتقدون بعد ذلك من ينصحهم بالكف عن الكتابة والاعتزال وهم فى أعظم مراحلهم حتى لا يواصلون الانحدار . لأنهم غالبا ما يستنيمون -بعد فترات متفاوتة -إلى دعة الرخاء المادى والكسل العقلى معا. ويعجزون تماما عن تجاوز بداياتهم ، المتواضعة بطبيعة الحال ، أو حتى العودة إلى مستواها ، وقد يظهر لهذه القاعدة استثناء أو استثناءان ، ولكنه الاستثناء الذى يؤكد القاعدة وليس الذى يهدمها.

فى ظل هذا المناخ الثقافى الملئ بالشلل وأكلة لحوم البشر ولحومهم أيضا ،والذى يحتل أغلب الواجهات الثقافية فيه أناس يعيشون بمفاهيم القرن التاسع عشر ، يعيش الكاتب الجديد ، وعليه أن يتجاوز كل هذا وأن يحقق مستوى فنياً يواكب به أعمال كتاب بلدان العالم الأخر ..فهو يعرف أن هناك العديد من الدول الأصغر منا حجما والأقل عراقة والتى تقترب فى مستواها الحضارى من مستوانا ، حقق كتابها العديد من الانتصارات الكبيرة وحصل عدد منهم على جائزة نوبل . وهو يعرف أيضا أن عليه أن يكون معاصرا لكل ما يدور فى عالمه ذاك- سياسيا وحضاريا -وأن يحتفظ مع هذا بحسه القومى وبالاصالة التي يستمدها من التغلغل فى وجدان الارض التراثية التى يقف فوقها . ويعرف أيضا أن عليه أن يلتصق بنبض واقعه الوطنى ، وأن يكون قادرا فى الوقت نفسه على استشراف مستقبل

اللحظة الحضارية التى يعيشها ويعبر عنها.

أما العلاقة بينى وبين المجال الذى أعمل فيه أو الأجهزة الثقافية التى أتعامل معها فاننى أحس بأنها علاقة طيبة إلى حد ما ..ففى بعض هذه المجالات مازال هناك بعض الاساتذة الكبار الذين يحسون بمسئوليتهم إزاء الأجيال الجديدة وبدورهم فى إضاءة وتيسير الطريق أمامهم كأستاذنا يحيى حقى فى مجلة (المجلة) على وجه التحديد.

وما زال هناك بعض الذين يعطون آذانهم فحسب- للأدباء الشبان ..غير أن هذا كله هو أقل بكثير من الحد الأدنى .وهذا لا يعنى باننى أقول بأن هناك مشكلة نشر فأنا من الذين يعتقدون بأن هناك مشكلة افراط فى نشر عشرات الأشياء التى لا تستحق النشر .وهذه المشكلة فى نفس الوقت تشير إلى طبيعة أجهزة النشر من جهة وإلى أن هناك الكثير من الأعمال الجيدة والموهوبة التى لا تستطيع أن ترى ضوء هذا النشر.

ولكن الذى أريد أن أؤكد عليه هنا هو أن هناك مشكلة أهم وأكبر وهى افتقاد العلاقة الجدلية الحقيقية بين الأجيال المختلفة ..علاقة تبادل التأثير والتأثر.

وهناك ملاحظة مهمة وأخيرة .وهى أن الكاتب الجديد يجد نفسه فى بداية مرحلة التكوين الفعلى من الناحية الثقافية فى فترة تبدأ الكثير من القضايا والمشاكل الاجتماعية فى محاصرته .وهو يبدأ هذه الرحلة فى الوقت الذى يكون فيها قرينه فى البلدان الأخرى قد إنتهى منها وبدأ مرحلة الإنتاج بالفعل .فالكثير من مناهجنا الدراسية ، تساهم فى خلق حائط سميك بينه وبين الفن الصحيح وهذه من أهم أسباب سوء تسويق الأعمال الفنية الجديدة.



هذا من ناحية الكاتب: أما من ناحية الأجهزة الثقافية فإن ثمة تقليدا قديما سائدا يعمل على تنحية الشبان الموهوبين دائما من الأماكن القيادية ويتركهم حتى يكبر سنهم وتشيخ رؤيتهم وتتحجر أفكارهم ثم بعد ذلك يستدعيهم للعمل فى هذه الأماكن القيادية فى المجال الثقافى ..أى أن بداية تأثيرالكاتب الفعلى دائما ما تقترن ببداية تدهوره الفنى والفكرى .كما يبدو أن هناك زواجاً كاثوليكياً بين مرحلة النضج والانتاج الرائد الحقيقى فى حياة الكتاب وبين مرحلة النفور منهم وابعادهم الدائم عن مجالات التأثير.

السؤال الثالث : أعتقد أن المؤثرات الفكرية والاجتماعية والفنية التى تشارك فى تحديد اتجاه رؤيتى للاعمال الأدبية وللواقع الاجتماعى هى كل الروافد المكونة للفكر التقدمى.

زهير الشايب

السن ٣٢ سنة

الجهة التى يعمل بها: دار المحفوظات العربية بالقعة -مترجم لغة فرنسية

دخله الشهرى: ٢٨ جنيها

انتاجه الفنى: القصة القصيرة- الرواية

-المنشور : ثلاث قصص قصيرة بروز اليوسف

-غير المنشور : قصص وروايات قصيرة.

السؤال الأول: بدأ اهتمامى بالقصة فى سن مبكرة ، لكنها كانت واحدة من عدة اهتمامات ،وعندما بلغت حوالى الثامنة عشرة بدأت أولى محاولاتى فى تأليف القصص فكتبت بعض القصص القصيرة ، لكن اهتمامى الأساسى كان الرواية ،وكنت أؤلفها فى ذهنى بأحداثها وموضوعها وأشخاصها ، ثم أنصرف لأخرى بنفس الطريقة دون أن أحاول ممارسة الكتابة ، «وألفت» بهذه الطريقة حوالى ست روايات كبيرة.

وعندما بدأت محاولة الكتابة تبينت الفارق الهائل بين إبداع قصة فى الذهن وبين تنفيذها على الورق ، فتوقفت شاعرا بقلق غريب ، وساعدت ظروف العمل وقتها على الهروب من المشكلة . وعندما تحسنت ظروف العمل وحظيت ، ببعض الفراغ ، ألحت على فكرة معاودة الكتابة . وبالفعل كتبت رواية اسمها «الحقيبة» وهى غير الست الأوليات التى لم أكتب فى احداها حرفا . وبعد حوالى شهرين كتبت رواية أخرى أسميتها «السراب» .وكنت حتى ذلك الوقت -١٩٦٣- بعيدا عن الوسط الأدبى.

وعندما تعرفت على الوسط الأدبى عن طريق ندوة الأستاذ حسين القبانى ، وجدت أن من غير اللائق أن أرتاد مجلس الأدباء دون أن أقدم نفسى لهم فى عمل فنى ، وحيث أن قراءة رواية فى ندوة شبه مستحيل ،فقد بدأت أهتم بكتابة القصة القصيرة وبالفعل كتبت قصة« الغريب» ،وبعدها توقفت مؤقتا عن كتابة الرواية، وبدأت أكتب القصة القصيرة ،ولعل هذا هو السر فى أن معظم قصصى القصيرة تخرج فى شكل القصة القصيرة الطويلة.

وعدت حاليا لكتابة الرواية بجانب القصة القصيرة.

السؤال الثانى : بدأ اتصالى بالوسط الأدبى متأخرا . لكن ذلك لا يمنع من أننى كونت فكرة أعتقد أنها ليست خاطئة عن هذا الوسط:

فبالنسبة لجيلنا ، حسبما خبرته عن قرب وما قرأت من أعماله ، أستطيع أن أقول أن السمة الواضحة والتى تدعو للأسف هى الأنانية والتخرب والشللية .ولعل لظروف النشر غير الصحية التى نواجهها أثرها ، لكن المؤكد أن هذا العيب يتضخم يوما بعد يوم.

ومن جهة ثانية فإن الكثيرين من جيلنا يقعون فريسة لما يتوهمون أنه التجديد ،وكانت النتيجة هذا السيل من الأعمال السطحية والتافهة، التى تتسربل بالغموض ، لكنه غموض شفاف يكشف ما وراءه من الضحالة وانعدام التجربة والرؤية النفاذة .وهؤلاء يكثرون من الصخب والضجيج حول أسمائهم .حتى لقد نجح البعض فعلا فى صنع اسم لهم دون أن يقدموا شيئا يذكر ،وعندما يعد كتاب القصة تذكر أسماؤهم دون أن ينسب لهذه الأسماء أعمال ذات أثر .وقد ترتب على ذلك أن كثيرا من أساتذتنا الذين يشرفون على مؤسسات

النشر، يقعون فريسة لهذه الضحية ، فينشرون كثيرا من الأعمال التى قد لا يكونون على اقتناع بها وإنما ينشرونها خوفا من أن يتهموا بمعاداة التجديد .ومقابل ذلك لا تزال كتابات أخرى «شابة» تدور فى فلك التجارب التى تجاوزتها القصة المصرية من زمن.. وفى الحقيقة فإن التجديد الأصيل الواعى المتزن فى حكم النادر.

أما بالنسبة لعلاقتى بأجهزة ومؤسسات النشر فيكفى أن أشير إلى أنى كتبت حوالى أربع روايات ، وأكثر من عشرين قصة قصيرة .ومن بين هذا كله لم ينشر لى فى مصر إلا ثلاثة أعمال تفضلت روزاليوسف مشكورة بنشرها .وقد حال دون مواصلتى النشر هناك أن معظم قصصى فى شكل القصة القصيرة الطويلة.. ولست أريد أن أنتهز الفرصة لابث همومى الشخصية وشكاوى المرة من دور النشر والقائمين على أمرها ، أولئك الذين فى يدهم أن ينحوا أو يحجبوا الفرصة.. لكن ما يزيد المرء مرارة أن ترحب بنا مجلات لبنان ونظل غرباء فى بلدنا.

توجه لى على الدوام نصيحة مؤداها أن «أجرى وراء عملى كما يفعل غيرى» ، لكنى بعد محاولات اكتشفت أنى غير موهوب مطلقا فى مثل هذا السلوك . وعدت أؤكد لنفسى أن الكلمة التى نكتبها-لاتكسبا ولا سعيا وراء جاه -دفاعا عن كرامة الإنسان وحريته ، لا ينبغى أن تكون هى وسيلة لاذلال صاحبها .ورغم ذلك فاننى أبدا لن أتوقف .



وبالنسبة للأجيال السابقة على جيلنا فأنا أكن لهم جميعا كل احترام ، فلا شك أن كلا منهم قد أعطى على قدر ظروفه وظروف عصره ، وأنا ولابد قد مررت عليهم جميعا منذ بدأت القراءة.

لكن عدد الذين أقرأ لهم من بينهم كان يتناقص باستمرار تناقصا يتدرج مع السن ودرجة النضوج حتى أصبحت الان لا أقرأ إلا لقلة أبرزها بالطبع أستاذنا نجيب محفوظ .وعلى ذلك فهم جميعا أساتذتنا ،لكنى لست تلميذا لأحد بالتحديد ،كما أن مكوناتنا لا تعود فقط لتراثنا من القصة فكلنا ولا شك نقرأ الأدب العالمى ونتأثر به بجانب ما نقرأ من الأدب المصرى.

السؤال الثالث: لاشك أن كل كاتب وفنان يتأثر بما مر به فى حياته من تجارب ،.وبكل ما يلفت انتباهه من أمور .وفى أوقات كثيرة تطل برأسها ذكريات كنا نخالها اندثرت فاذا بها لا تزال حية ذات أثر.

وأنا ككل واحد : تأثرت بكل ماقرأت طيبه ورديئه ،فالتجارب الرديئة- بشرط عدم الاسراف فى قراءتها -لا تخلو من فائدة ، أنها كما لو كانت قد أخطأت نيابة عنك إن جاز هذا التعبير . وعندما ترفض فيها أشياء فانك تضع يدك على ما ينبغى وما لا ينبغى فى العمل الفنى .وفى تجاربى الفنية تأثرت كذلك بكل ما سمعت وأدركت ،وحتى النقد الذى يوجه لأعمال لم أقرأها أو لأفلام لم أشاهدها يقدم لى أحيانا فوائد جمة.

تناقضات

يوليو

شهادات

بل إن الأحداث اليومية والأحاديث العادية كثيرا ما تضع يدك على ما كنت تبحث عنه من زمن وقد شغلنى مثلا كيف أنقل الحوار الذى نسمعه بما فيه من مقاطعة وتداخل وما يحدثه من أثر على القائل والمستمع بكل ما فى الواقع من حياة .وكيف نسيطر على اللحظة التى تمتلئ بالكثير من الأحداث والانفعالات وتمضى كلمح البصر.

وكاعتراف : أؤكد أننى حين بدأت أكتب ، شعرت بقلق كبير ، لقد وجدتنى رجلا بلا عقيدة ، أى بلا فكر محدد . وثمة كثير من الموضوعات لم أحسم برأيى فيها إلا عندما تناولتها على الورق.وفى مرات كثيرة وجدتنى -بلا وعى أو قصد- قد إنتهيت إلى تأييد فكرة كنت أظننى على النقيض منها تماما ،والعكس .. بل إن كثيرا من الآراء التى تقال فى أحاديث المكتب ومع الزوار والاقارب لا تعبر عن حقيقة آرائى ،وكثيرا ما أرفضها.

واكتشفت أننى أحيانا أردد آراء لا أؤمن بها ، ولا شك أن للوسط ولظروفى أنا أثر فى ذلك. أن الإنسان دون أن يشعر يمكن أن يكون صدى لأفكار لم يتمعنها ،ومع ذلك فاننى أجزم أن هذا فيما يتصل فقط بالتفاصيل.

وفى أحيان أخرى أتصدى لفكرة دافعت عنها فى مجال آخر. هل ثمة تناقض ؟ لا ، ولكن ليست الفكرة- مجردة -هى المهم ، لكن المهم فيم توظف.



وكلنا بالطبع يعرف الكثير عن كلمات الحق التى يراد بها باطل ورغم ذلك فهذا بعض ما يقلقنى .وفى مرات كثيرة يهيأ لى أننى قد أقتربت من الوقوف على عقيدة ثم اكتشفت أننى أبعد ما يكون عنها. ..قد أكون ضد التطرف دون أن يعنى هذا أننى محافظ أو حتى اصلاحى ، لكنى أقصد أنه قد يكون لكثير من الافكار التى نرفضها جوانب صحيحة ، وقد يكون فيما نأخذ به انحراف كبير ،ومن ثم فعلينا أن نراجع أنفسنا على الدوام ولا ننخدع بقدرتنا ،وليس فى هذا خطر فلسنا رجال سياسة ، نحن رجال أدب..

هنا نصل للشطر الثانى من السؤال .أنا بصراحة مع الإنسان . ولكن أى إنسان ؟ هذا هو السؤال . القاتل أو المجرم عندما يسقط ونراه أمام حبل المشنقة أو داخل جدران السجن يثير عطفنا ، لكننا أبدا لن تبلغ بنا الحماقة حدا نطالب معه بإطلاق سراحه دون عقاب ، وحتى لو كنا نقر أن ثمة النفوس ولا حيلة لهم فيها إن هذا لن يعنى بحال أن نغض الطرف عما يحدث لنا من جراء ذلك، ولو اعترض طريقك مجنون فلابد أن تدافع عن نفسك وقد تضربه لتردعه وأنت تعلم تماما أنه فاقد لوعيه.

هذا بديهى: ولكن يبدو أن أكثر ما يحتاج إلى توضيح هو ما يعد من البديهيات .أنا مع الإنسان إذن، لكنه الإنسان الضعيف المتهور . أريد له حريته وكرامته ، ولابد أن نعبر- ككتاب- عن ذلك فهذا أضعف الإيمان ،ومن هنا فالأديب ولابد على صلة بالسياسة وعلى غير وفاق مع السلطة على الدوام ، فالفنان حتى ولو رأى كل أحلامه بالإنسان تتحقق فانه لا يمكن أن يكون مهللا . ثمة أخطاء تقع ولابد ، والأديب يصر عليها لا لأنه لا يرى سواها

ولا يريد أن يرى ايجابيات النظام.

ولكن لأن الأديب الفنان عموما -يحترم الإنسان ويكن احتراما عميقا للذات المتفردة دون أن يتنافى هذا مع تنبيه لمطالب الجموع . ولأن هذه الذات ، لابد أن تحيا فى ظروف طيبة، فالفنان اشتراكى النزعة أى مع الجموع ، يعنى أنه مع تهيئة الظروف لكل هذه «الذوات المتفردة» أن تحيا فى كرامة وحرية. والأديب هنا يتوقف أمام التفاصيل ، والتفاصيل ليست دوما تافهة بل هى فى كثير الأحيان محك حقيقى لمدى نجاح الافكار العظيمة.

تناقضات

يوليو

شهادات

إن الأديب لن يكون أبدا مثل رجل الحرب، فى أول هجوم سنخسر ثلث قواتنا وفى الهجوم الثانى سنخسر الثلث الثانى ، ولكننا سوف نكسب المعركة بما تبقى من الثالث الثالث . إن الأديب- رغم احترامه للنظام السائد ورغم وقوفه بجانبه ليدعمه وينتصر له قد يقيم الدنيا ويقعدها لأن النظام لظرف ما قد وضع فى الحجز واحدا من الناس ليلة واحدة بطريق الخطأ والاشتباه بل وربما لان عدوا لافكاره هو والنظام الذى يدعو إليه يعامل من قبل النظام بطريقة تهين فيه ذات الإنسان وإنسانيته .ومن هنا فإن الفنان أقرب إلى المتمرد منه إلى الثورى.



وأظن أن فيما قلت الرد على بقية السؤال فأنا كما قلت لست إنسانا مجردا ، بل مصرى عربى «ولحسن حظى» فإن الحق فى جانب بلادى .وحين أدين العدوان الإسرائيلى وأمقته وأدعو لمقاومته بلا هوادة ولا شفقة ..فلست فى موقفى هذا أدافع عن بقائنا فى مستعمرة أو أنادى بأن نقمع مقاومة شعب يبعد عنا آلاف الأميال ..إننا ندافع عن بلادنا وكرامتنا ولا يمكن أن يجرنا ما نقول عن التزامنا بالإنسان إلى موقف عربى.

سامى السلامونى

السن ٢٢ سنة

الجهة التى يعمل بها: دار الهلال

دخله الشهرى :غير ثابت

انتاجه الفنى

-المنشور : مقالات فى النقد السينمائى وفيلم تدريبى قصير لمعهد السينما .

-غير المنشور:

السؤال الأول لا أعى تماما متى قامت العلاقة بينى وبين السينما .. فهى العلاقة الطبيعية بين أى طفل يهوى الافلام ولا يتوقف عن رؤيتها كلما استطاع الحصول على قروش التذكرة.. ولكن تفتح وعيى بالسينما كفكر وفن ولم يبدأ ألا مع تفتح وعيى السياسى .وهو ما بدأ مع فترة القراءة النهمة فى الخمسينيات .وظروف الانتقال الحاسم من النظام

الملكى الاقطاعى إلى تحولات ٥٢ ..فقد وعيت هذه الفترة جيدا وعشتها أما بمجرد القراءة اليقظة ، وأما بالتمرد المبكر على كل سوءات نظام كامل ..أو بالاشتراك الفعلى فى حركة الفدائيين ضد قوات الاحتلال فى القناة عام ٥٢ .وتحول كل هذا بعد ذلك إلى رغبة فى المشاركة فى التغيير .وهو تغيير ثورى جذرى لا بديل له من أى حركة إصلاحية أو «ترقيعية» أو أية حلول «توازنية» أو وسطية .. ولكن هذه الرغبة فى المشاركة فى التغيير لم تأخذ شكلا إيجابيا باستثناء اشتراكى فى معارك ٥٢ فى القناة كما قلت ووجودى قرب «عباس الأعسر» لحظة استشهاده فى« عزبة اللبن» فى التل الكبير .وهو الحدث الوحيد الذى يمكن أن أفخر به فى كل حياتى ..التى استمرت بعد ذلك حياة باردة لمثقف سلبى ..يكثر من الكلام بلا عمل حقيقى .ولكن لعل عذرى وعذر جيلى كله إننا صدمنا كثيرا فى المنظمات التى كانت تتصدى لتغيير المجتمع على أيامنا .والتى كانت مع تراوحها من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار .. لا تخلو جيمعا من العمالة والانتهازية والتسلق وطعن قضية الشعب الحقيقية.. بل وبيعها بعد ذلك.

تناقضات

يوليو

شهادات

ولقد استطعت أن أنفذ بجلدى الخاص فلم أسقط فى شرك هذه التنظيمات .وإلا كنت واجهت أزمة ضمير قاسية الآن- وكانت عملية التنفيس الطبيعية والوحيدة بالنسبة لى هى الكتابة . وأذكر أننى كنت أكتب مجلات على ورق كراسات المدرسة ..كميات رهيبة من هذه المجلات كتبتها لنفسى أو لبعض الأصدقاء ولم يبعد منها شئ ولم تترك أثرا ..فقد ضاعت كل محاولاتى للكتابة الحقيقية فى الصحافة كنتاج طبيعى للأوضا ع الاحتكارية الرهيبة التى تسود كل مجالاتنا الثقافية ، وسيادة القيم التهريجية والتزييفية .وعجزى أنا الكامل عن مسايرة التيار والانحناء والتسلق وتقبيل الايدى مما أضاع عشر سنوات كاملة من عمرى كموظف لا يصنع شيئا.

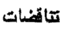


وبدا لى أحيانا أنه يمكن لاي إنسان فى البلد أن يصبح صحفيا ما عداى ..حتى استطعت أن أجد ثغرة صغيرة أنفذ منها فى صفحة المساء الأخيرة العظيمة التى يشرف عليها عبد الفتاح الجمل والذى يدين له جيلنا كله بكل ما يمكن أن نصل إليه .. ولم أستطع أن أجد لنفسى مكانا الا بالاتجاه إلى النقد السينمائى ..فقد كنت أحب السينما دائما.. واستطعت أن أفهمها أكثر على ضوء وعيى السياسى.

وهذا هو الجديد الذى قد يكون لفت النظر إلى كتاباتى عن السينما ..فهى لم تكن سينما خالصة .وإنما كانت ما يمكن أن ندعوه «سينما سياسية» .وهذا شئ لا أستطيع أن أنكره أمام حذلقة نقاد« الفن للفن» ولكى استكمل ادراكى لتكنيك السينما التحقت بمعهد السينما .. لا لأصبح مخرجا خطيرا يحول مجرى السينما المصرية ..فليس هذا فى نيتى ولا فى قدرتى .وإنما لاصبح فقط أول ناقد سينما دارس سينما بالفعل ..أما لو جاءت الفرصة لاستطيع ممارسة أفكارى النظرية عمليا فلن أفر من واجبى بالطبع .وسأحاول أن

أصنع شيئا مما كنت أثرثر عنه طويلا..

السؤال الثاني : تسود العلاقات الاحتكارية حقلنا الثقافي كله ..كل مكان فيه اله تربع على عرشه وانتهى الأمر ،أصبح من المستحيل زحزحته عنه .وإذا تكرم الإله بأن يشاركه أحد مجده .. فهو ذيل من أذياله فقط .. مما أدى إلى سيادة الأسماء التقليدية نفسها والأفكار القديمة نفسها وأصبح من غير الممكن أن يبزغ أسم جديد في مجال جديد إلا بمعركة شخصية يخوضها هو بمفرده .وتتوقف نتيجتها على مدى اصراره واستمراره هو ..فاما مات ..وأما وصل بعد أن يكون قد نزف نصف دمه ..



يوليو

شهادات

وهذا لا ينفي ، أن الشبان الجدد أنفسهم يشوبهم الكثير من أخلاقيات القدامى : الأنانية والتناحر .والحسد .والاستسهال والاستعداد لبيع أنفسهم لأول مشتر .والطموح المادي الرهيب الذي حولهم إلى تجار صغار يحاولون مزاحمة التجار الكبار .. ولا يملكون حتى خبرتهم.

أما الأجهزة والمؤسسات الرسمية فكلها يسودها الجمود وسيطرة الالهة القدامى كما قلت .ولابد من قيادات شابة قبل أن نصنع فنا جديدا ..فلا فن جديد لبلادنا مع نفس الاجهزة السابقة هو موقف الرفض والقيادات التقليدية.

موقفنا من الاجيال الفنية السابقة هو موقف الرفض ببساطة ..أنا لا أحس أنني مدين لاحد منهم .ولا أذكر أنني تعلمت شيئا منهم ... بل أومن على العكس أن حصاد فكر هذه الأجيال هو الذي أدى بنا إلى ٥ يونيو .. ولكن هناك تحرزا لابد منه .وهو أن «قلائل» من فنانينا ومفكرينا استطاعوا أن يكونوا عظماء وأن يبقوا في نفس الوقت أنقياء بحيث لا يبقى لهم أثر سيئ .. وإن لم يكن لهم أثر جيد .ونحن تعلمنا من الفكر العالمي الكثير .. ولكن لا أذكر أنني تعلمت الكثير من فكرنا الخاص .. وهذا ليس جحودا ولا نكرانا للجميل ..فأين أولا هذا الجميل نفسه؟.



السؤال الثالث: أعتقد أن اجابة هذا السؤال واضحة ضمنا في الاجابة السابقة.. فالمنهج الفكري الذي أصدر عنه هو الالتصاق بحياة شعبنا الحقيقية بكل ما فيها من نواقص ومن مأس أيضا تجاهلها الجميع حتى الآن وصنعوا فنا خرافيا لا ينتمي إلينا بقدر انتمائه إلى المريخ.

وبالنسبة للسينما فلابد أن نصنع سينما جديدة برفضنا أولا كل قيم السينما المصرية التقليدية .وبمحاولة الارتباط بناس مصريين حقيقيين وتقديم حياتهم كما هي ولكن بشرط أن تكون السينما سينما أولا .. بمعنى محاولتنا اللحاق بتيارات السينما العالمية .. لا لتقليدها كالقرود بل للتأثر بها فقط والتعلم منها..

وعندما يصنع السينمائيون

الجدد سينما تحمل فكرا جديدا- وتكنيكيا جديدا..فانهم عندئذ- وليس قبله -يمكن أن يفهموا أو يعبروا عن قضايا بلادهم كلها- بما فيها قضية العدوان الإسرائيلي -وقضايا العالم المعاصر .. ولكن ليس لدينا أحد حتى الآن -أو أن أحدا لا يريد- أن يعبر حتى عن قضية حي شبرا.

" شاعر " .. لأن الخصخصة تأخرت قليلاً

عزمى عبد الوهاب

فى كل قرية من قرى مصر ، يوجد قصر مهجور ، تسكنه - الآن - الخفافيش والأصوات المخيفة ، وفى قريتى يحكون عن الباشا صاحب القصر ، وعن الرجال الحفاة ، الذين كانوا يترجلون عن ظهور ركائبهم ، إذا مامروا به ، ويحكون - أيضاً - عن ذلك الرجل الذى لطمه الباشا على وجهه ، لأنه رفض الترجل عن ظهر حماره.

هؤلاء الرجال أنجبوا أطفالاً ، فسدت على أيديهم دورة الوجود ، التى كانت تبدو قانوناً أزلياً ، فلم يعملوا أجراء فى الاقطاعيات ، ولاخدماً فى القصور ، لأن ثورة قامت فى الثالث والعشرين من يوليو ، منحت آباءهم قطعة من الأرض يزرعونها ، وأنارت لياليهم بالمدارس ، لتكمل بذلك قوساً كانت بدايته فى يدى الوزير والعميد د. طه حسين .

صار من حقى .. من حقنا - نحن أبناء الفلاحين الفقراء - أن نجلس على مقاعد الدرس ، لنرى العالم ، ونعرف ، ونقرأ ، ونكتب ، دون أن يضطر آباؤنا لإراقة ماء وجههم. على أعتاب الباشا ، أو بيع مايملكون ، إذا كانوا يملكون!

صارت مقولة " التعليم كالماء والهواء" حقيقة ، فتعلمنا فى غفلة من زمن أولئك الذين قادوا آباءنا بعصا الجهل ، وكان أقصى طموحنا أن « نفك الخط» ، لا أن نلتحق بالجامعة ، وكل هذا بالمجان.

لم تتح لنا ثورة ١٩٥٢ أن نتعلم فحسب ، بل أتاحت لنا أن يكون منا الشعراء والكتاب ، قرأنا وتعلمنا ، فى مصادفة لاتحدث مرتين ، وكان من حظنا أن قطار « الخصخصة» تأخر كثيراً عن موعده ، كنا قد اجتزنا سنوات التعلم فى الجامعة ، وكان لنا من العمر ثلاثة أعوام حين وقعت النكسة ، وست سنوات حين رأينا جنازة عبد الناصر فى أجران القرية.

وجاءت سنوات السبعينات والثمانينات ، لترمى لنا بكتب مثل « أيام من



حيـاتى» لزينب الغـزالى ، لـم نصـدقـهـا ، وبحـثنا عن أولئك الذين يشـبـهـوننا ، ونشبـههم ، وكانوا يسيرون عكس قطار الخصـخصة المفزع ، هل نجونا إذن ؟ لا .. فلنا أطفـال نخشى عليهم من أن يتحولوا إلى ماسحى أحذية فى المقاهى ، أو باعـة للمناديل فى إشارات المرور ، فيا أبانا الذى فى " قـصـر القـبـة " .. افـتح الجامعات الخاصة لأبناء الإقطاع الذى عاد ، وللتجار أصحاب الضمائر الخربة.

بع قناة السويس وهيئة السكك الحديدية ، والمستشفيات العامة، فنحن نعرف أن وراء ذلك مصلحة وطنية ، لاتدركها أفكارنا الشمولية القاصرة ! لكننا نرجوك لاتلغ مجانية التعليم ، حتى تستطيع إقامة " القرى الذكية " والحكومة الالكترونية ، واسمح لى بسؤال : ما الذى ستفعله الحكومة إذن ؟ هل تجد عملاً تقوم به إذا مااقتلعت رياح الخصـخصـة كل شئ ، بما فى ذلك المفردات التى روجت لها الثورة : الشعب والوطن ، وغير ذلك من بداهات تحتاج إلى إعادة النظر فيها !

*** حاشية لاضرورة لها :**

مـثلما كانوا يحكون فى قريتى عن البـاشـا وقصـره ، حكت لى زوجـتى عن جارتنا الفقيرة ، التى لم تستطع مقاومة دموع ابنها ، حين أراد أن يشترك فى رحلة مدرسية إلى حديقة الحيوان ، ولم يكن الاشتراك – خمسة جنيهات – فى متناول يدها ، فلجأت إلى تحايل البسطاء على المعايش ، واصطحبت ابنها فى موعد الرحلة نفسه عبر المواصلات العادية .. هل يمكنكم إذن أن تتخيلوا ابتسامة طفل الإعدادية هذا ، وهو يفاجئ زملاءه بوجوده بينهم ؟! أسئلة كثيرة تطرحها الحكاية .. وإجاباتها مفجعة.



" كوم العرب " ..
من " الأمية " إلى " الثورة " !

خالد إسماعيل

رغم أن قريتى « كوم العرب» ، لم تنل من ثورة يوليو ١٩٥٢ وإصلاحاتها ، مانالته قرى أخرى فى الصعيد الأوسط أو الدلتا ، إلا أن الثورة دفعت طاقات فى هذه القرية ، دفعاً ، وأبرزت مواهب أبنائها ، وهى القرية التى ورد ذكرها فى " قاموس البلاد المصرية " " لمحمد فوزى" فى قسم البلاد الحديثة ، التى استقلت فى عام ١٨٣٢ ميلادية عن القرى الأقدم ، وورد ذكرها فى كتاب " وصف مصر" فى الجزء الخاص بالنظام المالى والإدارى " ص ٩١" على أنها أحرقت ، وتم توزيع حصة خراجها - مديونيتها - على القرى المجاورة " كوم أشقاو ، المدمر ، طما " ، ولا أعرف سبب إحراقها لكن أغلب الظن أن أهلها " البدو" القادمين من " الصحراء الكبرى" قاوموا العثمانيين والفرنسيين ، فكان الجزاء إحراقا وتشريدا.!

جاءت ثورة يوليو لتجد فى " كوم العرب" مدرستين ، الأولى أطلالها تحولت إلى مجرد ذكرى على ألسنة الذين درسوا فيها دراستهم " الأولية " ، وماتبقى من مبانيها تحول إلى دار مناسبات ، وسكن لأعزب شهير مدرس ابتدائى اسمه " محمد عزمى" ، حول السكن إلى مقر للدروس الخصوصية فى أوائل السبعينيات من القرن الماضى ، والثانية تحتوى تلاميذ يتكدسون فى ست غرف وغرفة للإردارة ودورة مياه ، ملحقة بدوار العمدة الراحل " عبد المنعم نعمان" ، والمدرستان جاءتا إلى أرض " كوم العرب" فى ضوء شرط حكومى فرض على كل عمدة توفير مدرسة قبل أن يوفر لنفسه مقراً للحكم ومخزناً لسلاح الخفراء.

وقبل وجود هاتين المدرستين - كان كتاب الشيخ" عبد الله نصير" ، وكتاب الشيخ " محمد هريدى" ، الأول تخصص فى تعليم القرآن وأحكام تلاوته ، والثانى أضاف خدمة تعليم الحروف الهجائية ومبادئ الحساب ، ولم يتخرج فيهما غير فريق من العميان احترف تلاوة القرآن فى المآتم ، وفريق التحق بدواوين الحكومة

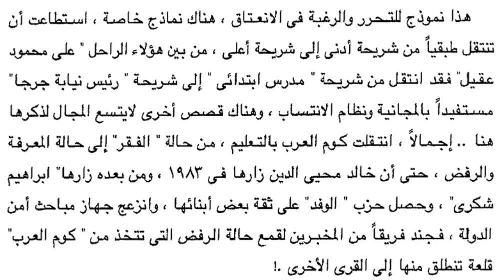
فى وظائف تقع فى أدنى السلم الإدارى .!

كانت محاولات لحاق أبناء " كوم العرب" بالتعليم الجامعى - قبل تطبيق المجانية - قد انحصرت فى ذكرى طيبة تركها الراحل « عمر محمد بخيت» ، التحق بكلية - لعلها التجارة - وبين حكايته وحكاية بطل فيلم « شباب امرأة» تشابه يصل إلى حد التطابق ... سافر إلى " القاهرة" فأغوته امرأة ذات جمال ومال ، فعاد مريضاً بمرض نفسى ، ومات شاباً ، فقد كان المرض النفسى عاراً ، وكان أبوه وإخوته يضربونه ويمنعون الطعام عنه حتى لقى ربه مربوطاً فى حبل ، قيل إنه مات فى شونة - مخزن - تبن وهو يهذى بكلمات « إن العيون التى فى طرفها حور .." ، وهى ذات الكلمات التى رواها لى واحد من أقاربه فى معرض التباهى بأسبقية عائلته فى دخول التعليم العالى ! والسيد " عمر" - شهيد الحب العذرى - ينتمى إلى عائلة العمدة " أبو العلا على" الذى ينتمى إلى " الفلاحين" الذين حكموا " كوم العرب" لفترة خمس سنوات فى ظل واحدة من حكومات القصر ، ولم تتكرر الحادثة ، فالعمدة الذى جاء من بعده - الراحل الشيخ نعمان جد العمدة الحالى شحاته عبد المنعم - أنصف " النصارى" ، وأشاع مناخ الأمن ، ونقل الموتى من الجبانة الفرعونية إلى جبانة جديدة ، ووضع الحدود بين المساحات المزروعة ، فاستحق محبة الناس ، وظلت العمدية فى بيته منذ أوائل الأربعينيات إلى يومنا هذا ..

.. واحد من أسرتى التحق بالمدرسة الأولية " أربع سنوات دراسية قبل الشهادة الابتدائية " هو عمى " مصطفى" ، وقد جاهد جدى لإخراجه من المدرسة ، وبذل فى سبيل ذلك النفس والنفيس ، حتى أنه قضى شهوراً فى " سجن سوهاج العمومى " لأنه أخرج ولده من المدرسة " الأولية" بالمخالفة للقانون كان ذلك فى زمن الملك فاروق .. ، أما المرحوم والدى ، فلم يلتحق بالمدرسة ولم يجلس إلى " معلم " من أصله ، لأن جدى - الفقير الأمى البدوى - كان قد تشبع بحب الثراء والرغبة فى جمع مال يجعل له قيمة واحتراماً ، وشاءت الظروف أن يسافر والدى إلى " الإسماعيلية " ، وهناك عاش لمدة ثمانية عشر عاماً ، عرف خلالها عالم الموظفين ، والجمعية الشرعية ، وأهمية التعليم ، وعرف أن العلم نور وسلاح ، وأنه لن يترك لأولاده شيئاً غير" الشهادة" والوظيفة..

فى عام ١٩٦٩ ، حصل أخى الأكبر " على إسماعيل " على شهادة الثانوية العامة بعد صراع طويل مع الفقر والتخلف القابض على أذهان أهلنا ، ونجح فى أن يتعلم

على أساتذة كبار منهم الدكتور صوفى أبو طالب والدكتور عاطف صدقى والدكتور فتحى سرور ، كانوا يدرسون له فى كلية الحقوق جامعة القاهرة ، وكان هو أمين اللجنة السياسية باتحاد طلبة الكلية ، وفى عام ١٩٧٦ ، كان " على " واحداً من مؤسسى حزب" التجمع" ، وكان أول سرادق يتحدث عن الحقوق والواجبات والحكم ، قد أقيم أمام بيتنا تحت إشرافه وكان هو " الخطيب" فى الجماهير ، وهو نفسه الذى حشد فقراء" سوهاج" ضد العائلات الإقطاعية التى تتبادل مقاعد مجلس الشعب فيما بينها منذ أن كان اسمه " مجلس شورى النواب" .. ، خرج أهل " كوم العرب" لينافسوا الإقطاع ويعبروا عن وجودهم ..



هذا نموذج للتحرر والرغبة فى الانعتاق ، هناك نماذج خاصة ، استطاعت أن تنتقل طبقياً من شريحة أدنى إلى شريحة أعلى ، من بين هؤلاء الراحل " على محمود عقيل" فقد انتقل من شريحة " مدرس ابتدائى " إلى شريحة " رئيس نيابة جرجا" مستفيداً بالمجانية ونظام الانتساب ، وهناك قصص أخرى لايتسع المجال لذكرها هنا .. إجمالاً ، انتقلت كوم العرب بالتعليم ، من حالة " الفقر" إلى حالة المعرفة والرفض ، حتى أن خالد محيى الدين زارها فى ١٩٨٣ ، ومن بعده زارها" ابراهيم شكرى" ، وحصل حزب " الوفد" على ثقة بعض أبنائها ، وانزعج جهاز مباحث أمن الدولة ، فجند فريقاً من المخبرين لقمع حالة الرفض التى تتخذ من " كوم العرب" قلعة تنطلق منها إلى القرى الأخرى !.

انتقلت" كوم العرب" بالتعليم انتقالاً مؤثراً ، فأصبح من بين أبنائها القاضى والطبيب والمهندس والمحامى والصحفى والسياسى وتحولت من قرية صغيرة الوزن إلى قرية موثرة فى تشكيل وعي القرى المجاورة..

رحم الله " جمال عبد الناصر" ورحم أباءنا ، فقد وضعونا على طريق التعليم ، ولم يكن فى أذهانهم أن الزمن سيدور دورة مضادة ، تجعل المتعلم يخجل من شهادته ودراسته فى ظل سيطرة الجهلة وتحكم اللصوص والمجرمين فى مصائر الشعب.

جنيهات قليلة ومطاردات كثيرة

منتصر القفاش

مازلت أتذكر هذا المشهد : الصراف أو أحد أفراد الإدارة المدرسية يدخل الفصل أثناء حصة من الحصص ويتوجه بالكلام لعدد من الطلاب الذين تأخروا فى دفع " المصاريف " ويهددهم بعدم دخول الامتحان أو عدم حصولهم على رقم الجلوس ، ومع الحرج الذى يبدو على وجوه هؤلاء الطلاب ، كانوا لاينطقون بأى شئ ويكتفون فقط بهز رؤوسهم.

تكرر هذا المشهد على مدار سنوات دراستى فى مدارس حكومية وليست فى مدارس خاصة ، ورغم أن المصاريف كانت " رمزية " لكنها كانت تمثل عبئا على دخل بعض الأسر ، فتؤجله إلى حين ميسرة أو بعد ازدياد تهديدات إدارة المدرسة ، مرتبط بهذا عدم دفعهم لأى نقود تطلب منهم لتزيين الفصل أو لبناء أى شئ فى المدرسة ، وكان هذا المطلب يتكرر أكثر من مرة خلال السنة الدراسية الواحدة ، رغم أن وزير التربية والتعليم يكرر أيضا أكثر من مرة خلال نفس السنة بأنه ممنوع على المدارس جمع أى نقود غير المصاريف.

صعب الحديث عن مجانية التعليم بدون تفاصيل كالتى ذكرتها فى البداية ، فهى تكشف لنا على أرض الواقع حال مايبدو لنا نظريا حلما ورديا . فكلمة " مجانية " فى الأساس " خطأ" ، فالتعليم فى المدارس الحكومية التى درست فيها لم يكن مجاناً بل كان مقابل مصاريف يجب أن تدفع وإلا ، نعم كانت قليلة مقارنة بالمدارس الخاصة لكنها فى نفس الوقت مثلت عند شرائح من المجتمع " بند "١" صعبا يجب أن يعد له وقد يتم تدبيره بصعوبة . وتزداد الصعوبة لو دخل الطالب احدى مجموعات التقوية فى المدرسة ، ففى هذه الحالة تتضاعف مطاردة أفراد الإدارة لمن لم يدفعوا وقد ينتظرونهم على باب الفصل ويمنعونهم من الدخول إذا لم يدفعوا حالاً

" جنيهات قليلة ومطاردات كثيرة".

تلك المدارس قليلة المصاريف – أفضل هذه التسمية عن المجانية – كانت قليلة فى كل شئ : فى شرح المدرسين الذين فى أحسن الأحوال يهتمون بالسير حسب المنهج الموضوع من قبل الوزارة دون اهتمام بأن يكون ماشرحوه واضحا أم لا .، ويهتمون أيضا بأن يوزعوا الطلاب المجتهدين الجالسين فى الصفوف الأولى فى أنحاء الفصل



المختلفة حينما يعلمون بموعد زيارة المفتش أو الموجه المفاجئة ، ليبدو الفصل كله مجتهداً. أداء معظم المدرسين الذين درسوا لى كان يعتمد على أن حضور الطلاب للمدرسة " تحصيل حاصل" وأن هناك من سيساعدهم فى فهم الدروس سواء أكانوا المدرسين أنفسهم في الدروس الخصوصية أو أفراداً من أسرهم ، فذهابهم إلى المدرسة لإثبات الحضور فقط وحتى لايحرموا من تأدية الامتحانات الهدف الأسمى الذى يلغى كل مفردات العملية التعليمية الأخرى.

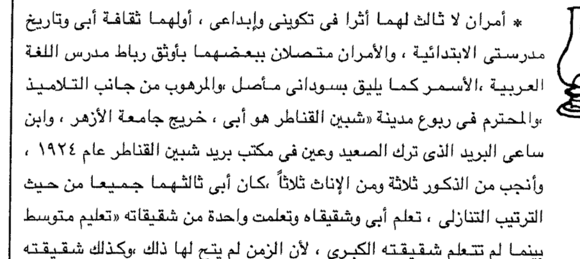
القلة فى كل شئ أو عدم وجود أى شئ " من أساسه" شعار أيضا يمتد للأنشطة المدرسية سواء الفنية أو الرياضية أو .. إلخ مثلا فى مدرسة العمرانية الابتدائية ، كانت هناك حصة للألعاب فى جدولنا . كيف كانت تتم تلك الألعاب ؟ بأن يقفز الطلاب الموجودون فى الدور الأول من الفصول إلى الحوش وبالعكس ، أما طلاب الدور الثانى فكانوا يكتفون باللعب داخل الفصول . فلم يكن هناك ملعب يسمح بأية ألعاب ، فالمدرسة كانت عبارة عن فيلا قديمة من دورين ، اقتطع جزء كبير من حديقتها – سابقا– لينضم إلى فناء المدرسة المجاورة . فى مدرسة أبو الهول الاعدادية كانت هناك حصة للألعاب وكان هناك أيضا" حوش" يسمح باللعب ، أما حصة الموسيقى ، فكان المدرس يرسم فيها بمهارقيحسدد عليها الآلات الموسيقية على السبورة ، ويشرح لنا أصواتها بصفير من فمه . وتطول قائمة الأمثلة:

أما أن تكون طالبا موهوبا أو محبا للأدب أو للعبة رياضية أو لآلة موسيقية فان هذا شئ يخصك ولايعنى أى شئ عند أى أحد فى المدرسة ، " وأنت ونصيبك " إما أن يرعى موهبتك أحد أفراد أسرتك أو تنساها بمرور الزمن . لم يحدث لى اللقاء الشهير الذى حكى عنه مبدعون من أجيال سابقة ، وأقصد به لقاء مع أحد مدرس اللغة العربية خلال دراستى ، وتوجيهه لى وتصويبه لأخطاء ما أكتبه وترشيحه لأعمال أدبية يجب قراءتها ، لم ألتق بهذا " المدرس الأسطورى" على الإطلاق ، من قام بهذا الدور كان والدى ولولاه لكانت حياتى تغيرت تماما.

شعار مجانية التعليم مثل بقية الشعارات فى حياتنا قد تتحقق منها خطوة أولى – أو نصف أولى – لكن بقية الخطوات تؤجل أو تنسى أو تهمل . واعتدنا مع مثل هذه الشعارات أن تكون مصحوبة بصراخ متواصل من المسئولين فى مختلف الحكومات بضرورة " الإصلاح " و" التطوير " و" التغيير " .. إلخ لكن لاشئ يحدث ، ويظل الشعار مثل علم يرفرف – فى وسائل الإعلام فقط – ولاتعرف هل هو علم أم شاهد قبر توارى فيه " واحد ابن حلال ".

اعتراف شخصى حول مصير مجانية التعليم

محمود خير الله



* أمران لا ثالث لهما أثرا فى تكوينى وإبداعى ، أولهما ثقافة أبى وتاريخ مدرستى الابتدائية ، والأمران متصلان ببعضهما بأوثق رباط مدرس اللغة العربية ،الأسمر كما يليق بسودانى مأصل ،والمرهوب من جانب التلاميذ ،والمحترم فى ربوع مدينة «شبين القناطر هو أبى ، خريج جامعة الأزهر ، وابن ساعى البريد الذى ترك الصعيد وعين فى مكتب بريد شبين القناطر عام ١٩٢٤ ، وأنجب من الذكور ثلاثة ومن الإناث ثلاثاً ،كان أبى ثالثهما جميعا من حيث الترتيب التنازلى ، تعلم أبى وشقيقاه وتعلمت واحدة من شقيقاته «تعليم متوسط بينما لم تتعلم شقيقته الكبرى ، لأن الزمن لم يتح لها ذلك ،وكذلك شقيقته الصغرى لأنها كانت كفيفة».

تخرج أبى عام ١٩٦١ ، بعد رحلة طويلة من الشقاء والعمل ، وعيّن براتب «ستة جنيهات» استطاع أن يتزوج بها ، وأنجب ابنة وثلاثة ذكور أنا أوسطهم، وتعلمنا جميعاً فى مدارس حكومية ، وتخرجنا جميعاً فى الجامعات.

رضعت صغيراً حليب أمي وبلاغة أبى التقليدية «الفاقعة» ، كان ينطق الحروف بصوت مثالى وسليم ، وأهدر عمره فى تعليم صبية بلدنا كيف ينطقون الفصحى السليمة ،كانت مناهج التعليم المدرسى بالنسبة له ، طيّعة كمياه الشرب ،وسهلة ، ولم يكن يكفّ يوماً عن مواصلة تلقينى الدروس ، فى النحو والصرف والبلاغة مدفوعاً بحرص الأب ،ومكللاً بتاج المدرس النابه ،وكنت طفلاً خائباً«أسرح» دائما أثناء الدرس ، الأمر الذى لم يكن مبرراً عنده ، لكن حرصه كان مختصرا فى تعليمى ،وكان هدفه بريئا وجديراً بالاحترام أفكر الآن فى

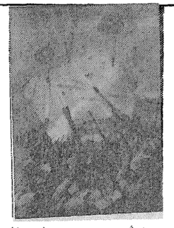
عمتى الكبرى– تلك التى لم تتعلم–وهى توفيت منذ أسابيع عن اثنين وثمانين عاماً ، ولم تتزوج ،وكان معاشها «سبعين جنيها» فى الشهر ، وأسأل ، هل كان لأختى الكبرى –مواليد ١٩٦٤ –أن تلقى مصيراً مختلفاً عن عمتى ، لولا مجانية التعليم.

أختى «مدرسة أولى» للغة الانجليزية ، فى التعليم الثانوى بإدارة الخانكة التعليمية ،وهى أخذت عن أبى جانب المربى الفاضل ، وأخذت أنا جانب الكاتب ومن ثم الشاعر الفصيح ، وأخذ الشقيقان نصيبهما من الوالد.

قبل« ثورة يوليو» كان البعض يعلّم أبناءه– أزهرياً– تجنباً للمصاريف وسعيا وراء الرزق القليل ،أما بعد الثورة فقد أصبح ذلك متاحا –كل أبناء عمومتى ولدوا بعدها التحقوا بالجامعات، رغم أنهم جميعا أحفاد «بوسطجى» فقير من أبنوب الحمام بأسيوط– هكذا كان أبى وهذه كانت ثقافته.



مدرستى الابتدائية كانت قصة جديرة بالحكى ، المبنى القديم المتدثر ، كان اسمه «مدرسة المحكمة الابتدائية المشتركة» –ناظر هذه المدرسة كان هو زوج خالتى–الأستاذ «محمدى البوشى» –رجل مهيب وقرر فيما البناء كله على وشك الانهيار ،كنا نخشى–حين يطلق صيحته فى تلميذ مخطئ أن يتهدم المبنى فوق رؤوسنا ،ولم تكن عقولنا الصغيرة تستطيع تفسير هذا المناخ الكابى المظلم الكئيب ، الذى كانت تشعه جدران هذه المدرسة كانت واحدة من عشر مدارس ابتدائية فى مدينة شبين القناطر –وحين سألنا فى يوم تعليمنا الأول عن السبب ، زدنا فى الدهشة والحسرة معاً ، قيل لنا إن هذه المدرسة هى فى الأصل «محكمة قديمة» ثم تحولت بعد حرب الاستنزاف إلى مستشفى ، استقبلت جرحى ومصابين ،وكان طبيعيا أن تدهن جدرانها وشبابيكها بألوان قاتمة ، لزوم الإغارات ، وظل هذا الهاجس ملازما لى، كلما جلست فى فصل تعليمى أتأمل الشبابيك ، وأدخل من دون إرادة منى فى حالة نفسية سيئة،قصص الجرحى وآلامهم ، وجروحهم ودمائهم كانت القاسم المشترك فى كل فصول تعليمى اللاحقة ، دفعنى ذلك إلى النفور من أغلب المدارس التى التحقت بها ، والغريب أن الكلية التى تخرجت فيها –كلية آداب بنها– كانت تحمل نفس الملامح ،مبنى انجليزى عتيق أرضيته من الخشب ، قيل إنها كانت مدرسة ثانوية قديمة ، تحولت إلى كلية آداب ، فى منتصف الثمانينيات من القرن العشرين.



تناقضات

يوليو

شهادات



نجحت مجانية التعليم فيما أخفق فيه منظرو التربية فى كل العصور ، أشهد أن أكثر التلاميذ تفوقا فى مدارسنا –حسب ما رأيت–كانوا أكثرنا فقرا ، بينما كان أكثرنا فساداً وجهلاً وغيبة ، من أبناء الموسرين والأغنياء ، ذات يوم صادفت شاباً مهذباً ، من قرية مجاورة لبلدنا ، قرأت اسمه فى قائمة المتفوقين فى الصف الثالث الثانوى ، ضمن الثلاثين الأوائل على الجمهورية ، بعد عدة أعوام تخرج فى كلية الألسن ، وارتدى الجلباب وكفّر الناس جميعا لحيته طالت ، وعقله توقف عند تيار إسلامى متشدد ، بصق فى وجهى حين عرف إننى أكتب الشعر،ودخل سجناً ولم يخرج منه ، لكن الزمن دار دورته السوداء ، وأصبح أشد الفقراء مع غياب كل أشكال الوعى السياسى حين يكون النظام المطبق هو النظام الاشتراكى ، تكون مجانية التعليم ، ويكون عبد الحليم حافظ ، ويكون السد العالى ، وتكون مشاريع الاسكان الشعبى ،وحين يكون النظام المطبق هو الخصخصة على الطريقة الأمريكية القذرة ، يكون : التعليم المفتوح والمدن الفاخرة ومارينا والسماوات المفتوحة والرشاوى والزيس المعلن والزيس المبطن ويكون انهيار كبير يدّمر كل شئ وأى شئ ، وأختتم بسؤال : هل ظل التعليم مجانيا بعد مرحلة الخصخصة وكيف دمرّت مدارسنا المجانية وكيف أصبحنا نراها الآن بعد كل هذا الانهيار.؟.

لدىّ الآن طفلان أدخلتهما مدرسة خاصة ، لأننى أصبحت –ويالالأسف– لا أثق بالتعليم الحكومى المجانى ، فبعد خمسين عاماً من الثورة أهيل التراب والغبار والدخان ، على كل ما فعلت وأسألوا الهواء الذى نتنفسه.

شهادة

انتصار الحرف على الصمت

السيد رشاد

أذكر أننى حينما خطوت نحو الخامسة .. كان اسمه أكثر الأسماء ترددا في دارنا ، خاصة ونحن نتحلق جدتى حول أمام الفرن .. في ليالى سمر شهية .. يقتات فيها خيالنا على حكايا الجدة .. ونحن نلتهم حبات البطاطا وكيزان الذرة المدفونة في رماد الفرن الخامدة .. أو حين تأخذنا نحن الصغار حمى الانطلاق من قيود الدار والمدرسة إلى رفاق اللهو والشقاوة .. بينما كان اسمه طقساً مقدساً نردده في طوابير الصباح .. والأناشيد في حصص المحفوظات والموسيقى.

وأتساءل .. ترى لماذا نكن كل هذا الحب له .. حتى بعد سنوات طويلة من رحيله .. وتراجع مبادئه وشعاراته على أيدى مروجى الخصخصة وقوانين السوق ، حيث كل شئ يخضع للعرض والطلب ، وقليل جداً من الأشياء والقيم وربما الأشخاص يستعصون على البيع ؟!

ترى لو لم يكن عبد الناصر قد قام بثورة يوليو .. قبل مولدى بعقد ونصف العقد .. هل كنت سأولد حراً .. غير خائف من « كرباج الباشا » الشهير ، ولاهارب من ذل السخرة وظلام الفقر والجهل والمرض .. التى كانت قوانين عصر ماقبل يوليو.

ترى لو لم يكن في حياتى / حياتنا ليلة مثل يوليو ، هل كنت سأصبح التلميذ المجتهد الذى يحصل على أعلى الدرجات في مدرسة العمرى الابتدائية بأخميم ، من أجل أن يفوز بقبلات الأبلة " فوز" ، وهدايا الأستاذ مصطفى عبد الشافى ، والأهم أحظى بتصفيق حبيبتى الصغيرة ، حينما ألقى محاولاتى الأولى في تأليف الأناشيد الوطنية في الإذاعة الصباحية .. والذى يستمر طويلاً

حتى بعد صمت الأكف الصغيرة التى التهبت أصابعها بحرارة التصفيق وبراءة الانفعال.

تناقضات يوليو شهادات

وكثيرا ماتساءلت بينى وبين نفسى .. هل ثورة يوليو التى أتاحت لى مقعداً فى قاعة الدرس ، ونافذة ينفتح فيها القلب على قضايا الوطن ، والعقل على نور المعرفة.. هل هذه اللحظة التاريخية الفارقة هى التى جعلتنى شاعراً .. أقبض على جمرة الشجن النبيل ، ولا أسمح لأنهار الحزن أن تطفئ مصابيح الأمل.. ولاأقبل إلا انتصار الحرف على الصمت .. ولو لم تكن تلك المصادفة التاريخية قد حدثت، فى توقيتها .. أو تأخرت عقدين فقط .. أما كنت سأصبح واحداً من القطيع المهان الذى يقارب تعداده تعداد ملايين الشعب المصرى .. من أقصى نقطة فى صعيده إلى أدنى بقعة فى دلتاه ..) وهل كنت أملك إلا أن ألملم أشلاء موهبتى الفطرية فى أكفان الجهل والأمية والقهر .. مثلها مثل آلاف المواهب التى لايسمح لها السادة بالصعود إلى حيز المعلوم .. ليصبح كل صبح جديد .. وشاحاً لحزن جديد ، ينكأ مساحات جديدة لجراح لاتندمل.

وإذا كان الشعر مادة تتعالى على الاندثار ، والشاعر .. رسالة تملأ الفراغات مابين سطور العالم .. فهل كان للشعر معنى .. أو للشاعر وجود فى فضاء مطلق الخواء .. غائم المعرفة ؟!

إن كل هذه الأسئلة .. ربما لم تعد موجعة الآن .. لكنها تؤكد حقيقة لاتقبل القسمة على اثنين هى أننى / أننا – فى معظمنا على الأقل – توحدت لحظتى الشعرية ، بتلك اللحظة التاريخية الفارقة (٢٣ يوليو) رغم الفارق الزمانى ، والمكانى ، ولولا هذا التوحد بين اللحظتين ، مااستطعت تحقيق شاعريتى ، فأنا أعترف بأننى لا أملك جنون جدى الأكبر (محمد بن برى) الذى باع أرضه قطعة ، قطعة .. ليعلم نفسه ، ويمارس عشقه لتحقيق التراث .. في وقت كان التعليم محرماً على الفلاحين وأبنائهم ملح الأرض ، الذين لايحق لهم رفع رؤوسهم من فوق فؤوسهم ولست فى عناد العقاد .. الذى عاركت خطواته جرانيت أسوان ، وشق لنفسه طريقا وسط البازلت ، فى استثناء عارض ، لايسمح عهد القهر والجهل بتكراره من الأساس..



إن مجرد التفكير في غياب حدث مفصلى عن حياتى / حياتنا (ثورة يوليو)/ وضياع حقيقة : من الأعمدة التى تركز عليها حركتنا فى الحياة (مجانية التعليم) .. يصيبنى بالارتباك ويضعنى فى حيرة تقارب حد العجز عن فهم المسارات .. وإدراك الدوافع ، ذلك العجز الذى يزداد اتساعاً .. مع زيادة رقعة المدارس الخاصة باهظة التكاليف ، وتشحذ أسنانه نصالها مع الارتفاع الشاهق لحوائط الجامعات الخاصة شديدة الفخامة التى تقبل أنصاف المتعلمين وكل الفاشلين من السادة الجدد ماداموا قادرين على الدفع ..، وأخشى من اليوم – الذى يبدو قريباً – تنهار فيه كل الصروح التى شيدنا على أسسها كرامتنا وفجرنا بين طياتها نهر شاعريتنا ذلك النهر الذى مهما كان عظيما وقويا ، لايحيا ولايستمر إلا بنبع العلم والمعرفة ، وايراده تجاوز المحدود والعبثى الى المطلق والجاد.. أخشى من اليوم الذى ينتزع فيه من الضمير الشعرى والإنسانى هالاتنا المقدسة ، وأساطيرنا الشعرية التى شيدناها على قاعدة مجانية التعليم .. فمنحتنا خصوبة المعرفة ، وروافد الخلق والإبداع .. وشرعية الحلم .. ووعى الشعر بتجاوز الضرورة العمياء .. التى وضع قوانينها " السادة" ، واقنعوا الباقين لعقود طويلة بحتميتها المزعومة ، فسلموا على نصال الجهل والقهر برغباتهم بالبقاء تحت سلطة تلك الضرورة ..

هل فى وسع جائع ، جاهل ، مهان ، قعيد بأصفاد القطط السمان ، إلا أن يدفن وجهه فى حائط الحياة ؟!

هل كان فى وسعى الآن أن أمسك بالقلم ، وأقبض على جمرة الشعر؟

أيها القطط السمان .. خذوا مايملأ بطونكم التى لاتشبع .. وعيونكم التى لاترى إلا فى مرآتها الصدئة .. فقط اتركوا لأولادنا مقاعد الدرس واحتفظوا بخوائكم .. لكم رماد الموقد..

ولنا لهيب الشعر ..وخصوبة الوطن.

معتقلات الابتدائية



حسن عبد الموجود

كانت التجربة جميلة فى جزء منها ومريرة للغاية فى أغلب أجزائها فى قرية «القناوية» مسقط رأسى كانت معرفتى الأولى بقاعة الدرس . تلاميذ متسخون يطن الذباب على وجوههم والمخاط يتدلى عند أغلبهم من فتحتى الأنف «مريلة» «شاحبة» «بيج» وفى الأغلب كيس بلاستيكى أو قماش يحوى كتباً تظل جديدة لأسبوع أو اسبوعين قبل أن تنثنى أطرافها وتدور حول بعضها ليصبح حجم الكتاب مضاعفاً ،مدرس «صارم» -هذه فكرتى التى كونتها طوال دراستى الابتدائية عن المدرس بفضل هؤلاء - يشكو طوال الوقت من رداءة «الطبشور» الأبيض، وهو ينظر إلى أصابعه. يتحدث عن الفارق بين تلاميذ القرية – وهم نحن – وبين المركز الذى جاء منه. يشعرنا دائماً بأننا أقل ومهما فعلنا فإن مصيرنا سيكون فى الحقول مع أجدادنا وآبائنا.

العصا تهبط على الأجساد بلا تمييز حينما يسود الهرج أو حينما يشكو تلميذ من أن زميله ضربه بكوعه، أو أخذ مسطرته، أو كسر مقلمته، أو قطع ورقة من كشكوله»، فى الأغلب يكتب المدرس على السبورة السوداء عنوان الدرس ويختار واحداً من ثلاثة كنت أحدهم ليقرأ الموضوع من كتابه، يقرأه مرة أو اثنتين وربما ثلاثاً..

يمر الوقت بمهل، الجميع يشعر كأنه يعيش فى كابوس، متوقعاً أنه لن يمر اليوم إلا وقد ضرب بالعصا على كفه..

معظم التلاميذ يقفزون من سور المدرسة الواطئ، بعضهم يفك «صريمة» حمار من أمام أحد المنازل المتأخرة للمدرسة ويعتليه فاراً به إلى مكان مجهول، بعد دقائق يخرج صاحب الحمار صائحاً ومولولاً وهو يسب للمدرسة والمدرسين والتلاميذ.. وقد تنشب معركة حامية بينه وبين عائلة التلميذ مختطف الحمار..

نفرح بالفسحة لأنها تعنى وجبة الفول والحلوى، أو الجبن والمربى. حتى هذا لم

يدم كثيراً. فقد أخبرونا – حينما قرروا قطع الوجبات لعدم وجود تمويل كافٍ – أن عدداً من الفئران قد سقط فى أماكن تخزين الوجبات ومات وتعفن داخلها – تقبلنا قطعاً..

الصورة الماثلة فى ذهنى، الناموس الرهيب الذى لم يكن يفرق بين الحيوانات خارج المدرسة والتلاميذ داخلها، يقضون الوقت فى حك جلودهم، أحدهم يقول لآخر: بص فى رقبتي.. فيه ناموسة؟! ويصفعه الآخر على قفاه ويدخلان في شجار قد ينتهى بإصابة غير هينة لأحدهم..

مندوبو الصحة الذين كانوا يأتون لتحليل «بول» التلاميذ كانوا يعودون بنتائج مخيفة، منها إصابة معظم هؤلاء بالبلهارسيا وتلوث الدم نتيجة إصابه أرجلهم بصفائح الحديد الملقاة فى الشوارع أو المسامير الصدئة.بعض التلاميذ كان يأتى حافياً للمدرسة ، كنت أندهش جداً من هذا غير أنه صار مشهداً مألوفاً بالنسبة إلىّ..

لا يمر اليوم إلا بسماع كلمات التوبيخ من أمى وهى تتأمل شعرى المذرى والأوساخ العالقة بالحذاء، تسأل فى دهشة عما أفعله فى المدرسة بالضبط وأنا أتذكر هذا يقفز إلى ذهنى التساؤل : هل تعنى مجانية التعليم منح الكتب والكراريس و«الكشاكيل» مقابل مبلغ بسيط؟! هل هذه هى فكرة التعليم؟!

مدرسة أثينا كانت تتلقف الطفل الصغير، تتعامل معه على أنه مركب عقلى جسدى وجدانى، بالإضافة إلى أنها منحته هذه المجانية الساذجة بمعناها السابق إلا أنها اهتمت بتنمية جوانبه المهاريه والجسدية وأشبعت ميوله حتى أنها كانت تقرر وضعه فى عوالم موسيقية تامة.. أتذكر من كتاب «الجمهورية» لأفلاطون أن مدرسة اسبرطة سخرت كثيراً من هذا واتهمت مدرسة أثينا بأنها تنتج مخنثين وخصيان أو على الأقل قواد جيش مرفهين لا يعرفون كيف يدافعون عن مدينتهم الموسيقية تلك.. لكن أثينا لم تهتم ولم تنصت وهذا لا يعنى أن أسبرطة كانت منغلقة فى طرائق تعليمها، فقط كانت تركز على إكساب الطفل مواهب القتال أكثر من إهتمامها بتنشئته وفق ميوله.. ومدارس الحكومة لدينا، مدارس التعليم المجانى كانت لا تكف عن ابتكار الحيل التى تشد التلميذ إلى الخلف وكأن قاعة الدرس تشبه آلة زمن تعود به إلى عصر غابر يقف فيه المعلم ليلقن ويتحول هو إلى متلق سلبى يحفظ ويتسظهر حتى

يجئ موعد الامتحان ليخرج ملقياً بالأوراق ولاعناً كل صلة له بالمدرسة!

ومدارس الحكومة أيضاً تحارب الإبداع أذكر بعض زملائى الذين كانت لديهم ميول للتمثيل والغناء، كانوا يقبلونهم على مضض لإحياء حفل نهاية العام الدراسى وفى النهاية يصرخ المعلم المسئول: «ابقوا افلحوا فى الدراسة ياولاد الـ .... زى ما بتتنططوا على المسرح دلوقتى» ويسدل الستار على وجوه حزينة كابية باكية تحولت من التمثيل إلى الفلاحة ومن الغناء للعمل فى صالونات حلاقة فى عشة بوص على أطراف القرية.. وحتى لا أكون مبالغاً أقول اننى وزملائى شاهدنا فى الصف الخامس عدداً من الآلات الموسيقية التى كنا نراها فى التليفزيون. حدث هذا فى مدينة نجع حمادى التى انتقلت إليها مع أسرتى. المدرسة اسمها «النقراشى الابتدائية»، ولكن لم يتح لنا لمس هذه الآلات، كان المدرس يقول لنا إنها عهدة وإنتم فاكرين نفسكم تهوفن والا إيه .. بلاش عقد أنت وهو .. اعتبروا حصة الموسيقى فسحة تستريحوا فيها من قرف الكتب والدروس »» كنا نجلس صامتين وأول تلميذ يفتح فمه ليحادث زميله كانت العصا تهوى على رأسه أو كتفه فيصرخ ويلتزم الباقون.. المدرسة كانت بلا فناء وحينما كنت أحضر كرة لألعب بها فى أحد الممرات أفاجأ بمدرسة قصيرة لا أعرف اسمها تصرخ فى وجهى «أنت يا ولد غور من هنا، على الفصل يا للا» لم أتحمل وحينما أعلنت المدرسة عن فتح الباب للانتقال إلى مدرسة «خالد بن الوليد» – وكانت لا تزال تحت الإنشاء – تقدمت بلا تردد.. وعشت عاماً كاملاً فى مدرسة بلا جدران، الفناء ملئ بمخلفات البناء، لا يمر يوم إلا ويجرح أحد التلاميذ فى قدمه بسبب تسديدة خاطئه إلى الكرة.. فى الأغلب لم يكن المدرسون مهتمين بمتابعتنا، يقضون الوقت فى التسامر وأحياناً التصفيق من الدور الثانى لمن يلعبون بشكل جيد.. لا أتذكر حرفاً واحداً مما درسته هذا العام.. كنت واحداً من الجيل الأخير الذى لحق بالصف السادس الابتدائى قبل العمل بالنظام الجديد..

بعد هذا لا أريد أن أسرد قصص معاناتى فى معتقل مدرسة «أبو بكر الصديق الإعدادية» ولا تسلط مدرسى، الشهيد خيرت الثانوية» ولا تعالى أساتذة جامعة جنوب الوادى الذين لم يكونوا يهتمون سوى بالنحو والصرف وطرائق التدريس وحينما يضبطون طالباً يسير بجوار زميلته بالجامعة يتأسون على زمن الأخلاق وكأن الحب

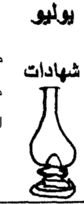




محرم على هذا المجتمع..

لا أريد أن أتذكر وأعلن بلا تردد استيائى من والدى المقتدر الذى زج بى فى معتقلات وجحيم التعليم المجانى لأنه كان يعتقد أن هذه هى الطريقة لأن أكون مواطناً مصرياً صالحاً!!

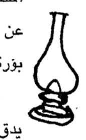
لكننى أيضاً مدين لهذه الظروف التى جعلتنى أكتب لأواجه هذا القمع وهذا الظلم .. من كان يدرى لو ركبت «الباص» الفخم ذاهباً مع أبناء المرفهين إلى المدارس الخاصة ماذا كان سيحدث؟! هل كنت سأهتم بالكتابة ؟! لا أعرف .. وأظن أننى لو لم أتجه إلى الكتابة لأصبحت أحد مجانين الشارع!



شهادة

صاحب الصورة

محمد بركة



استغرق الأمر سنوات طويلة حتى أعرف أن مدرسة « الوحدة الابتدائية المشتركة» التى « شرفت » بالانضمام اليها بكفر سعد البلد بدمياط أخذت اسمها عن فكرة « الوحدة المجمعة» التى تضم مستوصفاً ومدرسة ومجلساً محلياً لتكون بؤرة نور وسط عتمة المرض والفقر فى الأرياف البعيدة -

وكان الأستاذ بشير الصيفى مدرس اللغة العربية ـ وخالى فى الوقت ذاته ـ يدق بقوة على الحائط الملوث بـ « شخبطة» أقلامنا الرصاص التى أرهقناها برياً بأمواسنا المسنونة ويقول :

يابنى انت وهو لازم تفهموا ان محمد على هو السبب فى بناء هذه المدرسة وفى وجودكم هنا يابقر !

ولم يكن نعتنا بصفة « بقر» سوى مجرد نزوة فى مفردات الخطاب بين خالى- الذى يربى النحل ويسافر الى ليبيا ويرسم أطباق الفواكه فى لوحات زيتية ضخمة- وبيننا نحن الأطفال الذين تقوم أمهاتنا كل صباح بمجهود خرافى لكى توقظنا من أجل الذهاب الى المدرسة . كانت المفردات المفضلة لدى خالى وهى تخاطبنا تنحصر فى شئ من اثنين إما أن يخاطبنا« يا أمة ضحكت من جهلها الأمم " و" خلاص ياولادى هانت قدامكم ٢٠ سنة وتبقوا حمير "..

ويحدث أن ينتهى اليوم الدراسى ، وتطل نسمة العصارى ونحن نحمل شنطة بلاستيك ونتجه الى عم محب الصيرى لنأتى بالسلع التموينية التى كانت تحظى بالمأسوف على شبابه الذى كان يسمى وقتها " الدعم " ونقف أمام " الفنطاس" الذى تفوح منه رائحة الزيت وتخطف خيالنا صورة عتيقة فى برواز قديم مكتوب عليها بخط جميل : " الزعيم الخالد فى كل قلب"

مرت السنوات مثل شهاب خاطف ثم مرت سنوات لمح البصر وسمعنا عن



شئ يسمى « مشروع النهضة» وفهمنا أن ثورة يوليو- ومجانية التعليم فى القلب من إنجازاتها - يجب أن توضع فى سياق « نهر تحتى» - على حد تعبير محمود أمين العالم - يبدأ من مشروع محمد على وينتهى بالحلم الرومانتيكى لذلك الزعيم الذى ما زلنا نتذكر ذلك البريق الساحر الذى يشع من عينيه والشموخ الذى تطمح به ملامحه وتلك الاستقامة الحادة المحببة لأنفه وهو يطل علينا من الصورة.

بشكل أكثر تحديداً اسمحوا لى أن أطرح على نفسى هذا السؤال : بماذا أشعر بالضبط تجاه مجانية التعليم أنا الذى توفى جده زاهداً بسبب الكسل فى أرض الاصلاح الزراعى دون أن يملك مجرد عشة أو كوخ تؤوى أسرته ومعتمداً فقط على التساهيل ؟ لاشك أن امتناناً ما أحسه خاصة أننى ولدت عام ١٩٧٢ وأعرف كما يعرف المصريون الآن أننا نعيش حالياً عصراً فريداً من نوعه ، فاذا كانت المجتمعات لديها مجانية تعليم أو تعليم بلا مجانية فقد انفردنا نحن بأننا لانملك لامجانية ولاتعليماً !

وتسألنى صديقتى التى تسكن فى حى مصر الجديدة عما إذا كنت تلقيت تعليمى الأولى فى مدرسة لغات أو على الأقل تعلمت الانجليزية - بشكل ما- فى سنوات عمرى الأولى . وتدهشنى فعلاً براءتها ورقتها وهى تطرح السؤال . لقد ذاكرت دروسى على الطبلية لأننا لم يكن لدينا ترابيزة ، وعلى نور لمبة الجاز نمرة عشرة لأن الكهرباء لم تكن دخلت العزبة بعد ، وكانت المدرسة عبارة عن الدور الأرضى فى بيت الحاج يونس لأن وزارة التعليم لم تكن قد استجابت لطلب بناء مدرسة بسبب قلة عدد التلاميذ فى تلك العزبة النائية . وهاأنذا أحمل ديناً - غامضاً وبعيداً - فى رقبتى لصاحب الأنف الحادة والمستقيمة فقد تعلمت مجاناً ودخلت الجامعة وصدر لى كتابان فى القصة القصيرة وأحياناً أرى صورتى منشورة .. وسأنسى أشياء كثيرة وأشعر بالرضا والغضب ، وسأتكلم كثيراً عن ابتزاز يمارسه معنا من نحبهم باسم « الدين» التاريخى .. لكنى سأظل أتذكر بكل الدقة والتفاصيل ملامح وجه صاحب الصورة.



الثأر .. ظاهرة ثقافية أم لقطات عابرة؟

عيد عبد الحليم

ما شهدته قرية« بيت علام» بسوهاج منذ عدة أسابيع من جريمة بشعة راح ضحيتها أثنان وعشرون مواطناً فى واحدة من أبشع جرائم الثأر تدعونا للتوقف -قليلا- أمام هذه الظاهرة .

فالثأر كلمة فاجعة- فى حد ذاتها -تترتب عليها نتائج أفجع .. فى معناها القريب تعنى الإنتقام ،وهى كلمة ذات دلالات متعددة منها على سبيل المثال الحقد والكراهية ونفى الآخر بطرق أولها وآخرها القتل للنفس التى حرم «قتلها إلا بالحق».

أهل الفقه والشريعة يسمونه« افتئاتاً على الحاكم» يعنى ولى الأمر الذى بيده الاقتضاء والقصاص.

وأهل الصعيد يسمونه «الشرف» حيث يدور فيما بينهم المثل الشائع «التار ولا العار».-إذن- هى عادة يصفها المجتمع بأنها سيئة ، ويصفها المواطن الصعيدى بأنها« فرض عين» فلابد من القصاص من الجانى أو أبنائه أو أبناء عمومته ولو بعد حين.

والثأر هو أحد أخطر القضايا التى تهدد كيان المجتمع الإنسانى فهو- كالجرثومة التى

تتغلغل فى الدماء ٠لا يمنعه قانون مهما كانت العقوبة.

وهو أحد الأنظمة التى أحضرها العرب إلى صعيد مصر كما يقول د. محمود جاد -أستاذ علم الاجتماع بجامعة جنوب الوادى- الذى يعرفه بأنه «نظام يهدف إلى ردع العدوان بين القبائل بعضها البعض كما يهدف إلى توفير الأمن بين هذه القبائل».

ويضيف د. جاد -وللثأر أساس اجتماعى وسياسى،حيث إن القبيلة التى لا تأخذ ثأرها تفقد هيبتها الاجتماعية والسياسية وتصبح مطمعاً للقبائل الأخرى الكبيرة، وكما أن للثأر أساسا اجتماعيا وسياسيا فإن له أساسا نفسياً،وهذا الأساس النفسى يتمثل فى البناء الداخلى للقبيلة الذى ينهض على تفريغ العدوان خارج القبيلة وهو ما يتمثل فى المثل الشعبى الشهير« أنا واخويا على ابن عمى وأنا وابن عمى ع الغريب» وفى الحديث النبوى «أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً».

ثقافة الفرد

ويؤكد د. محمود جاد على أن فكرة الثأر تنعكس على ثقافة الفرد وتجعل منه فرداً حاملاً لثقافة تخلفية ، لا يتعامل مع الغير إلا من منطق السمو، وتجعل منه شخصا أحادى النظرة جامد الفكر ، معتزاً برأيه لا يقبل النقاش «الديمقراطية» ، الأمر الذى يفضى فى النهاية إلى العصبية ، هذا من ناحية ،ومن ناحية أخرى فإن هذه الفكرة «الثأر» تقود الفرد إلى الدوران فى فلك ثقافة ضيقة ومغلقة تدور حولها القبيلة ، حيث ينعدم لديه مفهوم الوطن ويحل محله «مفهوم القبيلة» وتصبح هذه الأخيرة -هى التى تغلف ثقافته برمتها وتتعدد على ضوئها ، انتماءاته الاجتماعية والثقافية والسياسية والأيديولوجية.

وبالتالى يصبح هذا الشخص حاملاً لثقافة ما قبل وطنية وقد أتخذ الثأر أشكالا أخرى غير مباشرة من العداوة بين الناس وبعضهم البعض، فالثأر يخلق ثقافة تسلطية لا تقبل الآخر وتتسم بالعدوانية.

الثأر والنص الأدبى

ويرى د. محمود جابر أن الحل الجذرى لإنهاء مثل هذه الظاهرة التى تمثل كارثة إنسانية ، أن يشهد الصعيد تحولات هيكلية فى مجالات الثقافة والاقتصاد تحرر الإنسان الصعيدى من أساطيره وثقافته القبلية ،فالتحولات التى شهدها الصعيد فى الألف سنة الماضية لم تكن تحولات جذرية بل كانت تحولات هامشية سطحية توجد فى المدن -فقط- أما الريف فلا.

وإذ كانت هذه هى نظرة علم الاجتماع لهذه الظاهرة الخطيرة ، فماذا عن تأثيرها فى النص الأدبى.

بالرغم من وجود عدد هائل من المنجز الإبداعى الأدبى الذى عبر عن المجتمع الصعيدى إلا

أن أعمالا قليلة هى التى تناولت هذه الظاهرة بصورة جزئية تلمح ولا تفصح ، وبرؤية مصغرة للحدث ، ومن أشهر هذه الأعمال رواية «دعاء الكروان» للدكتور طه حسين التى سيطرت فكرة الثأر على أبطالها ، ويتمثل داخل النص فى الانتقام للشرف، وقد صورت أحداث الرواية سينمائيا فى فيلم يعد أحد أهم مائة فيلم فى تاريخ السينما العربية- تحت نفس الاسم- وأغلب أحداث الفيلم عودة إلى الماضى حيث تتذكر آمنة جذور الحدث وكيف قتلت أختها «هنادى» على يدى خالها بعد أن فقدت شرفها مع المهندس الذى عملت لديه خادمة ، ثم إصابة الأم بصدمة ، وبعد ذلك تقرر آمنة أن تدخل حياة« المهندس» -وتنتقم منه/لقتل أختها.

وقد حاول المخرج «هنرى بركات» زيادة المساحة الدرامية لبعض هذه الشخصيات كالخال والمهندس والأم -من أجل بلورة الحدث الدرامى ، خاصة دور الخال الذى قام به «عبد العليم خطاب» ودور المهندس الذى قام به أحمد مظهر ، فرغم أن المهندس موجود فى خلفية الرواية باعتباره السبب الرئيسى للأحداث التى حدثت للأسرة التى تتكون من ثلاث نساء هن «هنادى وآمنه والأم» -فإن وجوده بمساحة أكبر فى الفيلم يتناسب مع حالة التحول التى أصابت آمنه من فتاة تطلب الانتقام ، إلى أنثى تحب الرجل الذى كرهته ، والذى يمنع وفاة أختها بسببه أن تتمادى فى حبها له.

وقد حاول المخرج وكاتب السيناريو يوسف جوهر» أن يذكرانا كمشاهدين أننا أمام نص أدبى ، فيكون المشهد الأخير فى المكان الذى قتلت فيه« هنادى» ويأتى صوت المؤلف المميز «دعاء الكروان» .. أترينه كان يرجع صوته هذا الترجيع حين صرعت هنادى فى ذلك الفضاء العريض مما يحيلنا- بطبيعة الحال-إلى البنية الأساسية للرواية ، التى اعتمدت فى محورها وركيزتها الدرامية على فكرة الثأر للشرف.

.ولا نستطيع أن نقول إن رواية «الطوق والأسورة» تصب فى هذا الجانب كثيراً- رغم أن إحدى بطلات الرواية وهى« فرحانة» التى حملت سفاحاً من ابن شيخ البلدة -ثم واجهت مصيرها بنفسها ، فكانت ضحية طموحها الزائد وانبهارها ب«صابر» الذى تعلم فى المدينة ، وإن اتسمت لغة الرواية ولغة الاقتباس السينمائى والسيناريو الذى قام به« يحيى عزمى» والاخراج الرائع «خيرى بشارة» بلغة هى أقرب إلى الحقيقة حيث إن النص الأساسى ليحيى الطاهر عبد الله تسيطر عليه أجواء الصعيد فنكاد نشم رائحة الأفران والعجين والدم.

ولعل أقرب الروايات إلى فكرة الثأر بمعناها الحقيقى رواية «خالتى صفية والدير» لبهاء طاهر ولعلنا نذكر المعاناة القاسية التى عاشها« حربى» بطل الرواية بعد أن قتل خاله« البيه» -بشكل اضطرارى -بعد أن أهان كرامته ، على الجانب الآخر كانت «صفية» التى تحول حبها لحربى

إلى نار تأكل كل ما يقابلها فقد عاشت بعد ذلك طالبة الثأر لزوجها من حبيبها الأول.

وقد تم نقل الرواية فى النصف الثانى من تسعينيات القرن الماضى إلى مسلسل تلفزيونى شهير حمل نفس اسم الرواية ، وقد قامت السيناريست يسر السيوى بكتابة المعالجة الدرامية والحوار ، واجتذب المسلسل ملايين المشاهدين على مستوى العالم العربى.

وقد أعيد طبع الرواية أكثر من مرة- نظراً لاقبال القراء عليها- وهى رواية ذات بنية درامية متعددة الأصوات ، اعتمد «بهاء طاهر» على الحكايات والمأثورات الشعبية التى كانت تحكيها له والدته عن مجتمع الصعيد خاصة محافظة «قنا» رغم أن «بهاء» لم يعش فى الصعيد سوى فترة بسيطة جدا فى طفولته ، لكنه نشأ فى محافظة الجيزة ، إلا أننا نستطيع أن نقول إن« خالتى صفية والدير » هى رواية الصعيد الأولى على مستوى التقنية ، والسرد ، فهى رواية جامعة لكل أحوال الصعيد ، اعتمدت فى وصفها على إلقاء الضوء على هوامش الأشياء والعادات ،فجاءت كاشفة راصدة ، قريبة من روح المجتمع.

فى الفن الشعبى

وقد يتحول الثأر إلى فعل بطولى- فى بعض الأحيان ، فيكون الآخذ بالثأر بطلاً فى حدود قبيلته وأحيانا وطنه ، ولعل هذا ما حدث مع أدهم الشرقاوى -ابن إيتاى البارود بمحافظة البحيرة، والذى ثار لقتل عمه وبذل محاولات بطولية للأخذ بثأره من «الأغا» عميل الانجليز بتلك المنطقة فى أوائل القرن العشرين ، وأثناء رحلته للنيل من قاتل عمه قام بأفعال تحولت إلى حد الأسطورة وهو ما يصوره «موال أدهم الشرقاوى» وقد سجل هذا الموال على شريط كاسيت بصوت المطرب محمد رشدى حقق فى الثمانينات من القرن الماضى مبيعات كبيرة حيث بيع منه ما يقرب من مليون نسخة فى طبعات مختلفة.

وجرى تصوير الموال مرتين ، الأولى جاءت بشكل سينمائى من خلال فيلم« أدهم الشرقاوى» فى بداية الستينيات وقام ببطولته الفنان الراحل عبد الله غيث ، وقام الفنان عبد الحليم حافظ بدور المغنى الراوى- دون أن تظهر صورته على الشاشة- ومرة أخرى صور تلفزيونيا فى نهاية الثمانينات فى مسلسل حمل نفس الاسم من إخراج عبد العزيز السكرى.

.وقد عبر الفن الشعبى فى صعيد مصر عن حالة الثأر خاصة «الثأر للشرف» ومن الأشرطة المتداولة حتى الآن شريط يحكى قصة اسمها «شفيقة ومتولى» للمطرب الشعبى القناوى حفنى أحمد حسن» وفيها يحاول متولى البحث عن أخته «شفيقة» التى تهرب من البيت وتعمل راقصة حتى يصل إليها ويثأر منها لشرف العائلة. ومثل هذه القصص تقوم فى الأساس على مؤثرات

بيئية وحياتية معاشة ، فعذرية المرأة تمثل المحور الرئيسى للشرف فى تلك المنطقة وبدونها تضيع الهيبة والعار.

ومن أشهر الأغانى التى تتردد فى وسط الصعيد تعبر عن هذا الحدث قول الشاعر الشعبى:

البين جاب لى حنظل وجال لى كل

كل يا متعوس وفرج ع الغلابة كل

من بعد ما كنت فى لمة وزاين الكل

صبحت غلبان ومسكين ومستحمل كلام الكل

..

ماكانش عشمى بعد اللمة يجد فراج

ويحمل النجع بأحبابى وأنا لجربهم مشتاج

من اللى جرى لى منك يا بين لا أسطره فى أوراج

وأطلع منادى ينادى فى البلاد

والشهد بعد الحبايب مر لم ينداج

«والجيم فى نهاية الأبيات تنطق باللغة العربية قاف- ومن المؤكد أن علاقة الإنسان بالكون والظواهر المحيطة به قد حددت كثيراً من عاداته وأنماط سلوكه ، ومن ثم إبداعه وطرق تفكيره مما أضفى على أغانيه الفطرية والأمثال والحكايات التى يرويها معان ذات بعد دلالى نافذ العمق.

حدوتة مصرية

..رإذا كان أهل المثئور له لا يقيمون سرادق العزاء إلا بعد أن يؤخذ ثأره من قاتله فإن ذلك قد أثر على ذاكرة الشعراء خاصة الذين نبتوا فوق أرض الصعيد ونبتت فوق جلودهم ودمائهم أساطيره وتراثه من أمثال أمل دنقل وعبد الرحمن الأبنودى وعبد الرحيم منصور- وهم على سبيل المثال- أبناء محافظة واحدة وهى« قنا».

يقول الأبنودى فى قصيدة حدوتة مصرية من ديوان «الأرض والعيال»:

حا استنى عود المسك لما يقيد

علشان أشفى

ماتكسر وش الجسر قدامى

ماتفرقوش الدرب فى غيابهم

بكره يعود حبايبى قدامى

ويدقوا فوق صدرى على بابهم

وينفتح فى قلبى ميت شباك

وربما اتخذ أمل دنقل » فى معظم قصائده من تيمة «الثأر» من العدو متكأ وتيمة إبداعية ، فصورة الشهيد –دائما تظهر داخل النصوص –وإن اتخذت صورة رمزية أحيانا– تنادى على أهله أن يثأروا ،والشهيد بطبيعة الحال هم شهداء مصر والعدو هو «إسرائيل» ولنقرأ مثلا قصيدة «كلمات سبارتاكوس الأخيرة» –خاصة هذا المقطع:

معلق أنا على مشانق الصباح

وجبهتى بالموت –محنية

لأننى لم أحنها حية

يا إخوتى الذين يعبرون فى الميدان مطرقين

منحدرين فى نهاية المساء

فى شارع الاسكندر الأكبر :

لا تخجلوا .ولترفعوا عيونكم إلى

لأنكم معلقون جانبى ..على مشانق القيصر

فلترفعوا عيونكم إلىّ

لربما .. إذا التقت عيونكم بالموت فى عينى

يبتسم الفناء داخلى..

لأنكم رفعتم رأسكم مرة

وتعتبر قصيدة «لا تصالح» تجسيدا واضحا لفكرة الثأر لكرامة الوطن وهنا يصبح الثأر فعلا إيجابيا .

لا تصالح ، ولو توجوك بتاج الإمارة

كيف تخطو على جثة ابن أبيك..؟

وكيف تصير المليك على أوجه البهجة المستعارة؟.

كيف تنظر فى يد من صافحوك فلا تبصر الدم....

فى كل كف؟؟.

إن سهماً أتانى من الخلف .. سوف يجيئك من ألف خلف.

فالدم الآن .. صار وساماً وشارة



لا تصالح .. ولو توجوك بتاج الإمارة
إن عرشك سيف ، وسيفك زيف
إذا لم تزن –بذؤابته– لحظات الشرف.
واستطبت الترف

وقد ظل شاعرنا–حتى اللحظات الأخيرة من عمره القصير وآلامه الكثيرة –ملتزما بموروثه الثقافى وقضيته الإبداعية ، صارخا بأعلى صوته:

«أتذكر ..
سال دمى
أتذكر
مات أبى نازفاً».

الديوان الصغير



القرية

د. عصمت سيف الدولة



اخترنا هذا الفصل من كتاب أدبى بالغ الأهمية لم يلتفت إليه أحد هو« مذكرات قرية » للمفكروالكاتب الراحل د. عصمت سيف الدولة ليكتمل به ملفنا الصغير عن الثأر كظاهرة ثقافية ليس لأن الفصل يتحدث عن الثأر ولكن لأنه يكشف لنا عن البنية العميقة للصعيد وما يمكن أن تولده سواء فى شح الطبيعة أم محدودية الأفق أم العزلة عن العالم حتى أنك لا تعرف إن كان الراوى يحكى عن القرن الخامس عشر أم القرن العشرين .. لكنه فوق ذلك كله نص أدبى جميل.

لما أن أختار المرحوم على باشا مبارك أن يفلت التاريخ من زمانه ومكانه وأحداثه وميراثه كتبه تبعا لترتيب الحروف الأبجدية . فقال فى كتابه «الخطط التوفيقية» تحت حرف القاف : إن «قاو» بقاف فألف فواو بلدة بالصعيد الأوسط تجاه ما بين «طهطا» و«طما» تحت سفح الجبل فى شمال قرية «الهريدى» .وكلمة قاو قبطية معناها الجبل لأنها بقربه ، وعندها بهذا الجبل مغارات كثيرة منحوتة كانت مساكن رهبان النصارى فى الأزمان السابقة . وكانت هذه البلدة تسمى عند قدماء المصريين «تكوو» وفى بعض كتب القبط «كوو» وكان اليونان يسمونها «انطيوبوليس» .وهى كلمة مركبة من كلمتين : «انطيو» الذى هو اسم لأحد الاعوان عند الرومانيين و«بوليس» التى معناها مدينة . فيكون معنى الكلمتين بعد التركيب «مدينة انطيو» ، وزعم اليونان أن «انطيو» هو «ابن الأرض» الذى قتله «هرقول» خنقا بين السماء والأرض بعد أن تحير فى أمره لأنه كان كلما مس الأرض برجليه ازداد قوة فلم يتمكن من قتله إلا فى السماء . وهذا من خرافات اليونان ، أو أن ذلك لغز .. له معان اشارية يفهمها أربابها كما كتب الفرنساوية . قالوا وكانت هذه البلدة فى الأزمان السابقة على شاطئ البحر ثم تباعد عنها(...) .وفى زمن الرومانيين كان يقيم بقرب هذه البلدة على بعد أميال فرقة من عساكرهم. وكانت تلك المدة «راس خط» ثم تخربت ولم يبق بها إلا الآثار ، فلهذا اسماها المقريزى «قاو الخراب» (...) وقد خلفت هذه البلدة ثلاث قرى فى تلك الجهة. احداها تسمى «قاو الكبيرة» «وقاو الشرق» وهى فى شرق النيل فى جنوب« رياينة أبى أحمد» وفى الجنوب الشرقى لناحية «طما» الواقعة غربى النيل ، والثانية «قاو النواوره» فى شرق البحر أيضا فى جنوب «قاو الكبيرة» وفى شمال «رياينة الهريدى» والثالثة تسمى «قاو الغرب» فى غربى النيل تجاه «قاو الكبرى» بين «مشطا» و«طما» . وابو الجميع واحد ، وطباعهم وعوائدهم وتكسباتهم متحدة . ولغتهم تقلب الجيم دالا ، والشين المعجمة سينا مهملة. فيقولون فى «الجمل» مثلا« دمل» ،وفى «الشعير» «السعير» . وقد كانوا قديما أهل بلد مغفلين ، حتى يقال انهم اغاروا مرة على قرية غربى النيل ونهبوها فملأ أحدهم غرارة من الدجاج وانزلها البحر وعدى البحر بالعوم وهو يجرها خلفه فى الماء إلى البر الآخر فمات الدجاج وهو لا يدرى أن الماء يغرقه ،وملأ أحدهم غرارة من السكر وجرها فى البحر حتى نفذ ما فيها وهو لا يدرى (...) إلى أن كانت سنة ٨٠ أو إحدى وثمانين (١٢٨١ هجرية ١٨٦٤ ميلادية) فأتاهم رجل من الصعيد الأعلى كانوا يسمونه الشيخ أحمد الطيب يزعم أنه شريف جعفرى ويدعى العلم والولاية والمكاشفات فلغفلتهم احتفلوا به ودخلوا فى طاعته وأعطوه العهود على أنفسهم بالطاعة لله ورسوله ، فجرهم إلى معاصى الله تعالى حتى جعلهم من البغاة الخارجين عن

طاعة الامام . آل أمرهم إلى أن سلط عليهم الخديوى اسماعيل باشا شرذمة من العساكر مع بعض الأمراء فقتلوا كثيرا منهم وخربوا بيوتهم وسلبوا أموالهم وأمر بكثير منهم فنفوا إلى البحر الأبيض مدة حياتهم ، ثم عفا عن باقيهم ولكن ذهبت بهجتهم وقلت أموالهم وظهرت عليهم الكآبة والفاقة من يومئذ وقد بسطنا الكلام فى تلك الواقعة عند الكلام عن« العقال » فانظره..

حاضر يا باشا .. ننظر :

« العقال » قرية بجوار الجبل الشرقى بقسم « بوتيج » من مديرية أسيوط فى جنوب البدارى وفى شمال رياينة أبى أحمد ، فيها مساجد عامرة ونخيل وأشجار وأبنيتها من أحسن أبنية الأرياف لخصوبة أرضها وجودة محصولها ويسار أهلها . وتمر بقربها ترعة « قاو » التى فمها من بحرى « قاو » تقطع جسر العقال بقنطرة فى غربها حتى تصب فى حوض البدارى (...) وللناحية جملة كفور متفرقة منها كفر على شاطئ البحر يقال له« كفر العقال » وكفر يقال له « كفر علام » فيه بيت عمدتها المرحوم عبد العال العقالى على شاطئ البحر ، وكان صاحب ثروة وزراعة كثيرة ، وقد أحسن إليه الخديوى برتبة « قائمقام » (أصبح أغا) بعد واقعة « قاو » لما جمع أهل بلده ومنعهم من العصيان مع من عصى ، بل قام بهم مع العسكر على العصاة فحظى بالقبول (...) وسبب تلك الواقعة رجل من الصعيد الأعلى يزعم أنه شريف جعفرى ويسمى باسم أحمد الطيب ، وإنما هو الشقى .كان يتردد على هذه الجهة والأهالى تعتقده واجتمع عليه كثير من الناس وأعطوه العهود على أنفسهم بالطاعة فكانت طاعتهم معصية وصلاحهم فسادا ونصرهم للدين اذلالا . وذلك أنه أتت إليه ذات يوم « أمة » مسلمة مملوكة لبعض نصارى « قاو » تشكو إليه سيدها يريد وطأها وهى ممتنعة منه .فأحضر النصرانى وخيره بين بيعها وعتقها منعا للحرمة فامتنع النصرانى وأصر على تملكها . فلم يحسن الشيخ التدبير وأخذها جبرا من النصرانى وآذاه وهم بسلب أمواله فرفع النصرانى الشكوى للحكومة فطلب حاكم الجهة الجارية من الشيخ فامتنع عن تسليمها فتوجه إليه ناظر القسم فلم يعبأ به وازداد فى أذى النصارى وأظهر عدم المبالاة بالحكومة واجتمع عليه كثير من أهل بلاد الشرق فجاء مدير جرجا وأسيوط ورفاعة أغا صنجق الاربعمائة ومعهم بعض عساكر وعرب . فرفعوا السلاح ورفعوا رايات الحرب وجعل من جماعته سر عسكر وضباطا كترتيب الجهادية وأغراهم الحمق والسفه اغراء كثيرا فتعين عليهم الأمير شاهين باشا بشرذمة قليلة من العسكر ومعهم بعض مدافع . وبوصولهم هناك ضربوهم بمدفع مزقهم كل ممزق . وقتل الشيخ وكثير من جماعته شر قتلة. ونفى كثير منهم إلى البحر

الأبيض وخرجت «قاو» و«الريانية» و«الشيخ جابر» و «النظرة» وتفرقت نساؤهم وذراريهم فى البلاد وسلبت أموالهم ومات كثير منهم فى الجبال ثم أدركتهم المراحم الخديوية فعفا عمن بقى منهم فرجعوا إلى أوطانهم ورد إليهم ما بقى من أموالهم . وذكرنا من ذلك طرفا فى الكلام على قرية «قاو» .

٢

تلك القرية «النطرة» نسبة إلى قبيلة «عرب مطير» كما يزعم أهلها ، أو «الشيخ جابر» نسبة إلى مقام لولى الله الصحابى جابر بن عبد عبد العزيز الذى اعتكف فيها حتى توفى ودفن فى مقامه كما يزعم أحفاده الاشراف من سكانها ، أو «الهمامية» نسبة إلى همام بك عميد عائلة اقطاعية من قرية «ساحل سليم» كما اسمتها الحكومة فى أواخر القرن الماضى.

قبل أن يوجد كل أولئك وأجدادهم ، يوم أن كانت أمواج البحر الأبيض المتوسط ترتطم بموقع من مصير يسمى الآن القاهرة ، ولم تكن الدلتا قد ولدت بعد(حوالى ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد) ، كانت القرية قائمة على أحد المدرجات التى نحتها النيل فى حجر الجبل الشرقى متتابعة الهبوط إلى الوادى تبعا لنحر النيل مجراه على مدى عشرات من القرون هابطا إلى حيث مجراه ، كانت حينئذ مركزا لاقدم حضارات الإنسان على الإطلاق . ظلت مجهولة حتى اكتشفها برنتون (١٩٢٨) ونسبها إلى البدارى العاصمة الادارية التى تتبعها الهمامية حين اكتشفها مع أن البدارى تبعد عن الجبل الشرقى بنحو عشرة كيلو مترات .

إن أردت أن تزور فهناك أعلى القبور تقتفى خطى« الخواجات» الذين يترددون عليها زائرين ، على ما تختار من سلالم عدة منحوتة فى صخر الجبل صاعدة من حافة الوادى نحو مائة متر تنتهى إلى فتحات أبواب مستقيمة الاضلاع متوسطة الارتفاع تؤدى من خلال طرقات حجرية مصقولة إلى حجرات مرصوصة فيها منازل إلى آبار وأغوار . ستعجب كيف يغمرها الضوء حتى الأعماق .والضوء كاف لتتأمل ما على الجدر الملساء من صور ورسوم ، ستلاحظ ، لا شك ، أن سكانها كانوا قصار القامة، دقيقى الملامح ، غير ملتحين ، يرسلون شعر رؤسهم الاسود المتموج على أكتافهم ، بينما لا يزيد طول شعر الأنثى عن شبر مضفور فى غدائر عدة. وقد تعلم من أهل العلم أنهن كن يكتحلن بمسحوق الاردواز الاسود . ويصبغن شفاههن باللون الأحمر ، فإن لفتتك كثافة الرسوم على الجدر المصقولة فلا تعجب .أنها تعبير عن إعجاب الإنسان بما أبدع قبل أن يبدع أي إنسان منذ الخليقة إلى أن سكن حيث تقف وتتأمل. فهناك ، صدق أو لا تصدق ، أخترع الإنسان فى العصر

الحجرى (البليوسينى) الكتابة ابداعا ذاتيا عبقريا بدون مؤثر خارجى قبل أن يهتدى إليها سكان «سومر» فى العراق بقرون طويلة .، وباختراع الكتابة ولد التاريخ ، فكأنك فى وقفتك تلك قابلة التاريخ أو قابلته وهو وليد .

فإن التمست مخلفات آباء التاريخ الغابرين ستجدها قللا وأقساطا وأزيارا وأوانى من الفخار لا تزيد إلا بقايا عظام حيوانات صغيرة كالغزلان والقطط لا تزال باقية فى أغوار المقابر التى أفرغها المستكشفون من بقايا سكانها . قبل أن تفارق «الهمامية» لن يفارقك تاريخها العتيق ، فلا تزال القرية تحمل فى الفئوس وفوق الرؤوس وبعض الطقوس بصمات تاريخها .كما لا تزال تصنع أوعيتها من طينها وتحيله فخارا على نار وقودها لم تضف إلا أشكالا إلى ما شكل الأولون. فمنها «الزير» الكبير ومنها «القسط الصغير» ومنها« البرمة» ذات الحجم المستدير ، ومنها «المواجير» كبيرها للعجين وصغيرها للثريد ، ومنها «اللواحيق» صحاف القرية وصحونها ،ومنها «البلاليص» جرار تحمل فيها المياه من الآبار وترع الانهار ، وخزائن لبن معتق بخميرة «الحلبة» ومسحوق الشطة والملح الكثير ، نفاذ الرائحة ، لزج البنية ، يسمونه «المش» يسبح فيه دود أبيض صغير يقولون أنه« منه فيه» فلا يبالون.

تلك القرية بادت . دكت دكا . وأصبحت يوم الغارة كوما من التراب . وعلى انقاضها جرت مذبحة من ابيدوا قريا على الخوازيق من أهل القرية المتمردة . وهرب من لم يبد.

٣

أدركت المراحم الخديوية أهل القرى بشرط «كفالة» استقرارهم على الخضوع . فكفل عثمان بن الأحدب من بنى سالم« قاو الكبيرة» فأسموها العثمانية ، واتخذها اقطاعية وما زال يسخر العائدين إليها من أهلها فى تنمية أسباب الثراء حتى اتسعت طولا وعرضا و(غربا) ثم توزع فائض سكانها «نجوعا» تحيط بالقرية الكبيرة على بعد قليل منها ، وكفل حليف السلطة «القائمقام» عبد العال العقالى عمدة «العقال» الذى تولى جيشه الخاص بعد أن توقف القتال نهب القرى الثلاث الثائرة ،عبودية العائدين إلى« الرياينة» فاقتطعها لنفسه وأهله وبنى قريته وأسماها «العقال القبلى». فامتد الرخاء والثراء إليها من قرية متخمة فى الأصل ثراء ورخاء .وكفل من يدعى همام بك العائدين إلى «الشيخ جابر» و«النطرة» فأصبح الكفران قرية واحدة اسمها نزلة همام بك ثم«

الهمامية» . ولم يكن همام بك فى حاجة إلى مزيد من الأرض .كفل أهل الهمامية وجاهة ليكون من الكافلين . إذ هو الجد الأكبر لعائلة اقطاعية تسمى« السيلينية» موطنها قرية «ساحل سليم» شمالى القرية بنحو ثلاثين كيلو مترا كانت تملك جيشا من الرقيق الاسود المستجلب من جنوب الوادى تفرض به سلطتها وتستكثر أفرادها ممن« ملكت أيمانها» من نسائهم فغلبت عليهم الدماء الحارة وأصبحوا سودا كالزنوج أو أقل سوادا ، أما الذين احتفظت لهم جينات الوراثة بلون أجدادهم من الترك فيحملون أنوف وشفاه الآخرين . لم يقم همام بك فى القرية أو قريبا منها وإن بقيت أطماع السيادة كامنة فى ذريته إلى أن يعود منهم إلى القرية من يحرس فقرها إلى حين.

بعد قرن من ذلك الحدث لا يزال أهل القرى يستعملون فيما بينهم من حديث اسماء قراهم البائدة . ولا يزال «للهمامية» اسمان: الشيخ جابر ، والنطرة ، سيان ، ولا يزالون يطلقون على ما جرى اسم «الغارة» ، غارة عدوانية شنها جيش مشترك من قسم «بوتيج» بقيادة ناظره ، وقوة مديرية جرجا وأسيوط ، وقوة صنجق الاربعمائة بقيادة رفاعة أغا ، انهزم فى مواقع كثيرة ،فجاءهم مدد من العاصمة جيش بمدافعه، انضم إليه المرتزقة من أهالى العقال بقيادة عمدتها وتولى القيادة العامة الأمير فاضل باشا وليس الأمير شاهين باشا كما ذكر الباشا . ذكريات أهل القرى الموثقة فى أغانى الدعوة إلى الثأر تذكر فاضل باشا ولا تذكر شاهين ،كما تحصى ما نهبه المرتزقة من أهل العقال وتصفه وصفا عينيا . ولم تنسحب قصة «الغارة» من قصص الهمامية فهى تشغلهم فى موعد معلوم من كل عام.

يبدأ الحديث توقعا لما سيحدث ، ثم يحمى أواره مع الأيام ، ثم يتوهج ويتحول إلى معارك «بالشوم» تشج فيها الرؤوس ، وتسيل فيها الدماء ، وتكاد تقتل نزيفا لولا أن يغلقوا أفواه الجراح بمسحوق البن أو بالتراب ، فتلتئم فتهدأ ثم تطيب النفوس إلى أن يفيض ماء النيل فى الصيف التالى حين يدنو موعد جنى بلح النخيل فيعودون إلى حديث الغارة.

يشهد المعاصرون نقلا عن المعاصرين بأن الشيخ أحمد، من عائلة المشاهرة ، «أولاد مشهور» ، وولده عبد الرحمن وآخرين كثيرين قد وقعوا أسرى فى يد فاضل باشا سارى عسكر افندينا ، ثم يدعى ورثة الشيخ أحمد من فروع اخوته أن فاضل باشا قد نصب «الخوازيق» اسفل مغارات

«المساخيط» وقد هم بان يرفع جدهم الشيخ أحمد على خازوق يفرى أمعاءه ، وكان ولده عبد الرحمن شابا فتيا ذا جرأة ووفاء ،وكان قد تمكن من الهرب ولكنه كمن قريبا وراء صخرة فى الجبل ينتظر أباه ،فلما شاهده من عل أسيرا يهمون برفعه على الخازوق لم يهن عليه أبوه ، فهبط إلى الوادي وتقدم إلى فاضل باشا يقبل قدميه ويتوسل إليه ألا يحمله عذاب رؤية والده الشيخ التقى الولى يقتل أمام عينيه ، وقال لقد كنت ناجيا فعدت لأفدى بحياتى من منحنى الحياة. فاعجب به فاضل باشا ورفعه قبل أبيه على خازوق يفريه .ولكنه لم يقبل الفداء . فلما مات أحمد على الخازوق ذاته بعد أن انتزع من أحشاء ولده مات بغير وارث من صلبه فآلت تركته التى ورثها عن أبيه إلى اخوته شرعا.

فيقول ورثة عبد الرحمن : ابدا .نعم لقد كان عبد الرحمن شابا فتيا ذا جرأة ووفاء فلم يهرب تاركا أباه الشيخ . وكان فاضل باشا يقتل الشباب من الأسرى قبل الشيوخ لأن الشباب أشد خطرا . فلما هم بان يرفع عبد الرحمن على الخازوق تقدم إليه والده الشيخ أحمد وخاطبه والدمع يبلل لحيته البيضاء . يا سيدى لا تحملنى عذاب رؤية فلذة كبدى يموت قبلى فكأنك تقتلنى مرتين . وانى لأعدك ، وأنا شيخ تقى ، باننى أن سبقت ولدى إلى جوار الله سأدعو الله ألا يريك مكروها فى ذريتك ، فسأل فعلم أن دعوات الشيخ مجابة ، فاستعجل دعاءه ورفعه أولا على الخازوق.

فلما مات قريا آلت تركته إلى ولده عبد الرحمن ، فلما مات بعد والده آلت تركته إلى ولده محمود وزوجته الهاربة بطفلها ويشارك كل حاضر فى رواية ما جرى ثم يتأوه شيخ منهم ويقول: لا يفض هذا الخلاف إلا الشيخ أحمد الطيب الذى شاهد المجزرة وهو مختبئ فى مغارة المساخيط البحرية . مرق طيفه النورانى إليها فلم يره الجند المرابطون عند سلم الحجر الصاعد إليها . فلما تفقده الكفرة فافتقدوه ظنوا أنه مات وبعض الظن إثم،. ولقد وعد الشيخ بانه سيعود . سيعود إن شاء الله ولو بعد ألف عام . إن أولياء الله لا يخلفون الميعاد . ويوصى بالتراضى على قسمة التركة مناصفة .فقد مات الشيخ أحمد وولده عبد الرحمن شهيدين فى سبيل الله .والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون . فلا يقبل الطرفان ويناطح الشوم الرؤوس فيقبلون . ويقتسمون ثمار عشر

نخلات أو ما لا يزيد إلا قليلا.

٤

مات الشيخ محمد معتوق إمام مسجد الشيخ جابر بن عبد العزيز وأهل القرية يؤمنون بصدق ما أفاض عليهم من علمه ، تنزل مياه النيل المباركة من انهار الجنة خلال مزاريب فى السماء عند التقاء الأرض ببحر الظلمات . فى القرآن «جنتان» واحدة فى السماء فأين الثانية؟ أنها جنة الأرض التى يطميها النيل كل صيف بما يحمله من تراب الجنة ذهبى اللون وسبب حياة النبات والحيوان والإنسان . فى الذكر الحكيم جنة عرضها السموات والأرض لأن جنة الأرض متصلة بجنة السماء عند التقاء الأرض ببحر الظلمات . لم يشاهد اللقاء أحد إلا الخضر عليه السلام. ولا يخفى أن أرحام أمهات المؤمنين لم تستنبت بذرة النبوة ذكرا إلا السيدة مارية المصرية لأنها نبتت وترعرعت من نبات أرض جنة الأرض وشربت من مياه نهر يتنزل من انهار الجنة ، فولدت ابراهيم عليه السلام الذى توفاه الله طفلا ليعيش فى جنة السماء وقد ولد بعيدا عن جنة الأرض . ولو كان ابراهيم عليه السلام قد ولد فى مصر لعاش فيها عمرا . ولكن ذلك حكم الله سبحانه وتعالى ولكل حكم لا يعلمها إلا هو . فاللهم لا اعتراض ..هرب المصلون منذ أعوام فتوضأ وصلى صلاة الاستشهاد وحمل كفنه وترك« الشيخ جابر» وسعى مع الساعين إلى حيث دلفوا إلى الجنة فى السماء شهداء فى «هوجة عرابى» ضد الكفار وخلفه فى الامامه ولده الشريف أحمد.

النيل يجرى من منابعه فى وسط افريقيا حيث تتجمع الأمطار والسيول إلى مستقر له فى البحر الأبيض المتوسط . يحف به واديه الخصيب ، تحرس الوادى عند جانبيه حين يدخل مصر سلستان من الجبال جرداء .تواكبانه حتى تسلماه إلى الدلتا فسيحة الأرض فيتفرق فروعا شمالى «مصر المحروسة» .هذا ما علمه بعد أبيه الشيخ أحمد محمد معتوق إمام مسجد «الشيخ جابر» . افتتحت فى القرية مدرسة فى مقر لصيق ببيت العمدة، طليت حوائطها بالجير الأبيض . وزوقت أبوابها ونوافذها باللون الأخضر . فيها أرائك مرصوصة ، وألواح سوداء معلقة على الجدران ، يكتبون عليها بقطع من «الطباشير» ويمحون ما يكتبون حين يشاءون .وفى ردهتها اعجوبة الزمان، صوان مرتفع عريض ذو ضلفتين من قطع من الأخشاب متقاطعة ، طليت من كل وجه بمثل اللون الأخضر

الذى زوق الابواب والنوافذ ،فإذا ما انفرجت ضلفتاه كشفتا عن طور جديد من تاريخ القرية ، فوراء كل ضلفة «زير» معلق ، تحته إناء من صفيح .الزير ملئ بالماء العكر ، ماء القرية . ولكنه ينضح ما فيه ، فيتحول فى إناء الصفيح إلى ماء رائق ،ماء «كالبنور» لم تذقه القرية قط، تلك هى« المزيرة» الاعجوبة ، يحرسها «فراش» يحمل أكوابا من الصفيح ، يملأها ماء رائقا ويقدمها بدون مقابل لمن يطلبها من التلاميذ ، ولا يسقى أحدا من كوب شرب منه غيره إلا بعد أن يفرغ ما بقى فيه . وذلك عجيب . فكل الناس فى «المناضر» يشربون من قلة واحدة تنتقل من «خشم» إلى« خشم» ولا يبالون . ولقد كانت «المزيرة» سببا فى تهافت كثير من رجال أهل القرية على زيارة المدرسة ، فعهدهم بالازيار فى بيوتهم أن تقوم على الأرض فلا تلبث أن يغطيها فطر لا يقل اخضرارا عن طلاء المزيرة ، ولا يشربون إلا من جوفها باناء من الفخار يسمونه «المنطال» خلدوه فى أغانيهم.

عطشان يا صبايا دلونى ع السبيل

أدى السبيل قدامك وعليه المناطيل

ولقد كان الشيخ أحمد محمد معتوق من بين الزائرين للمدرسة بعد أن غلق «الكتاب» الذى كان يعلم فيه الصبية القراءة والقرآن ثم الكتابة على أولواح من الصفيح باقلام من الغاب ومداد من الصمغ الأسود . لم يتوقف عند المزيرة وقارا وأن كان قد استمع إلى من توقفوا عندها معجبا . ولكنه كان من الزائرين الذين استمعوا إلى الشيخ حفنى أول ناظر لها وهو يشرح لهم مسيرة مجرى النيل على خريطة مزوقة معلقة على جدار حجرته .كان يشرح منفعلا فخوراً كما لو كان رب النهر العظيم .وكان الزوار يستمعون منبهرين بالنيل وشارح النيل.

..وابن بلدنا...

اطرح الناظر المؤشر الخشبى .جمع بيده اليسرى كم القفطان عن اليد اليمنى وشده فانحسر عن ذراع ضامر ويد معروقة .أمر الزائرين طالبا أن ينظروا إلى طرف اصبعه السبابة وأن يتبعوه مبتدئا من أوغندا حتى دخل مصر من سودانها .ما زال اصبعه طافيا على مجرى النيل يعرج يمينا ويسارا ويكاد يهم بالعودة عند قنا لولا أن يعود شمالا حتى يقترب من أسيوط يبطئ زحف أصبع الناظر تمهيداً للتوقف كما يفعل القطار ، حتى إذا ما بلغ موقعا جنوبى أسيوط بنحو خمسين كيلو مترا

انحرف اصبعه إلى الشرق ووقف عند أدنى الجبل الأصفر مغادرا الوادى الأخضر وقال بحسم وحزم : هنا .نعم هناك حيث يلتقى النهر بالجبل اللقاء الأول والأخير فى نقطة لا مثيل لها بين المنابع والمصب توجد القرية على سفح الجبل . نصيبها من الأرض الخضراء أقل من أن يستحق الظهور على الخرائط ولو خطا أخضر . هناك يجيب غياب الوادى على سؤال حاضر . لماذا يقتتل أعواما اخوة وأعمام ويشج بعضهم رؤوس بعض بالشوم من أجل ثمار عشر نخلات . ويسخر الجواب العينى مما أجاب به الباشا حين قال أنهم أهل بلد مغفلون ، وزعمه الساذج أنهم أضاعوا فى المياه من فرط غفلتهم ما اغتصبوه من قرية على الضفة الأخرى من النيل . ولم تقل لماذا يسبحون عبر النيل غارة ليغتصبوا دجاجا وسكرا ، لما كانوا من الغاصبين الباشوات لا يعرفون الاجوبة الصحيحة على أسئلة الفلاحين ، أنهم وهم من أبناء وادى النيل الخصيب قد حرموا من أن يكون لهم من أرضه نصيب ، هو كذلك ، ولا يزال البشر يقتتلون من أجل قسمة عادلة للأرض المكورة منذ أن استخلفوا فيها واستأثر بها الغاضبون.

فإذا كان الباشا أو الفرنساوية قد ظنوا الاسطورة اليونانية لغزا له معان اشارية يفهمها اربابها فأهل القرى من اربابها. جاء الرومان المغتصبون يفرضون «العبودية» بحكم القانون الرومانى على غير الرومانيين حتى التقوا بتلك القرى التى مردت على التمرد ، فاقاموا لجندهم حصنا فى «قاو» جنوبى الشيخ جابر. فلما تصاعد التمرد تكاثر الجند فضاق بهم الحصن فانشأوا لفائض جندهم معسكرا على شاطئ النيل شمالى« النطرة » فانحصرت الهمامية بين شقى الرحى الرومانية . وإذا كان الخديوى اسماعيل قد اختار ابادة المتمردين فلأنه كان أقل ذكاء من هرقل بكثير ، هرقل انتزع منهم الأرض مصدر قوتهم المتمردة التى حيره أمرها أو انتزعهم من الأرض ، فقالت الاسطورة اليونانية «قتل ابن الأرض خنقا ما بين السماء والأرض بعد أن تحير فى أمره لأنه كلما مس الأرض برجليه ازداد قوة» الفلاح هو ابن الأرض ،وهى مصدر قوته ما دام قائما فيها ولكن الباشوات يتغافلون.

٥

حين عاد المطرودون من أهل القرية إلى حيث كانت قريتهم عاد كل ذوى قربى قريبه معا كما

هاجروا معا. فعادوا جميعا على مراحل ليعيدوا بناء قريتهم مبتدئين من ذلك المبنى الذى لم يجرؤ فاضل باشا على أن يهدمه أو يقتل خدمه مخافة الله . خاف الله فهدم مبانى القرية إلا هو ، ضريح ولى الله الشريف جابر بن عبد العزيز وخدم الضريح هم ذريته «الاشراف» من آل المعاتيق .مفردهم «معتوق» الذى دلف إلى جنة السماء تحت قيادة أحمد عرابى ، الضريح مقام عند التقاء حجر الجبل الشرقى بأرض الوادى فوازاه العائدون بيوتا من حجر أو لبن متراصة من الضريح صفا ممتدا جنوبا وشمالا على خط مستقيم . ثم توالت الصفوف متسلقة سفح الجبل يطل بعضها على بعض كان بعضها طوابق تعلو البعض الآخر . تقطعها دروب صاعدة مبطنة بحجر الجبل ذاته تحيلها كتلا منفصلة من المبانى الداكنة يحتضن كل منزل من كتلة أصم الجدران منزلا لصيقا به لا تقل جدرانه صمما ،كما يحتضن الخائفون بعضهم بعضا فى خباء واحد.

وتعفو كل كتلة عن مكان فسيح تصب فيه أبواب المنازل يسمونه «الرهبة» ،تحيط بها مجالس من الطين مستندة إلى الجدران يسمونها «المصاطب» .المنازل للنساء والماشية ولهم فيها مآرب أخرى .والمصاطب للرجال . والرهبة للافراح والمعارك والصبية والدواجن والكلاب ، أما «المنضرة» فبناء عبقرى الموقع من الرهبة ، عبقرى الهندسة بين البيوت عبقرى الغاية يكاد يجسد القرية بالطوب اللبن مبنى ومعنى وتاريخا وحضارة يبنونه على السجية بدون افتعال.

«فللمنضرة» ، خلافا للمنازل ، نوافذ ترتفع قواعدها عن الأرض تبعا لارتفاع المنازل المحيطة بالرهبة . فهى تختلف ارتفاعا من منضرة إلى منضرة ، فلا يرى الجالسون فى المنضرة ، أية منضرة ، المحصنات الصاعدات القاعدات النازلات من أسطح المنازل . وباب المنضرة مفتوح ابدا لاستقبال الاضياف ، فهو دعوة دائمة لكل غريب زائر أو ابن سبيل تعبيرا عن الكرم اسمى فضائل الفقراء . ولكن الوافدين إليها لا يستطيعون منها ، ولو شاءوا ، أن يتبصصوا على الرشيقات الرائحات الغاديات إلى« الأبيار» ،مستويات القامات يمشين الهوينا تحت ثقل «بلاليص» المياه المستقرة فوق قمم رؤوسهن على حاشية من طوق قماش ملفوف يسمونه «لوايه» إذ لكل كتلة من المنازل «بئر» تتسرب إليها المياه من جوف الأرض كالرائقة من الطين سائغة للشاربين . وإلى كل بئر طريق مرسوم ترد عنه الأبصار هندسة المناظر .

والمنضرة شائعة الانتفاع يستقبل فيها المعزون فيمن يتوفى من الكبار اربعين يوما ، والضيوف فى أى يوم يكرمون . ويشارك افراد العائلة فى الاستقبال ويتعاونون فى الأكرام فلا يعلم أحد غيرهم لمن القريب الميت ولمن الضيف الحى وفى ذلك يتكافلون . وفصلت كل عائلة

منضرتها تفصيلا ثم فضلتها حين تعلموا من أمر المدرسة كيف تطلى الحوائط وتزوق النوافذ والأبواب.

كل كتلة من المبانى الصماء تضم عائلة ،وكل عائلة تتوزع بيوتا ، وكل بيت يتفرع أسرا ، تلتقى الأسرة عند ربها ، وتصبح الأسر بيتا عند جدها ، ولكل البيوت جدا واحد تنتسب إليه العائلة وتسمى عادة باسمه ، فهم ، «أولاد سالم» و «أولاد مشهور» و«أولاد عمران» و«أولاد دويب» و«أولاد عيسى» ،ويقولون أن كل أولئك كانوا اخوة ، ولا يزعم الاشراف ما يزعم الآخرون إذ هم متميزون بأصولهم المقدسة . ويرد النسابون من القرية كل بنيها إلى جد واحد يسمونه «فرج قداح» ،وهو اسم لم يحمله أحد من بعده على غير عادة أهل القرى . ويكون ذكره عادة فى فترات التنقيب فى الماضى عن أسباب الفقر الحاضر .وهى فترات ممتدة . لماذا اختار فرج قداح من دون الأرض جميعا ذلك الواقع المتميز وحده ببخل الأرض الخصيبة ؟ ويقول الجادون لأنه كان راعى غنم وليس الرعاة فلاحين بل هم حريصون على أن يبعدوا أغنامهم عن مزارع الناس . فسكن فرج قداح الجبل بعيدا عن الأرض المزروعة كى يصون اغنامه فى مغاراته من سطو الذئاب ليلا، واستنبت فى شريط الأرض الضيق غابة من النخل ليرعى أغنامه وهى ترعى فى ظلالها نهارا . وعاش مائة عام وعشرة يأكل التمر ويشرب اللبن كما كان يفعل قبل أن يحضر من أرض الحجاز . ونشأ أولاده على ما نشأ عليه فكانت ثمار النخل أعز أشباب الحياة والرفاة . ويقول الساخرون مرحين بل لم يكن قد رأى أو لمس فى أرض الحجاز ماء فلما رآه فى النيل عشقه فما زال يبحث حتى اهتدى إلى هذا المكان حيث يرعى غنمه جالسا على صخر الجبل «مدلالا» قدميه فى مياه النيل».

ثم تكاثرت الذرية فاصبحوا عائلات تمردت مرارا ثم هاجرت اضطرارا ثم عادت كل عائلة تبنى كتلة من المنازل المتحاضنة المستقلة برهبتها ومنضرتها وبئرها ، المنعزلة بعوازل من الدروب الصاعدة إلى الجبل ، فلما اقتلعت الاجيال من أشجار النخيل ما يخلى الأرض للزراعة أصبحت غيطان كل عائلة امتدادا لمساكنها حتى نهاية الأرض لا تحيد. فوثقت الجيرة فى المساكن والجيرة فى المزارع والعزلة عن الآخرين رابطة القربى وأصبحت كل عائلة فيما بين افرادها قبيلة على رأسها «شيخ» تحكمها شرائع الحياة القبلية وقيمها الجمعية وتقاليدها الاجتماعية ، التضامن بين الافراد حتى فناء الفردية ، والعداء للقبائل الأخرى حتى العدوانية ، والاحتكام إلى الشيخ ونفاذ حكمه إذا حكم ، ووحدة الاعتبار ، ووحدة العار . ومع ذلك فهم فى مواجهة قرية أخرى قبيلة واحدة من بنى «فرج قداح».

٦

تطل القرية على بقايا غابة من النخيل ضعيف الأكمام يفصلها عن بيوت الناس وعلى امتدادها «مصرف» يصب فيه ما يسيل إليه من مياه الأبيار حين تستخدم الأبيار ، وما يتخلف فيه من مياه الفيضان كل صيف من كل عام فيبقى فيه راكدا إلى أن يجئ العام . قاعه الحجرى يردها فلا تتسرب إلى باطن الأرض ، تتخلله برك طينية صغيرة، تتمطى فيها الجواميس ويسبح فيها بط أسود وأوز أبيض ويلهو فى طينها أطفال عراة كأنهم لعب من طين . والمصرف لا يجف أبدا وطينه عفن أبدا يسمونه «الخرارة» ويضربون به المثل فى القذارة . إذا أختفى منه الأطفال ليلا اختفت بالهدوء من بعدهم الضفادع الخفية بنقيق لا ينقطع إلا إذا ظهر النهار ويمتد غربا من عند أقصى جنوب القرية جسر عريض سميك من التراب حتى يتصل بجسر أكثر عرضا وسمكا هو الجسر الشرقى لترعة «قاو» القادمة من الجنوب ممتدة إلى ما يلى البدارى شمالا ، تقطع أول جسر القرية «سحارة» و «السحارة» فتحة مبنية بالآجر والحجارة تخترق بطن الجسر فتصل ما بين جنبيه . وتقطعه سحارة ثانية قبل أن يدرك جسر الترعة ، ليتلاقى خلال السحارتين مصرفان قادمان من الجنوب، من العتمانية ، يغذيان المصرف الأول ، مصرف الهامية ، بما يحملان من بقايا مياه الرى فلا يجف ابدا. فإذا عبر الجسر ترعة «قاو» على ذاك الكوبرى الخشبى الركيك التقى بمصرف رابع يبدأ منه ويتجه شمالا موازيا الجسر الغربى للترعة ، فإذا تقدم غربا نحو عشرين مترا اخترقته سحارة ينتهى إليها مصرف خامس يحمل كل فضلات مياه الرى من «قاو» ليصبها فى أرض القرية . فإذا انطلق الجسر غربا اخترقته سحارتان تنفشان فى مصرفين آخرين يصبان فى أرض القرية ما تخلف من مياه رى مزارع «العقال القبلى» الشاسعة وما يخلفه النيل فى الحياض بعد انحسار مياه الفيضان . هكذا رأى القائمون على غزل شباك الرى أن تحفر فى أرض القرية شقوق واسعة من الترع تحمل المياه إلى ما يليها من القرى شمالا وجنوبا ، وشقوق من المصارف تحمل إليها الماء الفاسد الذى تتطهر منه مزارع تلك القرى حتى إذا بلغتها ركدت . وعلى جانبى كل ترعة وكل مصرف ما رفع من الأرض حفرا وألقى على الأرض جسرا. ففقد أهل القرية من أرضهم القليلة قدرا غير قليل أما حفرا وأما كفرا ، وهكذا قيل: «من ليس عنده يؤخذ منه ومن عنده يعطى ويزاد».

حين يفيض النيل واعدا الناس بالنماء والرخاء يزيد طين القرية بلة ، إذ يطارد أهلها حتى شعاب الجبل . تمتلئ الترع أولا فيكون ذلك نذيرا لهم بأن يهجرها القادرون من الشباب والغلمان وصغار الفتيات عابرين النيل إلى الغرب حيث تمتد مزارع القطن إلى ما لانهاية . أهل الغرب لا

يرون الجبَل الغربى من فرط ابتعاده عن النيل . هنالك المدن الكبيرة والقرى وافرة الثراء ، والحدائق الغناء ، وهنالك تجرى قطارات السكة الحديد . لا تتوقف إلا عند المحطات .والمحطة نقطة يقف فيها القطار لتنطلق منها المدنية . فهى بناء حديث متين فيه مخازن ادوات تحتاج إلى حراس .وفيها موظفون فى حاجة إلى ناظر . وكل أولئك كانوا فى حاجة إلى مساكن فانشئت لهم المساكن الحكومية لموظفى الحكومة . ولموظفى الحكومة ، مثل باقى البشر، أسر من زوجات وأولاد وبنات وربما حموات ، فتحولت المحطة منذ البداية إلى قرية صغيرة حديثة ، يفد إليها ويقيم فيها باعة المأكولات والمشروبات لمن يعبرون فى القطارات . وانشئت المقاهى والمطاعم لمن يفدون إليها ينتظرون القطار . وأنشأ أصحابها بجوارها مساكن لهم ولأسرهم ،والزحام حاضن الجرائم ، فانشئت نقط الشرطة للمحافظة على أمن مجتمع المحطة فجاء إلى المحطة ضباط ومساعدون وجند وأسلحة و« تليفون » وخيول وكتبة ودفاتر وحراس وخدم من أفراد الشعب للشرطة التى هى فى خدمة الشعب . ولكل أولئك أو لأكثرهم أسر من زوجات وأولاد وبنات وربما حموات ، فى حاجة إلى مساكن تليق بهم ، وهكذا بينما كانت محطة القطار تحمل أهل الغرب إلى شئ من مدنية الغرب بقى الشرق شرقا لا يريم.

وإلى الغرب يذهب شباب القرية صيف كل عام قطعانا لجنى القطن لاصحابه . لكل قطيع راع من الرجال . سبق للرجال أن باعوا عمل القطيع إلى أصحاب مزارع القطن واقتطعوا لأنفسهم جزءا من أجر كل رأس جانية ، بعد نحو شهر يعودون جميعا إلى القرية فرحين بما جمعوا من نقود معدودة . ثلاثة قروش مقابل جمع ما يزن قنطارا من القطن ، ولكل حسب جهده ناقصا ما يقتطعه حزب رعاة القطيع.

حين يعودون تكون أرواح المتخلفين عن التراحيل من الشيوخ والكهول والنساء قد كادت أن تبلغ الحلاقيم .فقد كان عليهم منذ نذير الفيضان أن يسارعوا إلى قطع «الدرة» قبل أن يدركها الطوفان والرجال قليل . «الدرة» نبات طويل السيقان أغلبه إناث مثمرات يلقحها ما تنقله الريح من عيدان الذكور المتناثرة بينها .العود الذكر ذو عصارة سكرية ،فما أن يؤدى وظيفته فى حفظ النوع وتبرز الثمار حتى يجمعونه انتقاء على ضوء العقم ويمصوه مصا كما يفعل الناس بقصب السكر الذى لا

تعرف القرية زراعته . تبقى المثمرات على رأس كل واحدة ثمرة واحدة ، بيضاء مكورة كقناديل الاضاءة فى مساجد المماليك . فهى عند أهل القرية «قناديل» القنديل كتلة متماسكة من حبوب دقيقة مشدودة إلى عشب اسفنجى البنية يسمونه «القيشة» لا يفيد شيئا فتعافه حتى البهائم . فيسمون من هو غير ذى فائدة من الرجال «قيشة» . تحصد الدرة بقطع السيقان عند ما يلى الأرض ثم تفصل القناديل عن السوق ، يستعملون فى ذلك منجلة من حديد مسنون يسمونها «الشرشرة» .أما السوق فهى «البوص» فيترك فى «الغيط» حتى يجف ثم تحمله الجمال والدواب إلى المنازل ويخزن فوق أسطحها أكواما ، فتكتسى بيوت القرية بغطاء ذهبى اللون من البوص . وهو مصدر الطاقة التى تتحول إلى نيران ذات لهب فى كوانين الطبخ و«أفران الخبيز» وبين الساهرين فى ليالى الشتاء قارسة البرد .وهو مصدر الكوارث حين تطيش شرارة من نار فتدركه فى مقامه العالى فيمتد اللهب منه إلى ما جاوره من بوص فوق اسطح المنازل المجاورة.

أما القناديل فتفرش على أرض ممهدة مربعات مسطحة يسمونها «المساطيح» . لكل زارع مسطاح معلوم ،تحميها وحدة المصير . فمساطيح الدرة واجران القمح ،وهو قليل ، متجاورة يصونها من الحريق المتعمد أن من يحرق مسطاحا فقد حرق مساطيح العائلة كلها ، ويصونها من السرقة والغربان فصيل مختلط من الغلمان . يقلبونها ذات اليمين وذات الشمال حتى تجف بعد نحو خمسة أيام ،والغلمان لا يستعجلون جفافها شغفا نهما بالقناديل المشوية ، يسمونها «فراخ» ، توضع غضة على نار ذات لهب توقد جنوبى المساطيح ، الرياح هناك شمالية دائما ، ثم تنحت بالاسنان نحتا . ويهلكون من الحصاد قدرا غير قليل إذ لا يكف ، أولئك الأطفال الحراس ، عن شى القناديل ونحتها ، يدفنون بقاياها فى «ترب» من التراب ، و إن سأل سائل يتهمون الغربان.

فإذا جفت القناديل فى المساطيح تعانوا فتكاثى كل مسطاح وقد جمعت فى مثل التل الصغير يسمونه «سماط» ولا يزالون يضربونها بعصى غليظة من خشب السنط ضربا منتظم الايقاع وهم يرددون فى جماعة «هيلا هوب والدايم الله» ، إعلانا عن إنهم يبذلون كل جهدهم ولا يخافون الموت ، وراء حاد منهم يجيد الحداء الحزين ، فإذا انفرطت الحبوب من القناديل تاركة اكمامها الاسفنجية التى لا تفيد شيئا ألقوا القيشة خارج المسطاح ثم جمعوا الحب الأبيض وجاء الكيال يحمل معيارا من الخشب مختوما بختم الحكومة ، فهو -أى الكيال- من القائمين على وظيفة عامة بدون أجر من الحكومة. ويكون قد توافد إلى المسطاح نفر لكل منهم أجر معلوم يستوفونه عينا آخر العام مقابل ما قدمت أيديهم طوال العام . «المزين» الذى يقص شعر الرءوس والذقون . والسقا حامل قرب الماء من الابيار والانهار إلى من يريدون . و«اللحاد» حارس المقابر ودافن الموتى فيها . و«الفقى»

قارئ القرآن . و«الدلال» القائم على رسم الحدود بين الغيطان و«الصرماتى» الذى يرتق النعال . وصاحب السفن الخشبية التى تعبر بالناس النيل إلى« الغرب» فى موسم جنى الأقطان . و«الداية» التى تولّد النسوان وكل من ساعد ذاك العام فى الزرع أو القلع أو القطع أو شارك فى معركة العصى الغليظة التى طردت الحب من أكمامه . وأخيرا «الكيال» الذى يحمل معيارا من خشب مختوما بختم الحكومة . بعد أن يكون كل أولئك المستحقين قد استوفوا أجورهم كيلة من درة لكل واحد أو حسب التساهيل ، والأرزاق على الله والحمد لله وكل عام وأنتم بخير . ما تبقى يكال فى أكياس من شعر الماعز يسمونها «التلاليس» .فى كل تليس ثمان كيلات تحملها الدواب إلى المنازل بعد جولة مباراة فى حمل الأثقال . وهى رياضة قديمة كان يمارسها شباب الفراعنة الغابرون فيتبارون ويفوز منهم من يرفع إلى كتفه كيسا من الكتان مليئا بالرمل الآن يتبارى فيها الشباب من الهمامية ويفوز منهم بكيلة درة من يستطيع أن يرفع التليس بما فيها من الأرض إلى كتفه أو إلى ظهر الحمار . وهو غير هين . كل هذا واسراب من الأطفال تحوم حول المسطاح حتى يفرغ منه أهله فيبدأ سباق الأطفال . فسواء شاء أهل المسطاح أم لم يشاءوا قد دفع الضرب الشديد بالعصى الغليظة بعض الحبوب إلى باطن الأرض فدفنها . الأطفال يعرفون ذلك وينتظرون . فما أن تخلو لهم الأرض حتى ينكبوا عليها متزاحمين على الحب المدفون فما هى إلا ساعة حتى يحظى كل منهم بما لا يزيد من ملء كفيه الصغيرين من بقايا الحبوب . هى كافية على أى حال ليشترى بها من البائعة المتربصة منذ البداية قطعة من «العسلية» يلوكها فى فمه وهو يسابق غيره إلى مسطاح آخر ليحصل على نصيب أخير من عائد «القرقرة».

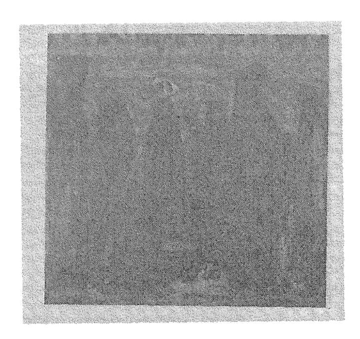
أما الحب الذى حمل إلى المنازل فقد استقبلته ربة المنزل وأودعته الصوامع أو الحوامل . وحاصل الدار غرفة ضيقة من بناء فى ركن الدار . تصب فيه الحبوب من فتحة فى أعلاه صبا ، وتؤخذ منه الحبوب من فتحة فى أسفله غبا . فإذا ما أفرغ المحصول فى جوفه سدت ربة المنزل فتحتيه بالطين سدا . ولا يفتح بعد ذلك إلا بإذنها . أما الصوامع فهى أوعية من الطين المتبل بروث الحيوانات والتبن. تتدرب على إنشائها الفتيات منذ الصغر ويتفاخرن باتقان صنعها متى كبرن . إذ الصومعة على هيئة «الفاز» الذى يبدأ بناؤه على قاعدة ضيقة مستديرة ثم تتباعد جدرانه حتى إذا ما بلغ غايته ارتفاعا تلاقت تلك الجدران عند رقبة ضيقة مقابلة للقاعدة استدارة واتساعا . تختلف عن «الفاز» فى أنها بالغة الضخامة . قد تبلغ المترين ارتفاعا وتزيد . تبنى على مراحل متتابعة ،

القاعدة أولا ثم تترك إلى أن تجف ثم تنهض الجدران من أطراف محيط القاعدة شبرا شبرا ويترك كل شبر حتى يجف ،وهكذا يستغرق انشاؤها أشهرا كثيرة . الاعجاز فيها أنها حين تتم فكأنها فى وحدة مادة انشائها من خليط ، وسمك جدرانها ، واتساق دوائرها ، واستوائها على محور قاعدتها ، قد أنشأتها آلة حاسبة لا تخطئ المعايير والابعاد ولا المحاور ولا الدوائر . تصبح «كالفاز» هندسة وإتقانا .هذا مع أن البنات ينشئنها وهن من خارجها ومن حولها دائرات .وهن لا يعرفن المقاييس ولا الحاسبات ، ولا يملكن من حيلة إلا الحس الجمالى والاعين الثاقبات. إن الصوامع قطع من الفن المعمارى الذى تمتد جذوره إلى بديع الفنون البدائية فى العصر الحجرى وحضارة الهمامية . ولا يزال للصوامع دور حضارى غير تخزين المحاصيل.

للصومعة ، مثل الحاصل ، فتحتان ، فتحة فى أعلاها تصب فيها الحبوب ، وفتحة فى أدناها تؤخذ منها الحبوب ، فإذا أنطوت على ما جمع فيها سدتها ربة المنزل بالطين فلا يؤخذ منها إلا بإذنها.

يجرى كل هذا بينما مياه الفيضان الجارية تزحف على الأرض تهدد المتخلف نموا من الزرع ، المتأخر جفافا من البوص ، ومساطيح الكسالى عن دق القناديل حتى تنفرط الحبوب فتجمع قبل الطوفان . ويجرى كل هذا تحت أشعة الشمس الحارقة فى القيظ الشديد .ومن القيظ تشتق كلمة «القيضى» . فهم يزرعون «القيضى» وهم يقطعون «القيضى» وهم يدقون «القيضى» وهم يجمعون «القيضى» وهم يخبزون «القيضى» .. «عيش القيضى» . وحينما يقولون «ادرة» يعنون نباتاً آخر هو المسمى «اذرة» وهو قليل فى القرية ويسمونه «شامى» . أما إذا كان لابد من الحذلقة فمن يقول «ذرة عويجة» يعنى« القيضى» .والقيضى أبلغ دلالة على نبات يزرع فى أول الصيف ويحصد فى أوج القيظ.

حتى إذا ما انقضى شهر الشقاء وكادت أرواح المتخلفين من الرجال والنساء تبلغ الحلاقيم يكون قد عاد إلى القرية من تركها من عمال تراحيل جنى القطن فى أرض الذين لا يرون الجبل الغربى، فيشاركون فى جنى البلح الذى لا تدركه فى عليائه مياه الفيضان . يجزون سباطه ويجرونه فيما يكون تحت النخل من ماء أو يحملونه حتى إذا بلغوا المنازل فرطوه من السباط وفرشوه على الأسطح أياما ثم قدموه إلى الأفران يقددونه على نار هادئة ثم يحشرونه حشرا فى بلاليص ويودعونه الخزائن . والخزانة غرفة أساسية ضيقة فى كل دار. غير ذات نوافذ أو منافذ . يحفظون فيها بلاليص البلح والجبن والمش والدهان .وفيها يودع الخبز وما يلزم« المطبخ» من بصل وثوم وملح وفلفل. بابها ضيق ذو «علقة» من الخشب ومفتاح خشبى واحد لا يهتدى إليه ولا يستعمله



إلا ربة المنزل . ولا تأذن لغيرها باستعماله.

حينئذ يكون الفيضان قد بلغ ذروته فعزل القرية عن باقى الدنيا . تدرك مياهه المنازل أدنى المنازل إلى الوادى ، وتطمى الأبيار ، وتحصر القرية فيما بينها وبين الجبل وتقطع الطرق إليها إلا ذلك الجسر الذى يصلها بشبكة من الجسور . فيكون على قاصدى بيوتهم أن يصعدوا الدرب الصاعد من أدنى الجسر إلى الجبل يلتمسون منازلهم دائرين خلال شعابه حتى إذا ما بلغ أى واحد قمة منازل عائلته وتأمل القرية المسجاة كجثة هائلة لفظها النيل وألقاها على شاطئه ، ثم مد بصره إلى ما لا نهاية له غربا من صفحة الماء وقد رسمت عليها خطوط داكنة من جسور الترع والمصارف ودوائر قاتمة من أطراف غابات النخيل يلفته من كل هذا ذلك التقاطع العمودى ، غربى الكوبرى بين جسر القرية الممتد من الجبل غربا .، وجسر ترعة قاو الممتد شمالا وجنوبا ، كأنها صليب هائل عائم على صفحة المياه الساكنة . يسمى أهل القرية ذاك الموقع «الصليبة» . يمر بها كل وافد إلى القرية أو مغادر لها أو عابر من الجهات الأربع إلى الجهات الأربع . تظللها ثلاث شجرات باسقات من السنط ، يتجمع فى ظلها الذين لا يطيقون الصبر على الشعور بانهم فى القرية محاصرون.

نقد

المقدس بشاى يصرخ

إطلالة على رواية «خالتى صفية والدير»

د. محمد بريرى

يتضمن عنوان رواية« خالتى صفية والدير لـ« بهاء طاهر الإشارة إلى ثنائية واضحة، فهل هى ثنائية التجانس أم ثنائية التنافر والتضاد . إن الطريقة التى كتب بها العنوان على غلاف الرواية يمكن أن توصى بالأمرين معاً ، واو العطف تجانس بين الدير وصفية ،لكن الشكل الكتابى يخلخل هذا التجانس بسبب النقطتين اللتين فصلتا بين خالتى صفية والدير هكذا : خالتى صفية .. والدير يشير العنوان إذن إلى خالتى التجاوز ،ومن ثم ، التجانس من جهة والانفصال أو التضاد من جهة أخرى .فكيف تم التعبير عن هذا الالتباس سردياً؟.

عنوان أول جزء من الرواية هو« المقدّس بشاى» ،وعنوان الجزء الثانى« خالتى صفية » .نلاحظ أولا أن الاتساق الكامل بين عنوان الرواية وعنوانى هذين القسمين كان يقتضى أمرين ، الأول أن يكون عنوان الجزء الأول« الدير» لا «المقدس بشاى» خاصة وأن أول عبارة فى هذا الجزء تشير إلى الدير «يبعد الدير مسيرة نصف ساعة تقريباً من آخر بيت قبلى البلد» (ص٧).

أما الحديث عن الدير تحت عنوان «المقدس بشاى» فسيتضح السبب فيه حين نمضى فى قراءة النص ، إذ أن المقدس بشاى تتجسد من خلاله روح المكان وقدسيته وطهارته ، فيصبح بالتالى معادلا منحازا لكل المعانى الإيجابية التى ينطوى عليها الدير. أما لماذا بدأ بالحديث عن المقدس بشاى / الدير فأن النص أثر، على الأرجح ، أن يبدأ بما هو ثابت غير متحول .آثر أن يبدأ بالأساس الروحى الذى لا يعتوره التبدل . ومن جهة ثانية فإن صفية كانت فى بداية أمرها تمثل دلالات تتسق مع ما يمثله الدير ، لكنها بعد أن لبستها روح الانتقام والثأر تحولت إلى الدلالة على كل ما يناقض الدير/ بشاى.

ينطوى المقدس بشاى / الدير على روح محبة متعاطفة «ولم يكن يغضب عندما أضحك أنا من غرابة حكاياته بل يضع يده على صدره وهو يقول مبتسماً غدا ترى أن عمك بشاى على حق» .وعلى الرغم من عزلة الدير بوصفه مكانا يتخلص فيه الرهبان من المشاغل الدنيوية حيث يفرغون لمجاهداتهم الروحية فإن المقدس بشاى كان يمثل همزة الوصل بين الدير وعالم الواقع . وبصفته تلك لم يكن يضن بخبرته وسداد رأيه «وكثيرا ما كان يستوقفه فى الطريق فلاحون وسط الحقول

يستشيرونه فى زراعاتهم،أو يتوقف هو من تلقاء نفسه ليقول رأيه ونصائحه .وكان المعروف أن نصائحه فى الزرع لا تخيب رغم كل ما يقال عن خفة عقله» (ص١١) . ولم تكن خفة العقل هذه صفة يخلعها عليه الفلاحون فقط ، بل إن بعض الرهبان عندما يغضبون منه يصفونه بأنه« خفيف العقل» .ولم يكن المقدس بشاى خفيف العقل ، بل كان أعقل ما تحتمله المواضعات الاجتماعية السائدة . ومن جهة ثانية فإنه لم يفقد براءته الأولى كما يفقدها الناس عادة. كانت روح المحبة البريئة تدفعه ، مثلا إلى أن يشمل برعايته أى كائن حى ، وليس البشر فحسب «رأيته بعينى ذات يوم يبكى وهو يضمد ساق أرنب جريح فى مزرعة الدير» (ص٢٣) .وكان الراوى قد قال عنه قبل ذلك «ولم تكن حفاوته بالحمار تقل عن ترحيبه بى إن لم تزد .. فكان يربت على عنقه ويناغيه بعبارات التدليل ويكاد يقبله» (ص٩) .وان المقدس بشاى – إلى جانب حنوه وإشفاقه اللذين يشملان الكون بإنسه وحيوانه –جسورا مستعد لبذل دمه دفاعاً عن حرمة الدير الذى يسبغ الحماية على من يلوذ به. حين ذهب «فارس» زعيم المطاريد لزيارة صديقه «حربى» الذى لجأ إلى الدير ظن المقدس بشاى أن المطاريد يريدون اقتحام الدير للنيل من حربى فقال «إنه فى تلك اللحظة طرأ على ذهنه عصر الشهداء فجاءته الشجاعة وقال : لا نسلمه لا نسلم ضيفنا» (ص٩٩) . يملك هذا الرجل إذن ذاكرة دينية ودنيوية حية. التاريخ ليس قطعة ميتة من الماضى . عصر الشهداء يمكن أن يعود إذا اقتضت مجريات الأمور بعثه مرة أخرى . من ذلك أيضا تذكره للسيد المسيح حين مات «حربى» بعد مرضه الطويل . يقول الراوى «وعند باب الخص كان المقدس بشاى يقف جاحظ العينين .عاجزا فى لحظتها حتى عن البكاء ، ولما رآنى أبكى احتضننى بقوة ثم أبعدنى عنه قليلا وظل يضع يدا على كتفى ويشير بيده الأخرى المرتعشة نحو الجسد المسجى بينما عيناه تزدادان إتساعا وقال لى فى دهشة بالغة : أنظر يا ولدى ..أنظر.. وهذا أيضا عاش للألم ..أترى »(ص١٣٥) .ولا شك أن تذكر آلام السيد المسيح فى هذا السياق السردى له ما يبرره . وقد سبق أن تذكرت والدة الراوى شيئا قريبا من ذلك حين قالت عما وقع على حربى من ظلم وعذاب أنه ظلم مثل« ظلم الحسن والحسين» (ص٤٢) . يضاف إلى ذلك أن مشهد ضرب حربى وتعذيبه على يد خاله القنصل يتسق تماما مع ما استبصره المقدس بشاى حين قارن بين آلام حربى وآلام المخلص ، لقد قيد حربى بالحبال إلى جذع نخلة وراح رجال القنصل يرفعون جسده ببطء ثم ينزلان به إلى الأرض «وليف النخلة الخشن يحز فى جلده ويمزق لحم ظهره وساقيه .وكان حربى قد بدأ يتأوه وهو يفتح فمه على سعته وهم يدورون به حول جذع النخلة.. وقد بدأ الدم يطفر من جنبيه ومن كتفيه» (ص٥٩).

لم يجانب المقدس بشاى الصواب ، إذن ،حين أشار إلى جسد حربى بعد موته قائلا «وهذا أيضا عاش للألم».

خلاصة القول فى عالم المقدس بشاى والدير إنهما يمثلان معا عالما شديد الخصوصية . يصف الراوى الدير وصفا يوحى من خلاله بعالم السكينة الذى يكتنف كل ما يضمه .وفى أثناء

هذا الوصف يقول عن قاعة فى الدير إنها تختلف عن كل مبانى الدير بسقفها المرتفع .وكانت .. تضم آثار الدير : لوحات من صور لأشخاص ونباتات مرسومة على أخشاب قديمة وعلى قطع من النسيج ، وعلى أحجار مكسورة مثبتة على الحائط إلى جانب تماثيل صغيرة متناثرة .ولم يكن يلفت نظرى فى تلك السن غير الوجوه الملتحية الحزينة دائما ، والدوائر المذهبة التى تحيط بالرؤوس وصور الملائكة بأجنحتهم البيضاء والذين توجد فوقهم دوائر بيضاء كالأطواق أيضا ، ولكنها تبعد قليلا عن رؤوسهم »(ص١٩) .الإحساس بالجمال يتقطر فى هذا الوصف الذى لا ينفك فيه الحس الدينى عن الحس الجمالى.

الدخول فى عالم المقدس بشاى / الدير دخول فى عالم تعمره أقانيم الحق والخير والجمال.

وقد كانت «خالتى صفية » جديرة أن تعزز هذه الأحاسيس وتزيدها رسوخاً ، وهو ما تحقق فى الصفحات الأولى من الجزء الثانى الذى عنوانه خالتى صفية «منذ الصغر كانت صفية تلفت الأنظار بجمالها ..أما عيناها فكان جمالهما فريدا .. أقرب وصف لهما أنهما كانتا عسليتان فاتحتا فى الظل ، أما فى الشمس أو فى النور فكانت هاتان الحدقتان الآسرتان تصبحان ذهبيتين وتميلان إلى الخضرة وتمتزج فيهما ألوان كثيرة أخرى» (ص٢٧) . يعزز هذا الوصف الإحساس بالجمال الذى كان النص قد بثه فى الجزء الأول من خلال وصف الدير.

ومما يزيد هذا الحس الجمالى رسوخا قول الراوى عن حربى «كان عمى حربى جميلا بين الرجال» «ص٢٧» ثم يقول عنه «كان حربى طويل القامة ، بشرته خمرية، ولكن فى خديه دائرتين مشربتين بحمرة الدماء يحددها شاربه الأسود الذى يزيده وسامة بطرفيه المفتولين باستمرار» (ص٢٩) .ولم يكن الجمال وحده هو الذى خلق هذا التناغم بين صورتى« صفية» و«حربى» ، بل نشأة كل منهما يتيماً وحدب والد الراوى ووالدته عليهما ، كل هذا خلق توقعا لدى القارئ بأن «صفية» «وحربى» لابد أن يرتبطا وكان هناك «إحساس فى بيتنا وخارج بيتنا بأن صفية لحربى» (ص٢٩) .غير أن «حربى» يفاجئ الجميع حين يأتى خاطبا «صفية» لا لنفسه ولكن لخاله البك القنصل الذى يتزوجها بالفعل.

وعلى الرغم مما فى هذه الزيجة من إحباط للتوقعات فإن حب صفية للقنصل وتفانيها فى خدمته ،إلى جانب الصورة المثالية الجميلة التى رسمها النص له ، كل ذلك لم يجرح العالم النصى المثالى الذى بثه الراوى من خلال تجسيده للدير والمقدس بشاى . بل لعل رد فعل القنصل النبيل تجاه تطبيق قانون الإصلاح الزراعى عليه وعدم تذمره ، بل ومباركته للفلاحين الذين وزعت عليهم أرضه ، كل هذا عمق أحساس القارئ بمثالية العالم الذى يبنيه النص الروائى.

لكن ما إن يرزق القنصل بطفلة من صفية حتى يبدأ هذا العالم المثالى فى الانهيار .كان فيما قبل ذلك لا يأبه كثيرا بثروته لأنه لم يكن له من يرثه أما بعد إنجابه فقد تغيرت المغايير ..استيقظت غريزة الملكية فى نفسه بعد أن كانت نائمة .من هنا سهل عليه أن يصدق إما وشى به بعضهم إليه من أن «حربى» يسعى إلى التخلص من وليده حتى لا يحجب عنه وراثة خاله ،

فكانت الفتنة التى لم يفلح والد الراوى فى إخمادها . استيقظت غريزة الملكية واشتد سعارها ،الأمر الذى أدى به إلى إهانة حربى ابن أخيه اهانة هائلة دفعت الأخير دفعاً إلى قتله فى مشهد مأساوى عرضنا له فيما سبق.

ومنذ هذه اللحظة بدأت صفية رحلة الثأر والانتقام واشتعلت فى نفسها مشاعر الغلّ ، يغذيها نظام القيم التقليدى الذى يبارك مبدأ الثأر.

ومنذ هذه اللحظة بدأت صفية فى تجسيد المعانى المناقضة للحق والخير والجمال ، بل أصبحت معادلاً نموذجياً للباطل والشر والقبح . وقد قال والد الراوى فى لحظة التبدل هذه« بدأ الشر وليته يقف» (ص٤٧) ، لكنه لم يقف . إن القنصل الذى كان يثير فى الراوى معانى الجمال والجلال أصبح يثير معانى الخوف والقبح« ولكنى لأول مرة أخاف منه ومن ابتسامته ومن أسنانه الصناعية وهى تبرق وسط وجهه الأسمر» (ص٥٢).

أما صفية التى كان الراوى يتعلق بها لجمالها فقد أصبحت شيئا آخر «وفى خلال شهور قليلة لم يعد هناك ما يشبه خالتى صفية التى عرفتها غير عينيها الملونتين وحتى هاتان العينان اكتسبتا وسط وجهها المسمر رهبة مخيفة بالنظرة الصارمة التى تطل منهما .. وازداد خوف الأطفال منها بسبب الأساطير التى بدأت تحيط بها» (ص٦٨) . بل إن مناغاة صفية لوليدها ومداعبتها له اتسمت بالعنف الذى أفزع الصغير بدلاً من أن يدخل السرور إلى قلبه «كنت أشعر بالخوف على الصغير حين أراها تلاعبه ،وكان هو أيضا يشعر بالخوف. كانت تدغدغه بسرعة وعصبية وهى تصدر أصواتا متلاحقة دودو.. دودو دو » (ص٨٠) .أصبح كل ما يصدر عن صفية مشبعاً بالغلّ والعنف المصاحبين لرغبة الثأر المهلكة . سقطت صفية فى مستنقع الشر والقبح بعد أن كانت تجسيداً لمعانى الجمال والود.

***

بعد هذا كله ، هل كان من الممكن للمقدس بشاى أن يحتمل هذه الحياة التى عكّر صفوها الثأر وما يصاحبه من حقد ؟ ولم يكن ذلك ممكنا فبدأ الرجل يفقد عقله« ومع أن الراهب جرجس لم يكن قد كلم أحدا غير أبى ، فإن الأخبار فى قريتنا يستحيل إخفاؤها ، بعد قليل كنت أقف مع جمع من أهل بلدتنا .. ورحنا نرقب العربة الآتية تتأرجح من بعيد.. واستطعنا أن نرى المقدس بشاى بوضوح ولكنه لم يكن هو بشاى .وكان الصمت ثقيلا حين مرّت العربة ، ولكن فجأة تحرك واحد من المزارعين .. وقال بصوت متهدج «مع السلامة يا بشاى» ..مع السلامة يا مجدس » (ص١٤٢).

..لقد قيل عن المقدس بشاى منذ البداية إنه خفيف العقل ، فهل كان فقدانه التام لعقله فى النهاية تحقيقاً لنبوءة سوداء تنبأ بها الجميع؟! كلا ، إن فقدان بشاى لعقله ليس إلا إعلاناً عن احتجاجه على القبح والشر اللذين أشعلهما الثأر فلوّث عالم الخير والجمال اللذين عاش بشاى لهما وبهما .جنون بشاى هو منتهى العقل . إنه صرخة أودعها الرجل كل حكمته.

شعر



صفحات من هموم إنسان عربى

كامل عيد رمضان

الكلمة زوادى

وزادى فى الحياة إنسان

إنسان شديد للحق

صلب وزان..

يقدر يغنى الكلمة فى ميعادها

وبيعدل الوزان..

– الكلمة زوادى

.. تسرسب دمعى دم ولوم

حروف بتعزف غنوة المحموم

ونشيج بيكشف لعبة الأيام

العصر سادى والطريق أشجان

باشرب عصير الصبر يابلادى

والصبر صار إدمان

يالترى نبض الكلام معلول

واللا الضمير مشلول

والأمر للسجان ..؟!

.....

صوت الحقوق أحلام

مشلولة ع المنبر

صوت الحقوق ألحان

لكن بتتعثر

بتضل فى ساحة الشرور وتتوه

والدم ينشع ع الطريق أيتام
فى عصرنا المكروب
صوت الحقوق مكروه
بينشز المطلوب ، وبيقلق القاضى
لو يوم تنادى ، الصحوة فى بلادى
(الفيتو) حاكم ، والقرار مشبوه ...!
* القاضى فض العدل واستقوى
القاضى مش أقوى
إحنا اللى ضيعنا السنين أوهام
وسابقنا بعض نقبل العتبة
ونقدم القربان ..!
ضو الطريق مخنوق
ظل الطريق أحزان
مين اللى يقدر ينجد المشنوق
ويروض السجان ..؟
مين اللى يقدر يفهم الملعوب
ويصحصح الطرشان ..؟
مين اللى يقدر مين ..؟!
مين اللى يقدر مين ..؟!
....
صوت الخطب رنان
بعض الخطب تلميح ...
فيه صوت هزيل ونحيف -
بيسمم الأبدان ..
وصوت بعزم الريح
لاينجرف بطوفان
مين اللى خلى الخطو يتعثر
وأطلق الخصيان ..؟

مين عكر المشروب وشوه الأيام ..؟!
ضاعت فروض الحكمة والأسباب
مكتوف ألم ..
طواحين هوا تسحبنى فوق
طواحين ندم تخسفنى تحت
بدون جواب...
مغزل بالف بدون نظام
مشلول قلق-
باصرخ ومخروس اللسان ..!
شكل السنين ملغوم
نبض الحياة محموم ...
مين اللى بكره يواجه القاضى
ومين يابكره يقبض المعلوم ..!
***
إيه اللى فى الأخبار وفى النشرة ..؟
قال باللسان معووج الطبع والمسلك
(شعب الصومال بيموت ....)
الجوع نشب أنيابه واستشرى
تمن الطعام مشروط ...
همس الحياة مكبوت ...
عديت أيادى النجدة فى بلادنا-
مكملوش عشرة
الدور على الشارد والرحمة ع المربوط ..
....
إ ريه اللى فى الأخبار وفى النشرة ..؟
قال واللسان بينوح
دم العرب مسفوح
غنيت وأنا المجروح

ياخالق الشجرة
والشمس والمطرة
امتى نجيب قدرة
تأدب الكفرة ..!
وتصحصح النايمين
وترجع الغايبين
للقدس والصخرة ...
....
إيه اللى فى الأخبار وفى النشرة ..؟
قال والكلام ممجوج النبض والمسلك
صمتاً ، فلا تسال ...
واشطب من الخارطة (البوسنة والهرسك)
حاذر وصون نفسك
الصرب دى حرفته .. والغرب ، من دمه
الغرب لايهمه –
إن ماتوا بالألوفات أو ماتوا بالملايين..
الجلادين شايفين
لافرق إن كان كهل
أو كان جنين مكنون ، لسه فى بطن أمه
والمسلمين ..؟!
ياسعدنا ، اهتموا ،
بالشجب فى الجرانين ..!!
....

إيه اللى فى الأخبار وفى النشرة..؟
قال باللسان مفلوت
(ليبيا صارت بلا صوت ..)–
بتقدم الطاعة وتسبك المظبوط..
كتمت دمعى المبتلى حسرة،
من عتمة المخطوط
باصرخ بقلبى المبتلى يا(بلال)
هز الهلال يا(بلال)
ماحد قام م النومة يتوضا
ولاحد هد السجن والأغلال..!
....
كتير عددنا كتير ، لكن قلة..
كتير عددنا كتير ، لكن علة ..
والدمع عاصى والطريق معطوب
الإنتكاسة ، عيبة ومذلة
الابتكار مشطوب...
الاتفاق مصلوب ....
سوق النخاسة العصرى ، هو منصوب
والنخاسين حسب السنين عيارات
سوق النخاسة لسة مانفضش–
بس احنا مش شايفين
كل العيون متكحلين دولارات ...!!
كل العيون متكحلين دولارات ..!!



مفهوم أوروبى للتجريب

عبلة الروينى

انتهت الدورة الرابعة عشرة لمهرجان القاهرة للمسرح التجريبى (١١:١ سبتمبر) بالعديد من الأسئلة والعديد من الظواهر المسرحية التى تظل فى حاجة إلى إعادة النظر حول مفهوم (التجريب) ومدى تأثيره على الحركة المسرحية العربية ممثلين ومخرجين وكتاباً ونقاداً مسرحيين بل وجمهوراً مسرحياً أيضا.

وقد انتهت الكثير من المقدمات المسرحية فى المهرجان إلى نتائج بحاجة إلى المراجعة طموحاً إلى مهرجان مسرحى أكثر حضوراً وتأثيراً وأكثر جدية وتطوراً.

مقدمة أولى

لجنة المشاهدة الدولية .. والتى تم تأسيسها منذ ٤ سنوات لاختيار العروض التى تتوافر فيها شروط التجريب الصالحة للمشاركة فى المسابقة الرسمية بالمهرجان وذلك عبر مشاهدة اللجنة لعروض الفرق المسرحية المختلفة عبر شاشات (الفيديو) على مدى أسبوع كامل قبل المهرجان فى أكاديمية الفنون ..

بداية ليست صالحة تماما - برأى الفرنسية مارتا كوانييه - عضو لجنة المشاهدة - حيث المشاهدة عبر الفيديو لاتعطى صورة كاملة أو حقيقية لما سوف يحدث على خشبة المسرح .

تتكون اللجنة من ٣ أعضاء (أمريكى ، إنجليزى ، فرنسى) برئاسة الأمريكية رئيس المركز العالمى للمسرح مدى الحياة.

مقدمة خاطئة من حيث التشكيل الأمريكى الأوروبى للجنة والذى يفرض ذائقة واحدة ، ومفهوماً واحداً للتجريب يخضع بالضرورة للفهم الأوروبى.

ولعل التكوين الأوروبى للجنة هو مافرض أيضا (بحساسية متعالية) معيار (التشجيع) للدول التى ليس لها تاريخ مسرحى وتشجيع الفرق المسرحية الشابة بادراجهم داخل المسابقة الرسمية .. الأمر الذى أحدث استياء حاداً هذا العام حيث أدرجت داخل المسابقة الرسمية للمهرجان عروض هزيلة وفرق مسرحية مبتدئة لدول تخطو خطواتها المسرحية الأولى فشاركت فى المسابقة الرسمية ليبيا بعرض (سرحان) والسعودية بعرض (السيمفونية) والكويت بعرض (حلم السمك العربى) والأردن بعرض (الزائر) وقطر بعرض(القادم) بينما قامت اللجنة باستبعاد فرق لبنان ، تونس ، العراق ، سوريا وهو ماأغضب المخرج اللبنانى روجيه عساف الذى جاء إلى المهرجان بعرضه المسرحى (لوسى المرأة العمودية) وأثار روجيه التفرقة بين مسرحيين درجة أولى حددهم (السعودية ، قطر ، الكويت ، الإمارات) ومسرحيين درجة ثانية حددهم (لبنان / سوريا / تونس / العراق) وقد خانه الانفعال حين تجاوز الأسباب الحقيقية للغضب (استبعاده من المسابقة الرسمية للمهرجان) إلى افتعال معركة سياسية فى إشارته (لتغيب فلسطين عن المهرجان) مصراً على تقديم مسرحيته نيابة عن الفلسطينيين الغائبين وباسم المسرحيين من الدرجة الثانية على الرغم من اعتذار فلسطين رسمياً عن المشاركة فى المهرجان بسبب الظروف الحالية وبرغم أن عرض (روجيه عساف) هو إنتاج مسرحى بمناسبة الاحتفالية بمؤتمر الفرانكفونية فى بيروت.

مقدمة ثانية

لجنة التحكيم الدولية : وهى لجنة مكونة من ١١ عضواً من بينهم مصرى واحد وعربى واحد إلى جانب ٩ من المسرحيين من مختلف دول العالم .. وقد رأستها هذا العام المسرحية الألمانية (جينكا تشو لاكوفا) إلى جانب المخرج التونسى المنصف السويسى والكاتب الروائى المصرى ادوارد الخراط.

تشكيل اللجنة يفرض مرة أخرى الذائقة الأوروبية والذى فرض لسنوات طويلة تأثيره على المسرح المصرى حيث ظهرت عروض (الكارت بوستال) لإرضاء الذائقة الأوروبية داخل لجنة التحكيم ، مستخدمين أشكال الفولكلور والطقوس الشعبية فى صياغة عروضهم.

وبنفس منطق لجنة المشاهدة وضعت لجنة التحكيم معيار التشجيع للفرق الشابة وهو المعيار الذى دفع فى العام الماضى بالجائزة الكبرى للعرض المصرى(عندما تحدث الأشياء) إخراج محمد شفيق فى أول عمل مسرحى يقوم باخراجه .. كما حصل العرض السورى على جائزة السينوغرافيا وهو أيضا العمل الأول لمخرجته.

وفى دورة هذا العام منحت اللجنة جائزتها الكبرى وجائزة أفضل مخرج بالمهرجان إضافة الى ترشيح ممثلة العرض لجائزة التمثيل للعرض الإنجليزى (مؤتمر هاملت) إخراج المخرج الكويتى الشاب سليمان البسام بينما تجاهلت عروض مسرحية تمايزت تجريبياً باشادة وإجماع معظم المسرحيين لمجرد أنها فرق محترفة – مثل العرضين الهولنديين (تاجر البندقية) و(أرض المستحيل).

ظواهر تجريبية مسرحية

مع الدورة الرابعة عشرة واصل المهرجان تأكيد ظواهر مسرحية تجريبية كعناصر أساسية فى العرض المسرحى منها صعود سلطة (السينوجراف) مصمم المشهد المسرحى وصعود سلطة (الكوريغراف) مصمم الرقص المسرحى .. إلى جانب تقنيات استخدام الشاشة السينمائية وإعادة تشكيل المعمار المسرحى بعيداً عن شكل العلبة الإيطالى التقليدى .. وإلى جانب حضور الفرق المسرحية الشابة والمستقلة تغيرت العلاقة بالنص المسرحى من حيث الاهتمام بورش الكتابة المسرحية وحضور وأهمية الدراماتورجى ظواهر عديدة تأكدت ملامحها هذا العام وتأكدت أيضا (مجانية) استخدامها لدى الكثير من الفرق المسرحية المتعاملة مع التجريب من خلال فهم استعارى.

صعود السينوجرافيا:

افتتحت دورة المهرجان هذا العام بالعرض المصرى (تحت الأرض) لفرقة الرقص المسرحى الحديث بدار الأوبرا من إخراج وليد عونى وبرغم أن العرض لفرقة راقصة فقد تراجع الرقص لتحتل السينوجرافيا البطولة كاملة من خلال قطعة قماش سميكة من القطيفة بمساحة المسرح بأكمله تتخللها فتحات يخرج منها الراقصون اكسسواراتهم .. وإذا كان

إخفاء الراقص أو الممثل طوال العرض بالأقمشة الشفافة أو المطاطية أمر غير جديد فأن استخدام خام القطيفة الكثيفة هو استخدام جديد تماما كما حدث فى العرض التشيكى (عرائس شارون) والذى فاز بجائزة السينوجرافيا حيث استخدمت الراقصات بالعرض (بودرة التلك) فى تشكيل لوحات مضيئة داخل الفراغ المسرحى.

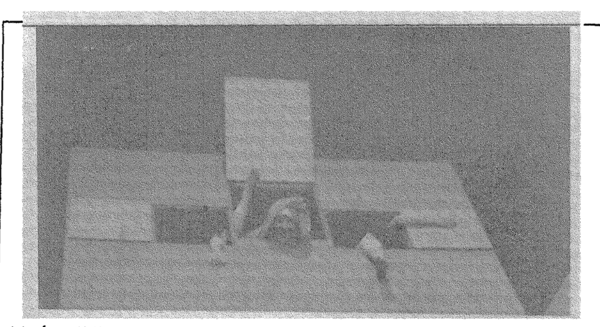
وفى عرض فرقة توتيل جروب الهولندية (تاجر البندقية) للمخرجة السورية علا المافلانى الحاصلة على الدكتوراه فى المسرح من جامعة امستردام .. ففى يسار المسرح وضعت طاولة للعب الورق جلس عليها الممثلون بينما سلطت كشاف ضوئى مبهر أعلى الطاولة كشف تفاصيل الوجوه ومنح العرض جماليات ضوئية .. خلف الطاولة أقامت قفصاً حديدياً مفرغاً استخدم كخلفية وكمكان لتغيير الملابس بينما تركت بقية المسرح خالياً من أية قطعة ديكور مشكلة جمالية سينوجرافية من تلك العلاقة بين الكتلة والفراغ وبين الأبيض والأسود الذى صممت منه ملابس الممثلين بالعرض.

السينما فوق المسرح:

أكثر من عرض خلال هذه الدورة اعتمد الفيلم السينمائى والفيديو بريجكتور .. ففى العرض الهولندى (أرض المستحيل) استخدمت المخرجة الفيديو بريجكتور لتصوير نفسها والممثلين معها بل وفى تصوير جمهور العرض الذى أدارت معه حواراً حياً أثناء العرض شاهد خلاله نفسه عبر شاشة عملاقة على جانبى المسرح .. كذلك العرض العراقى (البديل) والذى استخدم فيه المخرج سنان العزاوى فيلما عن الانتفاضة مثلما استخدم (السلايزر) لاستكمال الحدث المسرحى .. وفى العرض المصرى (إنسان الطبيعة) استخدم المخرج هانى غانم (الجرافيك) فى متابعة تطور رحلة الإنسان من البداوة الى المدينة .. بينما استخدم وليد عونى فى عرض (تحت الأرض) (السلويت) عبر شاشة ضخمة احتلت عمق المسرح وهو أيضا مافعلته مخرجة عرض بيلاروسيا (ليلة فى فالبارايزو).

مسرحيات فوق الخشبة :

تكررت هذا العام ظاهرة العروض المسرحية التى تعيد تشكيل العلاقة بين (الممثل والجمهور) من خلال إعادة النظر فى العلاقة المكانية وفى المسار المسرحى بكسر مفهوم العلبة الإيطالية الشهيرة ووضع جمهور المسرح فوق الخشبة .. ليتحول العرض إلى مايشبه الفرقة ويتحول الجمهور من (متفرج) إلى(مشارك) داخل العرض إنه جزء من (السينوجرافيا)



وجزء من الدراما أيضا .. وقد أسرفت الكثير من العروض فى استخدام هذه الظاهرة أحيانا بصورة مجانية لايوجد لها مايبررها درامياً ولكن مجرد تعديل (شكلى) فى محاولة لإلحاق عرضهم بلافتة التجريب .. مثلما حدث مع العرض السورى (حلم ليلة صيف) لطلبة معهد الفنون المسرحية بدمشق إخراج رياض عصمت خاصة أنهم يقدمون نفس العرض على خشبة مسرح تقليدى فى سوريا لكنهم قاموا بوضع الجمهور على المسرح وتقديم نفس المسرحية بنفس التصور الجمالى والفكرى بما يؤكد مجانية الفعل .. تماما مثلما حدث مع العرض القطرى (القادم) والعرض الرومانى (الحياة) وتطلب العرض الهولندى (أرض المستحيل) ضرورة وجود الجمهور فوق الخشبة حيث تتطلب مشاهد السيرك الفوقية وعلى جوانب المسرح إلى رؤية شاملة ودقيقة وواضحة .. إضافة إلى أن الممثلين يقومون داخل العرض بحوار حى مع الجمهور الجالس معهم بينما تطل صورهم على شاشة الفيديو بريجكتور.

وفى العرض البلغارى (كلب نائم) وهو إنتاج يابانى كانت الضرورة الدرامية أيضا تستدعى جلوس الجمهور فوق المسرح حيث يقدم العرض فن (البوتو) وهو فن خاص من الرقص اليابانى ظهر بعد انفجار قنبلة هيروشيما وتفاقم ظاهرة الغضب ولهذا فهو فن يعبر عن طاقة التمرد والغضب داخل الإنسان فى أسلوب من الحركة البطيئة التى تستخرج كل ماهو عميق ودفين فى الأعماق .. وقد ابتكر هذا الفن اليابانى تاتسومى هيجيكاتا وتدعى مدرسته فى الأداء (بالبوتو الأسود) بينما مصمم رقصات عرض (الكلب النائم) وهو يابانى آخر يدعى ماساكى إيوانا فقد أنشأ فى باريس مدرسة أخرى للأداء أسماها (البوتو الأبيض).





الشيطان الأكبر فى التجريبى

خالد سليمان

مهرجان القاهرة الدولى للمسرح التجريبى الذى أصبح واقعا ثقافيا مهماً لا يمكن إنكاره فى حياتنا الثقافية وحظى بمكانة لا بأس بها على المستوى الدولى لماذا يتراجع الآن؟ ..هذا السؤال يتردد بقوة منذ بدء فعاليات الدورة الحادية عشرة بطريقة مثيرة للقلق ، فالمهرجان التجريبى ليس بالحدث الاحتفالى العادى بقدر ما هو نافذة نطل منها على العالم من حولنا وما يجرى فيه .كما أنه فرصة لم تتح من قبل للاحتكاك مع الثقافة العربية والدولية .. وبقدر مكانة المهرجان كان القلق على مستقبله.

ولكن وقبل أن نتعرض لتفاصيل الدورة الرابعة للمهرجان أسوق ملاحظة وهى أن الجهات التى أشرفت على الحدث المتميز «المنتدى الدولى الأول للكتاب» الذى أقيم فى قلعة الجبل «صلاح الدين» وحقق نجاحا باهرا وصدى واسعا- ،شاركت فيه نفس الجهات التابعة لوزارة الثقافة التى شاركت فى تنظيم فعاليات المهرجان التجريبى تقريبا- فلماذا اختلفت الأمور واهتز الأداء فى

بعض النواحى التنظيمية؟ ..سؤال قد تكون فى الإجابة عنه حلول لبعض الإشكاليات التنظيمية البسيطة التى لا تمثل إلا ذرة ملح تفسد مذاق تلك الوجبة الشهية.. ومن ذا الذى ينسى الدورة الثانية للمهرجان على سبيل المثال والتى جرت مراسم افتتاحها فى القلعة .وشاهدنا خلالها (على ما اذكر) عروضا ذات مستوى رفيع كالعرض «الألمانى» «جلسة سرية» والعرض الاسكندنافى (للنرويج أو الدنمارك» «حبيبتى هيروشيما» بالإضافة للعروض العربية القوية من «تونس» و«لبنان» و«سورية» ، «*العراق*» و «*البحرين*» .. وأظن أن« *العراق*» على وجه *الخصوص* قد غابت عن الدورة الثانية بسبب أحداث غزو «الكويت» لكنها فى الدورة الأولى للمهرجان فاز عرضها بجائزة «أفضل ممثل» ..بيد أن بيت القصيد هو تراجع مستوى العروض المشاركة ربما منذ فعاليات «الدورة العاشرة» خاصة العروض الأوروبية التى اعتبرت معظم فرقها أن المهرجان مجرد «فسحة» أو رحلة *لزيارة الأهرام وأبو الهول ..فما الذى اختلف عما كان* فى دورات المهرجان الأولى؟ .. ويبقى أن نذكر أن الفرق العربية منذ الدورة الأولى وحتى اليوم تتعامل مع المهرجان باحترام عظيم وجدية أكبر فى معظم الأحيان .. وبعضها يقدم عروضاً ذات مستوى عالمى.

أول القصيدة ١١ سبتمبر

بغض النظر عن تضارب الآراء حول حفل الافتتاح الذى بدا شاحبا بعض الشئ .وعن عرض «تحت الأرض» «لوليد عونى» الغامض على أحسن تقدير .جاءت كلمة السيد «مارثا كويجنى» رئيسة لجنة المشاهدة «الأمريكية الجنسية» مستفزة لكثير من الحضور بسببس الفقرة التى تحدثت فيها عن ضحايا حادث الثلاثاء الأسود ١١ سبتمبر بصوت متهدج تعاطفنا معه جميعا مثلما تعاطفنا مع ضحايا ذلك الحادث الإجرامى .. لكن الأمر الذى استفز معظمنا فى كلمة السيدة الفاضلة هو اقتصار كلمتها على أولئك الضحايا دون غيرهم حتى هم كاتب السطور بالصياح فى وجهها **What about plastin** لولا بقية من حياء.. ولعلها نسيت أو تناست أن لنا أشقاء يذبحون يوميا فى فلسطين قبل وبعد ١١ سبتمبر سنة٢٠٠١ ويقصفون بالاباتشى والF16 الأمريكية الصنع، ناهيك عن نصف مليون طفل عراقى هم بعض ضحايا الولايات المتحدة هناك.

عولمة، وصراع :

.. صراع أم تواصل وكان محور الندوة الأول بعنوان« المسرح اليونانى وتجلياته فى الثقافات المختلفة عبر العصور» أما المحور الثانى فكان بعنوان« الأشكال المسرحية والتقاليد الدرامية غير الأرسطية فى الشرق الأقصى والشرق الأوسط وأفريقيا والأمريكتين». والمحور الثالث بعنوان« أثر النموذج المسرحى الغربى على المسرح فى الثقافات المغايرة».وعلى *الرغم من أن الندوات* عادة ما تتسم بالطابع الأكاديمى الصارم إلى حد ما إلا أنها شهدت اقبالا كبيرا من المهتمين

بشئون الحركة المسرحية لاوجه لمقارنته بندوات مناقشة العروض التى كادت أن تخلو من الجمهور فى معظم الأحيان.. ولكن ندوات مناقشة العروض تشابهت إلى درجة كبيرة مع الندوة الرئيسية بمحاورها الثلاثة فى كون المنصة والمشاركين لم يتغيروا تقريبا خلال السنوات الماضية.. وهذه ملاحظة لابد من الالتفات لها بجدية قبل فوات الآوان- ومن الغريب أن بعض ضيوف المهرجان كانوا قد شاركوا قبل أيام قليلة من بدء المهرجان فى« المنتدى العربى الأول للكتاب» ..فضلا عن المشاركة المتكررة لنفس الضيوف خلال الدورات السابقة للمهرجان ولابد من أن يؤخذ ذلك أيضا فى الاعتبار من أجل تجديد دماء المهرجان وحيويته.

كان أكثر محاور الندوة الرئيسية سخونة هو المحور الثالث الخاص« بأثر النموذج المسرحى الغربى على المسرح فى الثقافات المغايرة» وفجر الناقد والمؤلف اللبنانى« بول شاؤول» أكثر من أطروحة مثيرة للجدل حول علاقة المسرح العربى بالثقافة الغربية فى هذه المرحلة الفارقة ،من تاريخ الإنسانية ، وكان الأمر المثير حقا فى بعض المداخلات أنها تجاهلت ما طرحه «بول شاؤول» حول قواعد التعاطى مع الثقافات الغربية مع الحفاظ على الهوية وقفزت على الفور إلى مرحلة الإذعان والاستسلام للعولمة.

الحماية الثقافية إلى متى؟.

على مدى ثلاث دورات سابقة للمهرجان فتحت «أدب ونقد» ملف لجنة اختيار العروض الدولية المكونة من ثلاثة خواجات ليس من بينهم عربى واحد لا من مصر ولا من غيرها حتى بات السؤال ملحا هل هو نوع من فرض الحماية الثقافية علينا.. وفى أغسطس سنة٢٠٠١ قبل بدء فعاليات الدورة السابقة طرحت «أدب ونقد» السؤال على عدد من المعنيين بالمسرح فى «مصر» استنكر بعضهم مثل هذه اللجنة التى اعتبروها تعتداً على حق أصيل للمسرحيين العرب وكانت اجابة المسرحى الكبير أ/ سعد أردش غاضبة حيث إنه لا يرى مبررا لمثل ذلك الإجراء .. بينما أعتبر قريبو الصلة من إدارة المهرجان أن مثل هذا الاجراء اتخذ لتفادى الحساسيات بين الدول العربية وقد تفجرت أزمة روجيه عساف. .

فى هذا السياق (كما أن دولة فتية وناهضة «كدولة الإمارات» التى قدمت عروضا جيدة فى السابق وقدمت عرضا متميزا هذه الدورة فوجئ أفراد فرقتها أنهم خارج المسابقة مما ولد لدى الفرقة شعوراً بالمراراة تجلى فى« إفيه» أطلقه بطل العرض الإماراتى بخفة ظل وهو يعدد للبطلة أنواع القهر والبكاء وقال إن من ضمن أنواع القهر «أن تخرج من التسابق» جدير بالذكر أن هذا العرض المتميز فاز بجائزة أحسن عرض متكامل فى «أيام الشارقة المسرحية» التى ضمت لجنة تحكيمها أكثر من مسرحى مصرى.

-ورغم أن فكرة التسابق فى مهرجان يحمل صفة التجريبية أمر فيه قولان ومسألة لابد من إعادة النظر فيها ..إلا أن الاختفاء الغامض لجائزة النقاد التى حظيت بمصداقية كبيرة وكانت

محل احترام جميع المشاركين بأن سؤالا لابد من الاجابة عنه لكى نعرف ما هو السبب الحقيقى وراء اختفاء تلك الجوائز؟.

أزمة «روجيه عساف» ..ملكيون أكثر من الملك

وروجيه عساف هو الفنان اللبنانى صاحب العرض الجميل المتقن« لوسى المرأة العمودية» الذى استبعد من التسابق . والذى وقف ليعلن إنه يتحدث باسم عرب الدرجة الثانية المستبعدين من التسابق وقال أنه يهدى عرضه إلى« فلسطين» ويقدمه لنا بإسم «فلسطين» التى لا يدرى إن كانت قد غابت أو غيبت عن المهرجان وحقيقة الأمر أن الفرق اعتذرت لعجزها عن الحضور.

متابعات نقدية

يمكننا القول إن المتغيرات التى يمر بها العالم وما صاحبها من أحداث جسام زادت من شعور إنسان هذا العصر« بالخوف» و«الاغتراب» إلى الحد الذى جعله يعيد النظر فيما يعتقد ويزداد نزوعا نحو الغيبيات بنفس القدر الذى ينكفئ على نفسه ويلتصق بذاته مسيئا الظن بالآخرين على طول الخط .. ولعل هذا الوصف الأخير هو السلوك الغالب لدى أصحاب الحضارات المهزومة .. بينما نفس الاحساس «بالخوف والاغتراب» والقلق من المستقبل يدفع أبناء الحضارات المنتصرة إلى« العدمية» تحت ضغط تأنيب الضمير أو هاجس حقد الآخر المهزوم على حضارتهم ورغبته فى تدميرها .. لذا أصبح الصراع الأبدى بين« الخير والشر» و«معاناة الإنسان وصراعه من أجل البقاء وإعادة صياغة المعتقدات هى السمة المسيطرة على عروض المهرجان هذا العام التى خضع معظمها إلى التفسيرات السياسية أو الدينية أو الاثنين معاً .

مؤتمر هاملت بن لادن ..

على أنقاض الدمار الذى نراه فى خلفية المشهد ووسط المناضد الخالية إلا من أسماء أصحابها المكتوبة بطريقة تذكرك باللافتات التى توضع أمام مندوبى الدول فى الأمم المتحدة أو مجلس الأمن .. نشاهد «هاملت المودرن» وهو يرتدى عباءة وطاقية فوق «بذلته» ويصلى صلاة المسلمين أمام كومة من الاحجار تمثل قبر أبيه ومعد العرض ومخرجه «سليمان البسام» الكويتى ذو الأصول البريطانية يقدم فى عرضه رؤية أو معالجة جديدة لرائعة «شكسبير» «هاملت» فها هى« سمسارة السلاح» تحرض« هاملت» على« كلوديوس» مثلما تحرض كل طرف من الاطراف على الطرف الآخر فى تطوير واضح لدور الشبح الذى كان يظهر« لهاملت» والذى جعل «سمسارة السلاح» معا (لا موضوعيا له يناسب القرن الحادى والعشرين ، ويبدو واضحا الاسقاط السياسى الذى يجعل «هاملت الدولة المغلوبة على أمرها» فى مواجهة «كلوديوس» وأعوانه الذين يمثلون الدولة الغاشمة التى لا تتورع عن استخدام القوة لتحقيق مأربها .. وفى قراءة أخرى نرى« هاملت» إرهابيا كان مبرره الذى وضعه المخرج سلفا هو طغيان الأنظمة التى

جعلته ضحيتها وحولته إلى إرهابى ،ونحن نجد مخرج العرض يقدم أحيانا نصا موازيا للنص الاصلى يختلف عنه أحيانا (بتصرف) ويتناص معه حينا آخر.. وهو إجتهاد يحسب للمخرج حتى لو أختلفنا معه .. فمن غير المعقول على سبيل المثال .. هذا الخلط الغريب فى رؤية المخرج والمعد فى المشهد الذى يطلب فيه« هاملت» من «أوفيليا » أن تتوب وتذهب لتكمل بقية حياتها فى إحدى دور العبادة .. لنفاجئ بأوفيليا «ترتدى الحجاب» وتلقى بيانا قبل أن تذهب للقيام بعملية إستشهادية ، ومن المؤكد أن البون شاسع بين الجماعات الإرهابية وحلفائها من «حركة طالبان» وبين الشعب الفلسطينى الذى يقاتل من أجل قضيته العادلة .. ولو كلف المخرج خاطره ونظر إلى صورة الحسناء الشهيدة « وفاء ادريس» لأدرك أنه لا علاقة بالمتطرفين الدينيين ومن يقوموا بالعمليات الاستشهادية .. وأنا متأكد أنه يدرك الفرق ،.وفى المعالجة التى قدمها المخرج لـ «هاملت» نستشعر أنه توجد مناطق ليست بالقليلة مبهمة أو مسكوت عنها عن عمد كما لو كان المخرج العربى البريطانى خائف من إغضاب إحدى الثقافتين التى ينتمى إليهما (العربية والغربية) .. لكن تبقى المعالجة التى قدمها المخرج للنص مبتكرة وجديرة بالاهتمام والحفاوة حتى لو أختلفنا معها فى الرؤى.

أما الممثل الذى لعب دور« كلوديوس» فقد كان اداؤه متميزا إلى حد بعيد ونجح المخرج فى أن يجعله يحمل قدرا كبيرا من ملامح الطغاة العرب .. وفى كل لفتة من لفتات هذا الممثل الموهوب تلمح صورة واحد منهم .. حاول العرض أن يكون مكثفا قدر الإمكان لكن متعة الفرجة وعنصر الدهشة غابا عن العرض الذى فاز بجائزتى أفضل عرض وأفضل إخراج !! ، ولا يحتاج المتلقى العادى إلى بذل مجهود ذهنى زائد كى يدرك أن الشبح أو سمسارة السلاح التى تحرض الجميع لكى يفتكوا ببعضهم البعض .. ويخطب الجميع ودها هى الولايات المتحدة ولا يفوتنا التنويه عن سطوة المسرح« الشكسبيرى» على المهرجان فى هذه الدورة كما حدث فى عدة دورات سابقة، وقد شاهدنا فى هذا المهرجان عدة فرق مثل(انجلترا- اسبانيا- ومالطة- اليونان -مصر -سورية) تعنى بالتجريب على نصوص شكسبير -حتى أننا أصبحنا نفكر على الفور فى«وليم شكسبير» كلما سمعنا جملة «التجريب على نص كلاسيكى».

نار من السماء

فى العرض البديع «نار من السماء» الذى قدمته «فرقة مردوخ للرقص الدرامى الحديث» العراقية .. يناقش العمل من خلال الرقص الدرامى المعبر «قصة الخليقة» والصراع الأزلى بين الخير والشر -غواية الشيطان- «قابيل وهابيل» أول جريمة قتل فى تاريخ الإنسانية التعيس .. ظلم الإنسان لأخيه الإنسان ..«نار من السماء» أو ذلك الشر الهابط منها ليحيل الأرض دمارا وركاما ليؤكد استمرار الظلم واحتدام الصراع وصيرورته منذ نشأة الكون إلى اليوم وغدا وبعد غد.. هى النار الأمريكية التى صبت حممها من السماء العراقية وما زالت كما قال مخرج



العرض ومؤلفه «على طالب» فى الندوة الخاصة بالعرض .. إذن ها هى أمريكا وريثة الشيطان أو الشيطان الأكبر تزرع النار لتحصد الدمار والكراهية.

والعرض الذى قدمته فرقة« مردوخ» من خلال خطة إضاءة عالية التقنية فى جو شبه معتم على خلفية سوداء جعلت ألسنة اللهب حاضرة إلى حد الشعور بها تلفح الوجوه .. وقد ساعد على تأكيد الرؤية الدرامية تلك الأجساد المدربة تدريبا راقيا وهى ترسم لنا معالم الصراع وتفاصيله تصاحبها موسيقى أبرزت بفضل تنوعها فى مراحل العرض المختلفة وزادها ثراء وشجنا تلك «المقامات العراقية» الحبيبة إلى النفس بيد أن السلبية الوحيدة للمقولة التى يقدمها العرض من وجهة نظرنا هى اعتماد البشرية فى خلاصها على« المخلص الفرد» أو «المهدى المنتظر» .ولعل ذلك يرجع إلى روافد الفكر الشيعى فى الثقافة العراقية .. أو الواقع السياسى الذى تحياه.

-يبقى أن نذكر أن الفرقة العراقية «مردوخ للرقص الدرامى والحديث» تأسست سنة٢٠٠١.

أحمق أنت تماما يا حبيبى

المسرح فيما كان يدعى سابقا بالاتحاد السوفيتى .. والكتلة الشرقية تميز بكونه مسرحا فقيرا أو بسيطا من ناحية التكاليف .. بالغ الثراء شكلا وموضوعا (أعنى بذلك المسرح التجريبى على وجه الخصوص)، ويبدو أن هذه السمة ما زالت مسيطرة على المسرح التجريبى فى هذه الدول إلى اليوم ولم تتأثر بالتحولات التى طرأت على هذه البلدان .وكان هذا واضحا فى معظم العروض التى شاركت فى فعاليات المهرجان الآتية من هذه البلدان وأبرزها العرض« الروسى» «الأمير سيفتابولك» و«التشيكى» عرائس شارون ومدام بلانش «المجرى» فراش مزدوج- أحمق أنت تماما يا حبيبى «العنقاء» تذهب إلى عشها الكائن أعلى الجبل فى تلك الجزيرة المهجورة النائية لتموت حرقا .ومن الرماد المتخلف عنها تبعث عنقاء جديدة ،وهكذا صيرورة أبدية تحكيها لنا الأسطورة.. وفى تشابه واضح بين أسطورة «العنقاء» وموضوع العرض« المجرى» فراش مزدوج /أحمق أنت يا حبيبى الذى يرى أن الحركة هى الحياة ذاتها وعندما تستنفد المادة الجانب المتحرك داخلها تتلاشى وتموت ولكن هذا الموت هو فى الواقع بداية لحركة جديدة وإن كانت مختلفة ..هكذا الكون دائما وهكذا العلاقات الإنسانية .ولكى تستمر حية كلما لحق بها السكون لابد من تدفق الطاقة التى تجدد كيمياء الحياة وأساسها العلاقة الجدلية بين الرجل والمرأة . وهذا ما يطرحه عرض المجر المبهر والبسيط الذى قدمته «فرقة الحلم» ومزجت فيه بين فنون الأداء التمثيلى والرقص الدرامى الحديث بممثلين فقط« رجل وامرأة» كانت لديهما القدرة على شغل الفراغ المسرحى بالكامل طولا وعرضا .. أعلاه وأسفله من خلال اللياقة غير العادية لبطلى العرض التى ساعدت المخرج« إيمرى توث» فى خلق مستويات متعددة لخشبة المسرح بأسلوب مبتكر تمثل فى تسلق البطلين لقطعتى قماش متوازيتين علقتا فى إحدى «الهرس» ثم

استخدامها كفراش وأرجوحة إلخ .وكانت اللوحة الراقصة التى تجسد حياة الطبقة العاملة بالغة الروعة والدقة استخدم فيها مصمم الرقصات «إيمرى توث» ،إيدث ديكانى أدوات الحرفيين «كالشواكيش» بطريقة طريفة أعتمدت على مهارة ودقة بطلى العرض فى التنفيذ الذى أضفى على العرض بهجة واثارة . ولم يغفل هذا العرض المتكامل الجانب الكوميدى فى الأداء الذى اتضح جليا فى مشاهد الروتين المنزلى حتى أن جمهور الصالة تفاعل معه بوضوح أكد تعطشه للكوميديا الراقية التى تزخر بها مواقف الحياة اليومية الحافلة والتى تتشابه فى كافة الانحاء ولا يلتفت إليها إلا صناع الفنون الحقيقيون ..

ليتك ما كافحت يالوسى لتصبحى عمودية

اعتمادا على فكرة «النشوء والارتقاء» كتكئة كتبت الروائية العربية الفرنسية «أندريه شديد» روايتها« لوسى المرأة العمودية» التى تحكى لنا معاناة «لوسى» مع قبيلتها التى تمشى على أربع «كالقردة» لكى تنتصب وتمشى على قدمين لتلحق بتصنيف أرقى .. وتنجح «لوسى» فى أن تفعلها منذ ثلاثة ملايين عام وتصبح المرأة العمودية الأولى ،الأم الأولى لهذا الجنس الدموى القاتل الذى يعرف بالجنس البشرى .وتلتقى «لوسى» بإحدى الحفيدات قادمة إليها من القرن الواحد والعشرين لتحاكمها على ما أقترفته فى حق الكون بأسره لأنها أنجبت هذا الجنس من سفاكى الدماء..

.. ويقتبس المخرج الكبير« روجيه عساف» وزوجته وبطلة العرض «حنان الحاج» على« رواية » «أندريه شديد» ليقدما معالجة جديدة لها بعد تطعيمها برواية «أسنان المشط» للمؤلف اللبنانى «جودا صيداوى» لنشاهد رواية «أندريه شديد» «لوسى المرأة العمودية» (بتصرف) فحفيدة «لوسى» التى تلتقى بها ليست امرأة عادية إنما هى «هندومة» تلك المرأة الفلسطينية اللبنانية التى ولدت فى «شاحنة» وعاشت فى النبطية فى الجنوب اللبنانى حياة مريرة مشردة بعد مقتل اخوتها وسائر أهلها إلى أن وجدت ذات يوم مقتولة وملقاة فى قاع بئر.

وبالمناسبة لابد من ذكر أن «هندومه» شخصية حقيقية وغير عادية كانت تفاصيل حياتها كما ذكرنا سلفا بالاضافة إلى قدر لا بأس به من الغيبة أو الميتافيزيقية إن شئت كانت تحيط بتلك الشخصية الفريدة التى أرخ لها الروائى «جودا صيداوى» من خلال أحداث روايته «أسنان المشط» كما كتب عنها عملا آخر باسم «فساتين هندومة» كما ذكرت لنا« حنان الحاج على» التى أعدت العمل مع« روجيه عساف».

–كان الأداء التمثيلى البالغ الرقى« لحنا الحاج على» التى لعبت دور« هندومة» متكاملا مع أدائها «الكريواجرافى» المتقن بحيث بدا الاثنين نسيجا واحدا لا يمكن التفرقة بينهما . وكذلك كانت الكوكبة التى شاركت فى العمل من الشباب حديثى السن بحيث أضحى اللعب فى الفضاء المسرحى ذى مذاق شديد الخصوصية أحدث علاقات بصرية جدلية مع قطع الديكور الثلاثة

متعددة الأغراض لتخلق كل هذه العناصر معا بعداً سينوغرافيا مبتكرا وغير مألوف ،بالاضافة للموسيقى الثرية لـ« سينتيازافين وسرق لويس» التى تم توليفها مع موسيقى «موزار» و«بيتهوفن» و«البيتلز» ،وغيرهم وكذلك الاستخدام البالغ الحذق للإضاءة المدركة لعلاقات الديكور والجسد بالنور والظل ،كل هذه العوامل ساهمت فى تحقيق زمن مسرحى خاص كما أراد مخرج العرض «روجيه عساف» ومن خلال هذه العلاقات المتشابكة والمعقدة نجح« روجيه» فى اللعب على أشكاليتى «الواقع والأسطورة» كما يريد.، مثلما نجح فى مراوغة مستويات الادراك المختلفة لدى المتلقى وهو يقدم أطروحاته الإنسانية بكل روافدها الاجتماعية والسياسية والميتافزيقية التى تؤثر فى العوامل الأخرى التى تشكل فى مجملها صورة أو لوحة التاريخ الإنسانى إن جاز التعبير.. ،ورغم خطورة الإشكاليات التى يطرحها العرض وشجاعتها فى اقتحام المناطق المحظورة والمسكوت عنها عمداً .والمحاولات المستمرة لكسر« التابو» «الدينى» و«السياسى» ..فإننا نستطيع القول إن المخرج نجح فى تحقيق المعادل البصرى الراقى الذى يتناسب مع أطروحاته الكبيرة .. بنفس درجة النجاح فى تقديم عمل مسرحى متكامل وفريد نستطيع من خلاله تفهم دوافع غضبه العارم على استبعاده من التسابق.

ومن العروض التى تستحق الإشادة بها والكتابة عنها العرض« الروسى» «الأمير سيفتابولك» لمسرح «مويكو» والعرض اللبنانى «بيروت صفرا» ..و«التشيكى» الذى فاز بجائزة أفضل سينوغرافيا علما بأن خشبة المسرح ذات الخلفية السوداء لم يكن عليها إلا أفراد الفرقة التى ارتدت السواد وبضع حفنات من البودرة أو الدقيق الأبيض ..أنه عرض «عرائس شارون ومدام بلانش» الذى لم تزد مدته على عشر دقائق فقط شدنا فيها أداء راقصى «مركز دنكان» أيضا لابد من ذكر العرض التونسى»«حديث الروح» لفرقة «بابل للإنتاج» العرض المالطى «تل من الصور المحطمة» لفرقة أليتايا الذى قدم تنويعات «لشكسبير» و«نيتشه» وغيرهم على المتن الأساسى للعمل وهو قصيدة «الأرض الخراب» لـ«اليوت» والتى يعدها كثير من النقاد أكثر القصائد تشاؤما ، وأخيرا عرض «الإمارات» «آباء للبيع أو الإيجار» «لفرقة» مسرح الشارقة الوطنى وتأتى أهميته كونه خطوة ملموسة فى تطور المسرح فى« الإمارات» .وبالنسبة لبطلة العرض الروسى« الأمير سيفتابولك» لابد من ذكر أنها كانت سترشح للفوز بجائزة أفضل ممثلة إلا أن العرض لم يدخل المسابقة ..فيما دخل العرض« السعودى» رغم أننا سمعنا بالمسرح هناك مؤخراً ،وربما كان رأى لجنة الاختيار صوابا فرغم كل شئ فإن أهل مكة أدرى بشعابها..



مهرجان عمون للمسرح

أحمد الشريف

قبل البدء فى الحديث عن مهرجان عمون لمسرح الشباب الثامن والذى نظمته وزارة الثقافة فى الأردن بالتعاون مع نقابة الفنانين وأمانة عمان الكبرى ومؤسسة الإذاعة والتليفزيون والذى بدأ فى الفترة من ١١ / ٨ ولغاية ٢٤ / ٨ / ٢٠٠٢ ، يحب أولاً تعريف كلمة عمون هو الاسم القديم للعاصمة عمان فى فترة ٢٥٠٠ ق . م حيث كان يحكمها الملك يرح بن عازر والآلهة المجنحة تايكى ربة عمون وحامية المدن ، اشتمل حفل الافتتاح على كلمات لممثلين عن وزارة الثقافة ، اللجنة المنظمة للمهرجان ، نقابة الفنانين تلى ذلك تقديم الضيوف العرب ، ثم تكريم الفنانة حياة الفهد ٠ الكويت) والفنان أشرف أباظة (الأردن) وعرضت المسرحية الشعرية ، اوبريت (عباءة الدنيا) التى كتب نصها الشاعر جريس سماوى وأخرجها خالد الطريف . شارك فى المسابقة الرسمية للمهرجان ست مسرحيات هى :"

– النص المحلى : (رؤية أخيرة) للكاتب جمال أبو حمدان ، إخراج وصفى الطويل ،

(الناى والنهر) للكاتب هزاع البرارى ، إخراج سامر خضر،(ترنيمة الجدران الصامتة) للكاتب فؤاد الشوملى ، اخراج حيدر كفوف .

– النص العربى : (الخفاش) للكاتب السورى وليد فاضل ، اخراج نرمين النعمان ، (رحلة حنظلة من الغفلة إلى اليقظة) للكاتب السورى سعد الله ونواس اخراج أشرف طلفاح .

؛ – النص العالمى : (كاليجولا) للكاتب البيركامو ، اخراج رائد عودة . . عرضت على هامش المسابقة مسرحيتان بدعم من ادارة المهرجان ، هما (الخادمات) للكاتب جان جينية ، اخراج قاسم ملكاوى ، (الطباخون الاشرار)للكاتب جونتر جراس ، اخراج عبد الصمد البصول . كما عرضت مسرحيات أخرى هى : (الشجرة المقدسة) ، اخراج أحمد المفرى ، (الرداء) اخراج اياد شطناوى ، (مذكرات ميم) اخراج سمير خوالدة ، (حكاية توت) اخراج محمد الشوابكة ، . وشاركت مسرحيات عربية لأول مرة ، من مصر (فيدراسيدة الاشرار) العرض المصرى :

بعد عرض مسرحية (فيدرا) أقيمت ندوة تقييمية حولها ، تحدث فى الندوة الناقد المسرحى عبد الفتاح قلعة جى (سوريا) ، الذى أكد أن العرض يسعى إلى اقناع المتفرج وجذبة ، أوغل فى تشويه صورة الأب كرمز للسيطرة ومزجها بصورة القطب الاوحد ، (القوى العظمى) فى استحضار قسرى لاعضوى وذلك لادانة الأب . وتوقف قلعة جى عند عدد من القضايا التى اثارتها المسرحية ، مثل ممارسة الطقوس الدينية الجديدة ، الحرية الجنسية ، التفكك ، النظرة للجنس باعتباره البوابة إلى السعادة ، وتناول المخرج العراقى حنين مانع الظروف التى احاطت بالعرض ، من حيث المد الحكائى والمكان والتمثيل اذ تبدأ المسرحية بالاحداث الصغيرة ، ثم تنقلنا إلى الأحداث الكبيرة ، عكس ما هو معروض فى المسرح العربى بعامة . وبالنسبة للمكان ، فالمسرحية تحتاج إلى العلبة الايطالية ، وليس التقسيم المربع للمكان . الناقد والمخرج عبد الحليم المسعودى (تونس) قال إن (فيدرا) اسطورة تطورت إلى مأساة تراجيدية ، وهى تعيد لنا الثالوث المقدس . واشاد الممثل عيسى الجراح بطاقات الممثلين الاربعة ، فى المسرحية والتألف فى الاداء التمثيلى بينهم . وقال إن العرض قدم بشكل روائى وليس دراميا ، لان غياب الفعل يعنى غياب التواصل بين العرض والجمهور واعتبر د .جبار خماط (العراق) ان نص المسرحية يغاير الاصل الراسينى الاسطورى المنقول عن البنص الاصلى ، واشار إلى أن العرض يطرح قضايا مرتبطة ب (المحرم) ولكن بطريقة غير مباشرة. وقال إن العرض كان مرتبكاً على

صعيد الفكرة والايقاع ، حيث بدأ بقضية واحدة ، ثم تكرارها طيلة المسرحية د. أبو الحسن سلام (مصر) قال إن العرض ينطلق من شعار «الممنوع مرغوب» ، وأضاف أن العرض امتعه ، ولكن السؤال هو: هل أقنعه . وأشار د.أبو الحسن إلى أن مغزى العرض هو طابعه ما بعد الحداثى .

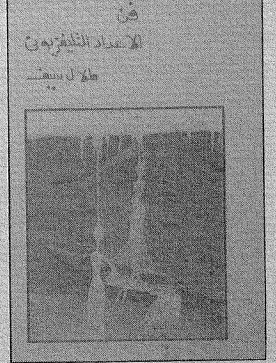
لقد تنوعت المسارح والمسرحيات واللقاءات والحوارات مع الضيوف إضافة للندوات التقيميية التى كانت تدار عقب كل عرض . لكن يظل الاستطلاع حول التجريب فى المسرح الشبابى والذى قامت به جريدة المهرجان (عمون -تيسير النجار) من الأشياء المهمة ، حيث أكد الضيوف أن التجريب ليس عملية اعتباطية أو ترفا جمالياً ، التجريب : السهم نحو قلب المسرح لرفع مستواه عبر لذة بصرية متكاملة. الناقد والباحث المسرحى التونسى د.عبد الحليم المسعودى ، وقال ، عادة ما يتم ربط التجريب بمسرح الشباب وهناك لبس كبير بين هذين العنصرين باعتبار أن التجريب هى تلك المرحلة التى يتم فيها ترسيخ التجربة المسرحية على قواعدها الصحيحة ، بمعنى أنه لا يمكن الحديث عن التجريب المسرحى دون الوثوق من الوقوف على أرضية صلبة هى أرضية التمكن من مفردات وآليات العمل المسرحى والقصد من ذلك الإطلاع على التجارب المسرحية فى الكتابة والاخراج والتمثيل بمعنى التمكن من معرفة الميراث المسرحى ،أما د. أبو الحسن سلام فقال إن لم يكن هناك توالد فى الرؤى والتصورات فلن يكون هناك إبداع . وأشار إلى أن الخبرة غير مرتبطة بالعمر بل ترتبط بقدر كبير من الخيال العريض والكثير من رفض المسكوكات الفكرية والفنية .فإذا لم يكن المبدع رافضا للتقليد ولأصول سابقة بعد أن يهضمها فلن يأتى بجديد ولن يكون مبدعاً .أما المخرج الكويتى محمد سلمان فقال إن التجريب فى مسرح الشباب ينطلق من السرعة فى البحث عن النجومية ودائما يحاولون تقليد مادرسوه من أساتذتهم . يمكن أيضا ذكر افتتان مسرح الشباب فى العالم العربى وكما قال د. المسعودى ، بالبلاغة البصرية والسينوغرافية والأفكار الحداثية دون أن تتوفر لهذه الفتنة قاعدة صلبة خاصة بها.

فى ختام المهرجان قال طلعت شناعة ، إنه مهما كانت الملاحظات التى ابداها النقاد والزملاء الصحفيون والمتفرجون ، فإن إقامة مهرجان مسرح للشباب واستمراره يشكل سلوكاً حضارياً .ويساهم فى بناء مسرحنا العربى الكبير.











إعداد / أحمد الشريف

منظمة التجارة العالمية

منظمة التجارة العالمية ومصالح شعوب الجنوب . هذا هو عنوان الكتاب الصادر عن (مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات . وهو أيضا عنوان الندوة التى نظمتها (منظمة تضامن الشعوب الأفريقية والأسيوية مركز البحوث العربية والأفريقية وعدد من المنظمات غير الحكومية .حوى الكتاب عدداً من الدراسات والمقالات والمحاور ، عن فلسفة منظمة التجارة العالمية ، العولمة والتجارة ، القضايا القطاعية ، مشاكل بلدان الجنوب ومقاومة العولمة.

المقامرة الكبرى

عن " المحروسة" ، للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات ، صدر كتاب " المقامرة الكبرى" ، مبادرة وقف العنف بين رهان الحكومة والجماعة الإسلامية ، للكاتب عبد الرحيم على . منذ أن طرحت الجماعة الإسلامية مبادرتها في يوليو ١٩٩٧ وحتى الآن ، وعلى مدى خمس سنوات لم نشهد تجاوباً علنياً معها (وصل حد الترويج الواسع لأفكارها فى عدد من الصحف والمجلات المحسوبة على الدولة) سوى الآن . الأمر الذى دفع بسؤال التوقيت إلى صدارة الحدث خاصة بعد ما وضعت الولايات المتحدة الأمريكية ولأول مرة تنظيم الجماعة الاسلامية على قائمة التنظيمات الإرهابية ، والذى اعتبرته الصحافة الأمريكية أحد أجنحة تنظيم القاعدة.

المجتمع المدنى

بالتعاون بين دار (ميريت) ومركز البحوث العربية بالقاهرة ومنظمة إلتاير بتونس ، صدر كتاب (المجتمع المدنى وسياسات الإفقار فى العالم العربى . وإن قيمة هذا الكتاب الرئيسية تتمثل فى التنوع الفكرى للمشاركين ، والذى أسهم فى إبراز الموقف الثقافى العربى من إحدى أهم القضايا الراهنة وهى دور المجتمع المدنى فى مجال الديمقراطية والتنمية الشاملة . يضاف إلى ذلك أن الجميع ، سواء المؤمنين أو المتشككين ، شبه متفقين على معايير وأهداف واحدة وهى الرغبة فى تحقيق الديمقراطية ببعديها السياسى والاجتماعى ، والتنمية بمعناها الشامل أى التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية.

قصائدى فى رحاب القدس

صدر أخيراً عن مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ديوان « قصائدى فى رحاب القدس»

للشاعر فاروق جويدة ، المهموم بالتعبير عن الهم العربى وفى القلب منه الهم الفلسطينى هذا الديوان يجمع كوكبة لامعة من أغانيه ومراثيه للقدس التى تمس أوتار القلوب.

سينما النور والظل

كتاب للناقد السينمائى مصطفى عبد الوهاب ، هذا الكتاب يختص لأول مرة بالأفلام المنتجة من خلال اتحاد الإذاعة والتلفزيون بأجهزته المختلفة . قدم الكتاب المذيع والناقد السينمائى ، يوسف شريف رزق الله.

حلقة ذكر

مجموعة قصصية لمحمد عبد الله الهادى ، صدرت عن إقليم شرق الدلتا الثقافى . تضم عدداً من القصص المحملة بالقضايا الاجتماعية المعاصرة ، وأثر البيئة المحيطة وانعكاسها على الحكايات والناس . لقد اختار الكاتب عناوين لافتة وطريفة للمجموعة مثل: حلقة ذكر على شرف الفقيدة ، البلغة ، ، الجزيرة ، أكان لابد ياعبد العال أن تبص لى؟

الحب المحرم

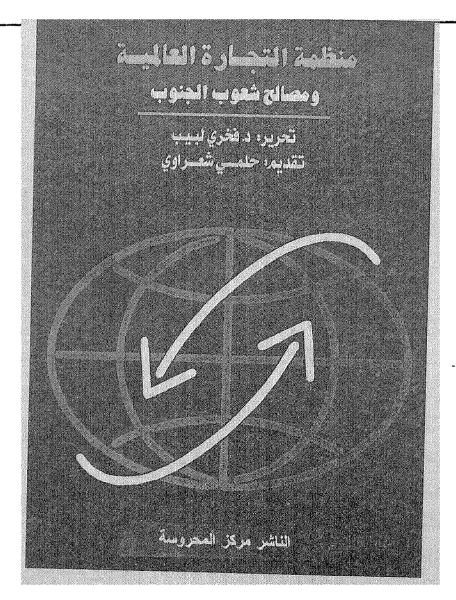
رواية للكاتب يونس الخضراوى ، تدور أحداث الرواية حول الصراع الذى ينشأ فى النفس منذ الطفولة المبكرة بدوافع جنسية واستطلاعية والذى يتوارى فى أواخر هذه المرحلة ليتفجر مرة أخرى عند مرحلة الشباب متمثلاً فى قصة حب حافلة بالإشارة والمفاجآت ، ينطوى بناؤها الفنى على خبرات من التحليل النفسى.

قف على قبرى شويا

صدرت هذه الرواية عن سلسلة (إبداعات) الهيئة العامة لقصور الثقافة ، للكاتب محمد داود. الرواية شكلت فى إطار يغلب عليه الوصف الخارجى ، الذى يستفيد من لغة السيناريو ، وكأن الكاتب يريد أن يضع القارئ على مسافة من النص يستطيع أن يرى الأشياء بوضوح.

فن الإعداد التلفزيونى

كتاب لافت لطلال سيف ، يتناول بالتحليل والعرض فن الإعداد التلفزيونى يأتى أهمية الكتاب



مع إمكانية التلفزيون الجبارة فى تشكيل عقلية المشاهدين . لذا يجب على المعد أن يتعرف على ماهية الرسالة المنوط بتوصيلها إلى المتلقى ، ومن ثم التعرف الذى لايشوبه أى خلل على هوية هذا المتلقى.

الرافعى

صدر عدد جديد من مجلة « الرافعى» التى تصدر عن مديرية الشباب والرياضة بالغربية . يقول أحمد الشافعى ، إن هذا العدد به مساهمة بسيطة ومتواضعة فى الحملة القومية والوطنية ضد ممارسات العدو الصهيونى وضد أطماعه . هذا إلى جانب مقالات ونصوص شعرية . نتمنى مواصلة إصدار مجلة « الرافعى».

تواصل

شئ من الغرور

الأستاذة والأديبة / فريدة النقاش

رئيس تحرير (أدب ونقد)

تحياتى السرمدية والرائقة إلى قلمك وإلى أدبك الذى يمتع عقولنا وألبابنا دائماً ... سيدتى هذه رسالتى الثالثة إليكم يادعاة الثقافة والأدب .. سيدتى فى كل مرة لا أعرف من أين جاءتنى هذه الجرأة التى دفعتنى بقوة إلى أن أكتب إلى إنسانة مثلك وإلى مجلة مرموقة كهذه .. سيدتى سأظل أكتب حتى تجف أقلامى.. حتى تنتهى أوراقى .. حتى يأتينى الأمل ويقول لى لا أمل .. وهذه قصة بعنوان « شئ من الغرور» كتبتها متأثراً بما نمر به وبما يعانيه العالم .. وأتمنى من الله أن تقرأ وتجد الإهتمام و القبول

الراسل: رمضان ابراهيم بشير

قنا - دشنا - أبو دياب شرق

" قصة قصيرة"

شئ من الغرور

راح ينتابنى شئ من الغرور ..أحسست بأن لدى القدرة على تغيير هذا العالم .. لم تعجبنى الأحداث التى يمر بها الآن مابين حروب ، ومشكلات أخرى ليست لها حدود . فقررت أن أقضى عليه تماماً لكى أريحه من هذه الآلام المتصلة .. أحضرت أكواماً هائلة من القش ، وعلبة من الكبريت وبالطبع وضعت خطة محكمة .. قمت بتوزيع هذه الأكوام على قاراته بحيث أعطيت كل قارة مايكفيها لكى تحترق تماماً.. ، وبعد أن انتهيت من هذه المهمة الشاقة التى كلفتنى جهداً كبيراً.. حاولت إشعال عود من الكبريت ، ولكن أبى أن يشتعل فى البداية ويبدو أنه يرفض الاشتراك فى هذه الجريمة ، وبعد محاولات لإشعاله ، كلها باءت بالفشل تركته جانباً ، وأخذت عوداً آخر ، إلا أنه قد انكسر من المحاولة الأولى ، فألقيته هو الآخر . إلتقطت عوداً ثالثاً ، وظننت أنه سيرفض مثل سابقيه .. فأمهلته قليلاً لأرى ماذا سيفعل ؟ ولكنه لم يفعل شيئاً سوى أنه إستسلم لأصابعى تفعل به ماتشاء .. قمت باشعاله .. نظرت إلى قارات العالم مبتسماً وقد أعجبنى هذا التباين فى إنطباعاتها التى أظنها الأخيرة الآن ، لكن بعض الحيرة قد سكنتنى ، أى قارة أبدأ بها أولاً؟

.. قارة كبرى أم صغرى ؟

.. قارة فقيرة أم قارة غنية ؟

.. أحسست بأن ضميرى سيؤنبنى بشدة إذا ظلمت إحداها ، فيجب أن أكون عادلاً وألا أبدأ باحراق قارة ربما تستحق أن يكون دورها الثانى أو الثالث أو حتى الأخير .

وبينما أنا غارق فى حيرتى إذا بأصابعى تلسعنى من أثر انتهاء عود الكبريت .. فأدركت أنه هو أيضا يحذرنى قبيل أن يحترق بأننى يجب أن أكون عادلاً . أشعلت عوداً رابعاً ، وقررت أن أقذف به دون اختيار لكى لا أضع نفسى فى حيرة مرة أخرى ، ولأن الجميع بالطبع سيحترق . قذفت بالعود وأنا مغمض العينين.... فاذا به يقع فى أحد المحيطات فانطفأ بمجرد أن لامس الماء .. لم أدع لليأس درباً يسلكه لكى لايصل إلى . اليوم كاد أن ينتهى ، والليل بخبث يسدل خيوطه رويداً ... رويداً ، وبالطبع ستكون هذه أخر محاولة لى قبل أن يفرض الظلام سيطرته ، وليس أمامى إلا أن أحرق جميع القارات مرة واحدة . أشعلت عوداً خامساً ، وقمت بوضعه فى علبة الكبريت لكى يتضخم حجم الشعلة ويكفى جميع القارات .. فاذا بعلبة الكبريت تنفجر ، وكادت أن تحرقنى لولا أننى ألقيت مسرعاً بنفسى فى إحدى القنوات المجاورة.

تمت

فى عددنا القادم

مصادرات يوليو : د. صلاح السروى . الطيب صالح والأدب المفارق/بيتر بروك ومسرح المواجهة / لماذا نجاهل النقاد الرافعى / نوّة الكرم: قص يهزم الأيام / قصائد ت : مدحت منير / عاطف عبد العزيز

بطاقة فن

أنجى أفلاطون (١٩٢٤ - ١٩٨٩)

عصمت داوستاشى

تشهد القاهرة عرضا لابداعات الفنانة الكبيرة الراحلة أنجى أفلاطون التى احتلت مكانة رفيعه فى تاريخ الفن المصرى الحديث.. لم تكن فقط واحدة من أهم فنانات الجيل الثالث ولكنها أصبحت واحده من أهم فنانات الحركة التشكيلية فى مصر.

ومعظمهن مصورات للحسن الاجتماعى المصرى والروح الشعبية واضحة فى أعمالهن.

خاصة إنچى أفلاطون التى انشغلت بالعمل الاجتماعى وانضمت لتنظيمات نسائية ومزجت حب الوطن بحب الفن فى ملحمة حياتية أكسبت إبداعاتها شاعرية لمناضله تتجه بنقوشها فوق قماش الرسم إلى الضوء والحرية والحقيقه اكسبتها شهره وتواجد عالمى.

ولأن إنچى أفلاطون رحاله عظيمة فى ربوع الوطن.. سجلت معظم ملامحه فى لوحاتها فإن رحلة إبداعها المثيرة قد سجلت ثلاث مراحل مهمه.

*** المرحلة الأولى – سيريالية الذات**

تميزت لوحات الفنانة فى هذه المرحلة بالجو السريالى الذى كان سائداً ومنتشراً كالموضه فى الاربيعنيات من القرن الماضى وكانت ترسم أحلامها وخواطرها وكوابيسها بشكل روائى وتعرضت على الفنان كامل التلمسانى وشاركت فى جماعة الفن والحرية (١٩٣٩ – ١٩٤٥) والتى تضم فؤاد كامل ورمسيس يونان وچورچ وغيرهم ثم أتجهت للعمل الوطنى والسياسى.

*** المرحلة الثانية – نافذة الواقع**

في عام ١٩٥٩ أودعت أنچى أفلاطون فى سجن النساء بالقناطر الخيرية.. كان السجن بمثابة ضريبة إشتغالها بالقضايا الوطنية.. ولكنه كان أيضا جواز مرورها إلى عالم الفن الرحب لقد ألهمها الضوء المنبعث من نافذت محبسها بالعالم الرحبوالمشرق بالخارخ ومعانى الحرية فسجلت طبيعة الحياة داخل السجن وجماليات مناظر النيل بالقناطر خارج السجن وتكونت الفنانة.

*** المرحلة الثالثة – ضوء الحياه**

بعد خروجها من السجن عام ١٩٦٣ وتوهج الابداع والثقافة فى حقبة الستينات من القرن الماضى أنطلقت أنچى أفلاطون إلى ربوع مصر .. فرسمت الريف والصحارى والنجوع والواحات.. كانت ترسم فوق القماش الأبيض مباشرة.. فقط تحولت إلى شرائط لونيه من البهجه والتفاؤل مصورة الانسان المصرى فى بيئة الحميمية.

* وبعد ستة وعشرين عاما من خروجها من السجن المعتم ومعايشتها لبهجة نور الحياة

رحلت إنچى أفلاطون سعيدة راضية مرضية إلى نور الأبدية بعد عيد ميلادها الخامس والستين بيوم واحد.. ماتت الفنانة الكبيرة فى السابع عشر من ابريل عام ١٩٨٩ تاركه ذكريات حميمه لكل من عرفها وتاركه كنوز من أعمالها التى نالت التقدير فى وطنها وفى العالم لدورها فى الحياه كفنانه ومناضله.



الأمل للطباعة والنشر رقم الايداع ٧٥١٢ / ٩٢ «الثمن: جنيهان»